# تصور أفق مشترك للإنسانية والكوكب

حرر بواسطة

حسن علي كراسار

شفق أوغوز

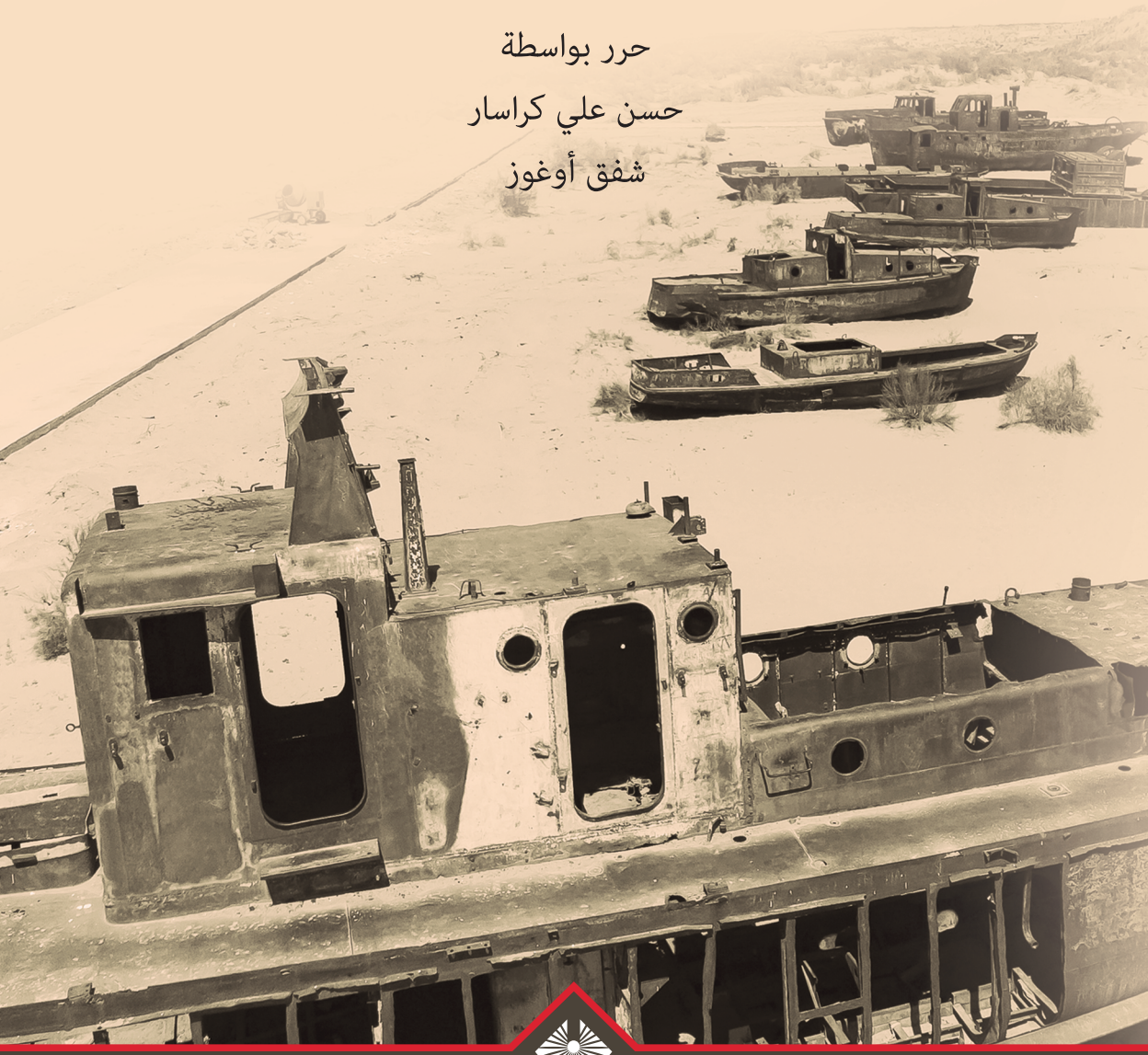

CAPPADOCIA
UNIVERSITY
PRESS

# تصور أفق مشترك للإنسانية والكوكب

حرر بواسطة
حسن علي كراسار
شفق أوغوز

CAPPADOCIA
UNIVERSITY

2023

منشورات جامعة كابادوكيا: 69
سلسلة كتب السياسة: 17
رقم الـ ISBN (الكتاب الالكتروني): 978-605-4448-60-9
رقم الـ ISBN (الكتاب المطبوع): 978-605-4448-61-6
10.35250/kun/9786054448609 :DOI
http://acikerisim.kapadokya.edu.tr/xmlui/handle/20.500.12695/2143:URL

© مايو/حزيران 2023

**تصور أفق مشترك للإنسانية والكوكب**
حسن علي كراسار و شفق أوغوز (تحرير)

© **جميع الحقوق محفوظة،** 2023، **جامعة كابادوكيا**
**رقم الشهادة:** 43348

جميع حقوق المنشورات العلمية المطبوعة أو الإلكترونية أو غيرها من الأشكال، وأوراق الندوة ومحتويات الدورة التي تنشرها جامعة كابادوكيا تعود ملكيتها إلى جامعة كابادوكيا. باستثناء الاقتباسات القصيرة التي يتم تقديمها من خلال الاستشهاد بالمصادر لأغراض ترويجية، لا يمكن طباعة المنشور بأكمله أو نشره أو إعادة إنتاجه أو توزيعه إلكترونيًا أو ميكانيكيًا أو عن طريق التصوير دون إذن كتابي من جامعة كابادوكيا.

**محرر السلسلة:** شفق أوغوز
**تصميم الغلاف:** نازيل أردا شاكير
**تصميم الصفحة:** ademsenel.com
**ترجمة وتدقيق:** ياسر خزنة

هذا العمل مُرخص بموجب رخصة النشر الإبداعي Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International License.

TÜRKİYE CUMHURİYETİ CUMHURBAŞKANLIĞI
İLETİŞİM BAŞKANLIĞI
تمت طباعة هذا الكتاب بدعم من رئاسة الاتصالات في الجمهورية التركية
الآراء والتعليقات الواردة في الكتاب تمثل وجهات النظر الشخصية للمؤلفين أنفسهم. المؤلفون مسؤولون بشكل فردي عن محتوى فصولهم.

كراسار، حسن علي؛ أوغوز، شفق (محررين) (2023) تصور أفق مشترك للإنسانية والكوكب. نيفشهير: منشورات جامعة كابادوكيا.
250 ص 16.5x23 سم.
ISBN: (النسخة الالكترونية)
10.35250/kun/9786054448609 :DOI

الكلمات المفتاحية: 1. الإنسانية، 2. الكوكب، 3. الأفق المشترك، 4. تغير المناخ، 5. الديمقراطية

CAPPADOCIA UNIVERSITY
تركيا – نفشهير – أورغوب – مصطفى باشا – 50420
yayinevi@kapadokya.edu.tr
kapadokyayayinlari.kapadokya.edu.tr
www.kapadokya.edu.tr
+90-384-3535009

# تصور أفق مشترك للإنسانية والكوكب

حرر بواسطة
حسن علي كراسار
شفق أوغوز

# فهرس المحتويات


قائمة الاختصارات ..... 7

قائمة الجداول ..... 8

قائمة الأشكال ..... 9

مقدمة ..... 11

قائمة المُشاركين ..... 13

تشكر ..... 15

الاستقلال: خدعة الاستعمار الاستيطاني
جوزيف مسعد ..... 19

السنة 1: مفهوم فسلفي جديد في ضوء تصور المستقبل المشترك
سوزان باك-مورس ..... 45

الحضارة الخالية من المشقات ومصير الإنسانية: بحث فلسفي
ماساهيرو موريوكا ..... 65

مستقبل الرؤية الواضحة في عهد عدم الوضوح
جون كين ..... 81

رفض الانصياع إلى «الوضع الطبيعي الجديد» - الحاجة إلى التمسك بروح الإنسانية
فرانك فوريدي ..... 103

كوفيد-19 وردّ الفعل الإيكوفوبي
سايمون س. إيستوك ..... 119

حدود النمو الاقتصادي في ظل القحط والندرة والتبرير المالثي
جيورجوس كاليس..... 143

الأزمة الاقتصادية العالمية المعاصرة: نهج النظام العالمي
رسلان دزاراسوف..... 167

التغيير العالمي في العلم والمجتمع
نزهة دالف..... 185

"الإنسان بين التسيير والتخيير" في الفلسفة الإسلامية الكلاسيكية:
الفارابي وابن سينا وابن رشد نموذجاً
كاتارينا بيلو..... 203

عالم بلا أسلحة نووية: هل هذا ممكن؟
شفق أوغوز..... 219

النظام العالمي الجديد, عدم الوضوح والتصور المستقبلي له
حسن علي كاراسار..... 233

الخاتمة
حسن علي كراسار..... 243

اندكس..... 249

## قائمة الاختصارات

| | | |
|---|---|---|
| ABM | مضادات للصواريخ الباليستية | Anti-Ballistic Missiles |
| CNN | شبكة الأخبار الأمريكية | Cable News Network |
| CPGS | ضربة عالمية سريعة تقليدية | Conventional Prompt Global Strike |
| EPAA | نهج التكيف الأوروبي المرحلي | European Phased Adaptive Approach |
| GDP | إجمالي الناتج المحلي | Gross Domestic Product |
| IMF | صندوق النقد الدولي | International Monetary Fund |
| IPCC | الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ | Intergovernmental Panel on Climate Change |
| NASA | وكالة ناسا - المركز الوطني للملاحة الجوية وإدارة الفضاء | National Aeronautics and Space Administration |
| NATO | منظمة حلف شمال الأطلسي | North Atlantic Treaty Organization |
| NMD | الدفاع الصاروخي الوطني | National Missile Defense |
| NPT | معاهدة حظر انتشار الأسلحة | Non-proliferation Treaty |
| NWs | الأسلحة النووية | Nuclear Weapons |
| MAD | الدمار المؤكد المتبادل | Mutual Assured Destruction |
| WMD | أسلحة الدمار الشامل | Weapons of Mass Destruction |
| PDG | التشخيص الجيني قبل الزرع | Preimplantation Genetic Diagnosis |
| SALT | معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية | Strategic Arms Limitation Treaty |
| START | معاهدة تخفيض انتاج الأسلحة الاستراتيجية | Strategic Arms Reduction Treaty |
| TNW | الأسلحة النووية التكتيكية | Tactical Nuclear Weapons |
| UDI | إعلان الاستقلال من جانب واحد | Unilateral Declaration of Independence |
| UNDRIP | إعلان الأمم المتحدة لحقوق السكان الأصليين | United Nations Declaration of the Rights of Indigenous People |
| UNEP | برنامج الأمم المتحدة للبيئة | United Nations Environment Program |
| UNESCO | الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة | United Nations Educational Scientific and Cultural |
| VUCA | التقلبات، عدم الوضوح، التعقيد، الغموض | Volatility, Uncertainty, Complexity, Ambiguity |
| WMO | المنظمة العالمية للأرصاد الجوية | World Meteorological Organization |
| WWI | الحرب العالمية الأولى | World War I |
| WWII | الحرب العالمية الثانية | World War II |

## قائمة الجداول

**المقالة 8**

**الشكل** 1: تكوين صادرات البضائع من البلدان النامية حسب مجموعة المنتجات الرئيسية، 1980-2003· ..... 170

**الشكل** 2: **متوسط الأجر بالساعة في التصنيع، 2017 بالدولار الأمريكي** المصدر: سواندي وآخرون، 2019 ..... 172

**المقالة 11**

**الجدول** 1: المخزونات العالمية المقدرة للرؤوس الحربية النووية 1945-2022 ..... 227

**الجدول** 2: الإنفاق العسكري العالمي، حسب المنطقة، 1988-2021 ..... 228

## قائمة الأشكال

**المقالة 2**

**الشكل 1:** الأرض من الفضاء الخارجي، 7 ديسمبر/كانون الأوّل 1972 (وكالة ناسا، أبولو 17)..... 45

**الشكل 2:** خريطة العالم بعد الاستعمار..... 47

**الشكل 3:** خارطة العالم..... 48

**الشكل 4:** الجرف الجليدي لارسن بي، القارة القطبية الجنوبية، صورة لوكالة ناسا بتاريخ 10 نوفمبر 2016 ..... 49

**الشكل 5:** جنوح سفينة الشّحن إيفر جيفن في قناة السويس في مصر، صورة ملتقطة من محطة الفضاء الدولية بتاريخ 27 مارس 2021 (المصدر: مشاعات ويكيبيديا ) ..... 49

**الشكل 6:** نصب تذكاري في أنقرة..... 51

**الشكل 7:** مظاهرة جماهيرية مناهضة للحرب هايد بارك، لندن، 15 فبراير2003..... 55

**الشكل 8:** ميدان التحرير 8 فبراير2011 ..... 56

**الشكل 9:** صائمون يحتفلون بالإفطار في «طاولة الأرض» في شارع استقلال في اسطنبول، 9 يوليو 2013. - محسن أكغون ..... 58

**الشكل 10:** 15 مايو 2011، مدريد: "ديمقراطية حقيقية الآن! نحن لسنا بضاعة في أيدي السّياسيين وأصحاب البنوك" ..... 59

**الشكل 11:** في 28 أكتوبر 2014 قام متظاهرون مؤيدون للديمقراطية برفع لافتة صفراء كتب عليها: «أريد اقتراعًا عامًا حقيقيًا» في تجمع حاشد في المناطق المشغولة من قبل المحتجّين خارج مقر الحكومة في حي أدميرالتي بهونغ كونغ. أسفرت حركة المظلة الصفراء ..... 60

**الشكل 12:** مظاهرات لدعم حق المرشحين المستقلين في الترشح لعضويّة مجلس الدوما: «القوة - إنها نحن أنفسنا! أعطونا الحق في صوت يمثّلنا» موسكو، روسيا2019 .....60

**الشكل 13:** احتجاجات من أجل «الحرية والسلام والعدالة» وضد الحكم العسكري لعبت فيها النساء دورًا رئيسيًا. دارفور 2019. ..... 61

# مقدمة

مرت البشرية وكوكبنا بأوقات عصيبة. لقد كنا نشهد حربًا على مستوى الدول تضمنت تهديدًا نوويًا، وهو تطور مثير للقلق يبدو أنه انزلق من وعي العالم. لقد شهدنا حروبا أهلية، على أساس التنافس الديني أو العرقي، أدت إلى قتل جماعي وهجرة جماعية داخلية ودولية. تصل الأرقام إلى حوالي 100 مليون نازح في العالم، وهو رقم قياسي عالمي جديد. أعادت الأزمات الاقتصادية تشكيل الوضع الاقتصادي، مما أدى إلى إعادة توزيع الدخل لصالح الأغنياء والدول الغنية، مع تفاقم سوء الظروف الاقتصادية لمن هم تحت الحد الأدنى من المقياس. وفقًا لبرنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة، يواجه 349 مليون شخص في 79 دولة انعدامًا حادًا للأمن الغذائي، بينما يكافح أكثر من 900 ألف شخص حول العالم للبقاء على قيد الحياة في ظروف شبيهة بالمجاعة.

غيّرت جائحة كوفيد-19 طريقة الحياة في جميع أنحاء العالم، ومن المتوقع ظهور أوبئة جديدة. على الرغم من المعايير عالية المستوى في النظم الصحية، فإن السيناريوهات التي تشمل الموت الجماعي في الأوبئة تظل حقيقة وشيكة. أكدت الأوبئة الحديثة، وخاصة فيروس كورونا المستجد، كيف أن الجهود المحلية أو الإقليمية ليست كافية للحد من آثار الأوبئة أوالتعامل معها. ولذلك سعينا إلى تسليط الضوء في مشروعنا هذا كون التعاون العالمي المشترك أمر بالغ الأهمية في مكافحة الأوبئة.

لقد انخفض الاحترام والتسامح تجاه التنوع، بما في ذلك العرقي والديني، إلى الحد الذي أصبح فيه التمييز والكراهية والتعصب أمرًا طبيعيًا في جميع أنحاء العالم. يحرق المُحرضون الكُتب المقدسة، مما يؤدي إلى اضطرابات اجتماعية قد تؤدي إلى أزمات جديدة. لقد شهدنا شكلاً جديدًا من أشكال العبودية في القرن الحادي والعشرين، ويبدو أن الأمر يزداد سوءًا. حتى في الدول المتقدمة، تعاني النساء، على الرغم من أن "الأمومة" تحتفظ على ما يبدو بمكانتها العالية وقيمتها في العالم. وعلى الرغم من الاتفاقات والجهود الدولية، يضطر الأطفال للعمل في وظائف غير مناسبة لهم وفي ظروف بائسة. العديد من الأطفال، وخاصة الفتيات، محرومون من التعليم الذي يستحقونه. لقد فشلت البشرية في توفير آفاق مشتركة ومناسبة لهم.

بقدر ما نعلم، فإن الأرض هي الكوكب الوحيد الذي يستضيف كائنات حية. لسوء الحظ، لقد عانينا من أزمة كبيرة في تغير المناخ تسبب فيها البشر. لا يوجد مخلوق حي يضر بالطبيعة والبيئة

بأي شكل من الأشكال يمكن مقارنته بالبشر، حيث يُفترض أننا الكائنات الحية التي تُعتبر الأكثر ذكاءً على الكوكب . ويستمر اسهام الإنسان في انقراض الأنواع الأخرى. لم تثبت الجهود الإقليمية أو الدولية حتى الآن أنها كافية لكبح الأزمة.

تُبرز التطورات الأخيرة بوضوح أن الحدود غير قادرة على احتواء الأزمات المحلية أو الإقليمية. يجب أن نعمل معًا للتعامل مع المشكلات التي نشهدها ونعانيها. نحتاج أن نتخيل أُفقًا مشتركًا للإنسانية والكوكب، لمستقبلنا وخاصة مستقبل أطفالنا.

إن مشروع تصور أُفق مشترك للإنسانية والكوكب، الذي تنظمه جامعة كابادوكيا ويجمع الباحثيين العلميين البارزين, يُمثل جهدًا مُهمًا وقيّمًا لتذكير المجتمع الدولي بمسؤوليته عن مستقبل البشرية وفي الواقع عن الكوكب وبوجوب تطوير منظور عالمي لحل الأزمات. ونأمل أن تتبع هذه الخطوة المزيد من الخطوات والجهود في هذا الاتجاه.

**أليف الاتلي**

**رئيس مجلس الأمناء**

**جامعة كابادوكيا**

# قائمة المُشاركين

الدكتورة كاتارينا بيلو أستاذة مساعدة بقسم الفلسفة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة في مصر.

جيورجوس كاليس الاستاذ البروفسور في معهد علوم وتكنولوجيا البيئة التابع لجامعة برشلونة المستقلة في إسبانيا.

فرانك فوريدي أستاذ فخري في علم الاجتماع بجامعة كنت في المملكة المتحدة.

حسن علي كارسار الاستاذ البروفسور في العلاقات الدولية وعميد جامعة كابادوكيا في تركيا.

جون كين الاستاذ والبروفسور في السياسة بجامعة سيدني بأستراليا و عضو المجلس التعليمي في المركز العلمي في برلين, ألمانيا.

جوزيف مسعد الاستاذ البروفسور في السياسة العربية الحديثة والتاريخ الفكري بجامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

ماساهيرو موريوكا الاستاذ البروفسور في قسم كلية العلوم الإنسانية بجامعة واسيدا في اليابان.

الاستاذ البروفسور نزهت دالفيس، عمل سابقًا في معهد أوراسيا لعلوم الأرض بجامعة إسطنبول التقنية في تركيا.

رسلان دزاراسوف الاستاذ البروفسور وعضو المجلس التعليمي في جامعة العلوم المالية الروسية التابعة لحكومة الاتحاد الروسي في روسيا.

سيمون إستوك هو أستاذ بروفسور وزميل باحث أول في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بجامعة سونجكيونكوان في كوريا الجنوبية.

سوزان باك-مورس برفسورة وأستاذة متميزة في قسم العلوم السياسية بجامعة سيتي في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية.

الدكتور شفق أوغوز أستاذ مشارك في قسم العلاقات الدولية بجامعة كابادوكيا.

# تشكر

شرعت جامعة كابادوكيا في مشروع دولي متعدد التخصصات حول مستقبل البشرية وكوكبنا بعنوان «**تصور أُفق مشترك للإنسانية والكوكب**".

جمع المشروع مفكرين من مختلف الفنون والعلوم للنظر في واحدة من أهم القضايا الأساسية للفلسفة المعاصرة: **كيف يمكننا بناء أفق مشترك لمستقبل البشرية والكوكب**؟ يهدف إلى الجمع بين المفكرين الرائدين في العالم، لإنشاء منصة فكرية دولية تستمد قوتها من كرامة الإنسان، وتهدف إلى البناء من أجل مستقبل البشرية والكوكب من خلال تآزر شامل بهدف تقديم الإنسانية أفق مشترك. بصفتنا جامعة كابادوكيا، تتمثل رؤيتنا في هذا الصدد في توفير منصة أكاديمية حيث يمكن للمثقفين المحترمين من جميع أنحاء العالم مشاركة رؤاهم لمستقبل مشترك للبشرية وكوكبنا، والتعليق على التحديات والفرص التي يتصورونها.

هذا الكتاب هو نتاج هذا المشروع الذي ساهم به علماء متميزون ناقشوا وحللوا الموضوع من خبراتهم ووجهات نظرهم.

يناقش البروفيسور جوزيف مسعد من جامعة كولومبيا الاستعمار الاستيطاني العنصري الأبيض وآثاره التي تعتبر من أهم مصادر الأزمات في جميع أنحاء العالم.

يشرح البروفيسور فرانك فوريدي من جامعة كنت كيف غيّرت الأوبئة، وخاصة كوفيد-19، تصور وحياة السكان في جميع أنحاء العالم وينصحنا بتعلم كيفية التعايش مع الأوبئة.

تلقي البروفيسور سوزان باك-مورس من جامعة مدينة نيويورك الضوء على الخلفية التاريخية للحياة الفلسفية للإنسان وتقدم لنا أفقًا في سياق الفلسفة.

البروفيسور كاتارينا بيلو من الجامعة الأمريكية بالقاهرة تناقش الإرادة الحرة والحتمية في الفلسفة الإسلامية الكلاسيكية وتقدم لنا نظرة ثاقبة للمشاكل التاريخية والمعاصرة في العالم الإسلامي.

يركز البروفيسور نزهيت دالفيس بشكل أساسي على مشاكل الأرض، مثل تغير المناخ أو انقراض الأنواع، ويدعو إلى إقامة جسر متين بين المجتمعات العلمية وعامة الناس لوضع أسس أفق مشترك لإنقاذ كوكبنا .

يحلل البروفيسور روسلان دزاراسوف من الجامعة المالية الروسية التابعة لحكومة الاتحاد الروسي الأزمة الاقتصادية المعاصرة من منظور نهج النظام العالمي ويناقش المشاكل التي أحدثها الهيكل الاقتصادي العالمي.

يقدم لنا البروفيسور جون كين من جامعة سيدني وجهة نظر مختلفة لتفسير الأزمات التي يواجهها البشر، ومناقشة مصير اليقين في أوقات عدم اليقين. أثناء تحليل الأسباب المختلفة لتزايد شعبية التشاؤم، يستجوب هذه العقلية الكارثية لإظهار أن عدم اليقين هو سمة من سمات وضعنا البشري على كوكب الأرض.

يحلل البروفيسور جيورجوس كاليس من جامعة برشلونة المستقلة حدود وندرة النمو الاقتصادي في العالم من منظور مبادئ مالتوس ويناقش آثار النمو.

يجادل البروفيسور سيمون إستوك من جامعة سونجكيونكوان بأن جائحة كوفيد19- قد أدى إلى استجابات لبقاء السكان، ومع ذلك، فقد أثار أيضًا ردود فعل مذعورة ورهابية. لذلك، يسلط الضوء على الحاجة إلى التعرف على الآثار الميكروبية طويلة المدى للتطهير القهري ورهاب البيئة الانعكاسي.

يناقش البروفيسور ماساهيرو موريوكا من جامعة واسيدا كيف أن الحضارة المعاصرة توفر المتعة والراحة للمجتمع، وتعرفها بأنها حضارة غير مؤلمة، وتناقش الآثار السلبية طويلة المدى لهذا الشكل الجديد من الحياة.

حسن علي كرسار وأستاذ مساعد. شفق أوز من جامعة كابادوكيا يحلل البيئة الأمنية الجديدة من منظور التهديد النووي ويتساءل عما إذا كان العالم بدون أسلحة نووية ممكنًا.

كما نشكر ضيوفنا : البروفيسور أسامة مقدسي من جامعة رايس، والبروفيسور أدوم جيتاشيو من جامعة شيكاغو، والبروفيسور ويندي براون من جامعة برينستون، والدكتور دوغلاس فاكوتش, والبروفسور كريستوفر افوكيه ايسيكه من جامعة بريتوريا في جنوب افريقيا, والبروفيسور إبراهيم موسى من جامعة نوتردام لمساهمتهم القيمة في مشروعنا.

كما نشكر أيضًا البروفيسور جميل أيدين من جامعة نورث كارولين، والبروفيسور بانو بارغو من جامعة كاليفورنيا بسانتا كروز، والدكتور إيثيمكان تورهان من جامعة جرونينجن، والبروفيسور أوكتاي تانريسيفنر من جامعة بلجي، والبروفيسور بوراك أوزجيتين من جامعة بيلجي، والدكتور فولكان إبيك من جامعة يديتيبه، البروفيسور إسكندر أوكسوز من جامعة كابادوكيا، البروفيسور

سربيل أوبرمان من جامعة كابادوكيا والدكتور سنان عقيلي من جامعة كابادوكيا لمساهمتهم كمنسقين في المشروع.

ستستمر جامعة كابادوكيا في توفير منصة لمناقشة الأزمات الدولية وتحليلها وتقديم حلول للتخفيف من آثار المشاكل التي نواجهها. جامعة كابادوكيا مصممة على حث المجتمع الدولي على **تصور أفق مشترك للإنسانية والكوكب.**

**حسن علي كراسار و شفق أوغوز**

**المحررون**

# الاستقلال: خدعة الاستعمار الاستيطاني

جوزيف مسعد

لعل أغرب مظاهر استقلال الدول التي يتمّ تجاهلها أو إسقاطها والتقليل من شأنها وتجنبها في الأبحاث الأكاديمية هي الأصول الاستعمارية -الاستيطانية المبنية على مبدأ تفوّق العرق الأبيض لمفهوم «الاستقلال» نفسه. فقد كان إنشاء أول دولة استعمارية-استيطانية قائمة على مبدأ تفوق العرق الأبيض في عام 1776، أقامها مستعمرون-استيطانيون بيض فيما أصبح يعرف بالولايات المتحدة، هو الحدث الذي افتتح عهد الاستقلال الذي غدا مسارًا انتهى بـ «إعلان الاستقلال أحادي الجانب» الذي أصدره المستعمرون-الاستيطانيون الأوروبيون في روديسيا في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 1965. وبالفعل، لقد اقتبس وأشاد المستعمرون-الاستيطانيون البيض في الإعلان الأخير لاستقلال روديسيا بالإعلان الأول للاستقلال، من خلال استعارة العبارات ذاتها التي استخدمها نظراؤهم في أميركا الشمالية، في نص إعلان استقلالهم عن البلد الأم ذاته.[1]

أما الصّلة بين الدولتين المستقلتين اللتين أعلنهما المستعمرون-الاستيطانيّون الملتزمون بتفوق العرق الأبيض، فلم تفت على البريطانيين.[2] ففي عام 1963، كانت حكومة حزب المحافظين بقيادة رئيس الوزراء البريطاني هارولد ماكميلان قد أعدّت خطط طوارئ من أجل التّدخّل في روديسيا لمنع إعلان استقلال محتمل أحاديّ الجانب من قبل المستوطنين. وكما كشف ديفيد أرميتاج، فقد كان الملف السّري الذي تضمن الوثائق البريطانية ذات الصلة بتلك الخطط يحمل عنوان «تَجَمُّع الشاي في بوسطن»، الذي يشير إلى الحدث التأسيسي الذي عبّر فيه المستوطنون البيض في بوسطن في عام 1773 عن معارضتهم للضرائب التي فرضتها عليهم بريطانيا، والذي يُعَدّ الشرارة التي أدت إلى اندلاع ثورة المستوطنين البيض على الحكم البريطاني والتي أدت بدورها إلى استقلال مستوطني الولايات المتحدة البيض.[3]

---

1 ذكر في كتاب ديفيد أرميتاج، **إعلان الاستقلال، تاريخ عالمي** (كامبريدج: مطبعة جامعة هارفرد، 2007) 135-136.

2 اوقد انتقل الإعلان الأمريكي أيضًا إلى مستعمرة بريطانية أخرى للمستوطنين البيض الملتزمين بالتفوق العرقي، هي جنوب إفريقيا، حيث أعيد طبعه في صحيفة **المسجّل المسيحي الجنوب إفريقي**، المجلد 2، العدد 8، (كانون الثاني/يناير 1837)، صفحة 432، وقد استشهد به أرميتاج، **إعلان الاستقلال**، 95.

3 استشهد بها أرميتاج في المصدر ذاته، 136.

أما الانفصال والاستقلال اللاحق لمستوطني أوروبا البيض في المستعمرات-الاستيطانية في الأميركيتين وآسيا وإفريقيا وأوقيانوسيا فقد حدث خلال القرنين اللذين يفصلان استقلال أول وآخر مستعمرة-استيطانية لتفوق العرق الأبيض عن بعضهما البعض. وخلال هذه الفترة وفي أعقابها، غدا «الاستقلال» هدفا سياسيّا واقتصاديّا للسّكان الأصلين للمستعمرات الأوروبية وللمستعمرات-الاستيطانية سواء داخل القارة الأوروبية (في إيرلندا وبولندا) أم في بقية دول العالم. ولكن، إذا كان القرن التاسع عشر قد استهل باستقلال مستعمرات المستوطنين في أميركا الشمالية والوسطى والجنوبية وفي البحر الكاريبي وفي بعض المستعمرات-الاستيطانية الأوقيانوسية والإفريقية والأقاليم «الأوروبية» المسيحية للسلطنة العثمانية، فإنّ زخم الاستقلال قد تقدّم بنسق أسرع في أعقاب الحرب العالمية الأولى سواء بالنسبة إلى المستعمرين-الاستيطانيين البيض في أميركا الشمالية وإفريقيا وأوقيانوسيا أم بالنسبة إلى السكان الأصليين في آسيا، وإفريقيا، وأوروبا، والأميركتين. وقد أصبح هذا النّسق جارفا لا يمكن إيقافه عقب الحرب العالميّة الثانية. وبالإضافة إلى استقلال المستعمرين-الاستيطانيين الأوروبيين في إسرائيل (1948) وجنوب إفريقيا (1961) وروديسيا (1965)، فقد حصلت عشرات المستعمرات الأوروبية والمستعمرات-الاستيطانية والمحميات والأراضي الواقعة تحت الانتداب أيضًا على الاستقلال لتبشر بعالم الدول المستقلة في جميع أنحاء المعمورة.

ونظرًا إلى أنّ «الاستقلال» كمفهوم وممارسة سياسية يبدو أنه يساوي فيما بين البلدان التي استقلت، سواء أ كانت خاضعة لسيطرة السكان الأصليين أو رازحة تحت حكم المستعمرين-الاستيطانيّين، فإنه في الوقت نفسه ينهي حقبة الاستعمار الرسمي ويضفي الاستمرارية والشّرعيّة لا على الإمبريالية الاقتصادية فحسب، بل على الاستعمار-الاستيطاني الرّسمي أيضًا، حيث يعترف بسيادة كلّ من السكان الأصليين، في الدول التي تحررت من الاستعمار، وسيادة المستوطنين البيض الذين استقلوا عن الدول الأم، والتي صادق عليها أحدث مجلس عالمي صمّم لمنح هذه الشرعية، ألا وهو الأمم المتحدة. ومع ذلك، فإن الاستقلال، بوصفه فكرة سياسية وممارسة للسيادة، إلا أنه ما انفك يُسوّق من قبل هذه البلدان على أنه يمثّل منفعة سياسية واقتصادية أنهت الحكم الجائر للقوى الاستعمارية في حالة المستعمرات أو حكم الدول الأم في حالة المستعمرات-الاستيطانية، خصوصا ولا سيما إذا كانت في حالة الأخيرة تعني استمرار إخضاع الشعوب الأصلية واضطهادها – بدءًا من «الشعوب الأولى» في كندا والأميركيين الأصليين في الولايات المتحدة مرورا بالسكان

الأصليين عبر أميركا الوسطى والجنوبية إلى شعوب أستراليا الأصليين والفلسطينيين والماوريين وشعوب الكاناكا ماولي، وليس انتهاءً بالسود في جنوب إفريقيا وزيمبابوي.

فمن أين نشأ إذن مفهوم الاستقلال؟ وما هو مساره التاريخي والجغرافي؟ وكيف أصبح مبدأ الاستعمار-الاستيطاني للأوروبيين البيض هذا أيضًا هدفًا للسكان المحلّيين والأصليين المستعمَرين في العالم؟ أما حقيقة أن الاستقلال الرسمي للمستوطنين البروتستانت البريطانيين البيض الأوروبيين قد أدّى إلى نتائج مختلفة تمامًا عن الاستقلال الرسمي لسكان مستعمرات أوروبا أو حتى استقلال المستعمرين الاستيطانيّين الإسبان والبرتغاليين وأحفادهم مختلطي الأعراق، فلم يقنع العديد من المعلقين الأوروبيين والأميركيين البيض بأن المبدأ نفسه كان قد تم اختراعه لمصلحة المستعمرين الاستيطانيين البروتستانت الأوروبيين الناطقين بالإنجليزية بشكل أساسي منذ البدء، بل أشار بحسبهم إلى «فشل» السكان الأصليين والمستوطنين غير الإنجليز في إدارة شؤونهم الخاصّة، وهو فشل كان الاستعمار الأوروبي الأبيض قد توقعه وتنبأ به.

سأتعقّب فيما يلي أثر بعض التّواريخ السّياسية والفلسفية والقانونية المتعلّقة بمفهوم الاستقلال وممارسته من أجل فهم آثاره العالمية من حيث أصبح المبدأ المؤسس لوجود منظومة الدّول انطلاقا من القرن الـ 18 عشر، وكيف التحق مفهوم «تقرير المصير» به خلال الحرب العالمية الأولى وفي أعقابها بصفته قرينًا له، لفرض الامتيازات الاستعمارية والاستعمارية-الاستيطانية الأوروبية على السّكان الأصليين للمستعمرات.

---

تصوّر معظم السرديات «الاستقلال» على أنه نتاج عصر التنوير الأوروبي والفكر الثوري الملتزم بالمساواة والحرية الإنسانية «الكونية». لكن في الواقع، لا يمكن فصل جينيالوجيا «الاستقلال» تمامًا عن الأيديولوجيا الجديدة للقرن الـ 18 المتمثلة في تفوق العرق الأبيض والاستعمار-الاستيطاني، وهذه النّزعة التأسيسية العميقة المصاحبة لظهور مفهوم الاستقلال هي بالتحديد ما يحتاج المؤرخون والمنظرون الأوروبيون الأميركيون وتلامذتهم إلى نسيانها وكبتها وإنكارها.

قبل ظهور مصطلح «الاستقلال» واكتسابه أهمية سياسية ووضعًا قانونيًا، تم استخدام مفاهيم أخرى للتعبير عن الانفصال عن سلطة الحاكم أو اعتزالها. وغالبًا ما يُشار إلى «قانون الهجر» الهولندي لعام 1581 بصورة مناقضة لتاريخه على أنه يعني «إعلان الاستقلال»، لا سيما أنه يُزعم أن المستوطنين الأميركيين البيض قد استشهدوا به لاحقًا كسابقة ملهمة لرغبتهم في إعلان الاستقلال، على الرغم من أن التعبير الهولندي «Plakkaat van Verlantige» كان في الواقع يعني هجرًا

(الكلمة الهولندية تعني "الهجر") لسيادة الملك فيليب الثاني ملك إسبانيا، أي أنه في الواقع شكّل انفصالًا (والأخير مصطلح إنجليزي استنبط في القرن السادس عشر)، ولم يطرح لا مفهوم التبعية ولا الاستقلال البتة.[4] كان انفصال الهولنديين انفصالًا دينيًا للبروتستانت الذين كانوا يقاومون الاضطهاد الديني للملك فيليب، ولكنه كان أيضًا انفصالًا مناطقيًا واقتصاديًا، حيث شعر أجزاء من طبقة النبلاء والبرجوازية الهولندية بالقلق حيال كونها جزءًا من إمبراطورية أكبر بكثير من منطقتهم فأرادوا تأمين مصالحهم وحمايتها من السيطرة الخارجية.[5]

ظلّ مع ذلك اقتران العرق الأبيض والبروتستانتية للمستوطنين الناطقين بالإنجليزية هو ما يميزهم عن الآخرين خلال القرون اللاحقة، لأنهم كانوا المستعمِرين-الاستيطانيين الوحيدين الذين حققوا الاستقلال السياسي والاقتصادي (الاستثناءان الآخران يتمثّلان في المستعمرات الاستيطانية التي رعتها بريطانيا في جنوب إفريقيا في حالة المستعمرين-المستوطنين البروتستانت البيض الهولنديين (والإنجليز)، والمستعمرة-الاستيطانية اليهودية-الأوروبية في إسرائيل، التي صمم مشروعها المبشرون البروتستانت المسيحائيون البريطانيون).

وقد استخدم مصطلح «الاستقلال» في اللغات الأوروبية لأول مرة في منتصف القرن الثامن عشر في أحدث الأدبيات القانونية حول مفهوم «قانون الأمم» ليكتسب في زمن قصير معنى قانونيًا وتقنيًا يشير إلى وضع الدولة في إطار ما أصبح جمعًا من الأمم. فقد منح رجل القانون الهولندي هوغو غروتيوس معنى مختلفا للمفهوم الروماني القديم لـ «قانون الأممّ» jus gentium الذي كان بمثابة «قانون خصوصي» يتناول العلاقات بين الأفراد داخل الإمبراطورية الرومانية وليس العلاقات الخارجية، في النصف الأول من القرن السابع عشر لغايات متباينة، ليكون ذلك بمثابة إدخال مبدأ جديد في اللغة القانونية والسياسية يحكم بدوره العلاقات بين الدول. تُرجم مصطلح *Jus gentium*، ولكن أسيء فهمه في القرن الثامن عشر على أنّه «قانون الأمم» بمعنى أنه يحكم العلاقات بين الدول، وبعد ذلك بوصفه «القانون الدولي»، وغالبًا ما تم تطبيق الدلالات الجديدة على هذه الفكرة الرومانية القديمة والتي تعود إلى العصور الوسطى بشكل مغاير للعصر. على

4 أنظر المرجع التالي الذي يزعم بأن *Plakkaat* كان مصدر إلهام لإعلان الاستقلال: ستيفن لوكاس «إعلان الاستقلال الهولندي» The Plakaat van Verlatinge: نموذج مهمل لإعلان الاستقلال الأمريكي» فصل في كتاب **ربط الثقافات: هولندا خلال خمس قرون من التبادل عبر الأطلسي**، حققه روزمارين هوفته، يوهانا س. كاردوكس وهانس باك (أمستردام: مطبعة جامعة Vrije Universiteit سنة 207-187 ،(1994.

5 إيمانويل والرستاين، **العالم-النظام الجديد I - الزراعة الرأسمالية وجذور الاقتصاد الأوروبي العالمي في القرن السادس عشر** (بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 2011)، ص 212-202.

الرغم من ذلك فإن استحداث جيريمي بنثام اللاحق لمصطلح «أممي» international قد ظل رائج الاستعمال في اللغات الأوروبية بدلاً من مصطلح «دولي» interstatal الذي اقترحه إيمانويل كانط.[6]

لقد نشأت أسس ما أصبح يعرف بالقانون الدولي الحديث في الواقع من خلال المواجهة الاستعمارية في الأميركيتين في القرن السادس عشر من خلال الشخصية المهمة فرانسيسكو دي فيتوريا، الذي عاش قبل غروتيوس، حيث أصبحت مسائل الدّول «المتحضرة» مقابل الدول «البربرية»، والحروب الدفاعية مقابل الحروب العدوانية (لاحقًا الحروب «العادلة» «والحروب «غير العادلة») واقعا استمرّ في وضع أسس اختصاص هذا الحقل من القانون إلى يومنا هذا.[7]

لكن مصطلح «استقلال» الدول بحد ذاته لم يصبح جزءًا من هذا المعجم القانوني قبل مرور ما يقارب قرن آخر. فحسب قاموس اللغة الإنكليزية أوكسفورد، تعود صفة «مستقل» كمصطلح إنجليزي إلى القرن السابع عشر حين بدأ استخدامها بالمعنى السياسي في منتصف القرن. وكان توماس هوبز قد استخدمها عام 1651 في كتابه **اللّفياثان** للإشارة إلى الفروع المختلفة «للمَلَكية المختلطة» التي أدت إلى الحرب الأهلية في إنجلترا. وقد قدم هوبز وجهة نظر نقيضة لفهم غروتيوس والآخرين لـ «قانون الأمم" وأصر على أن يشير الأخير إلى علاقة قائمة حصرا بين الدول وليس بين الأفراد. وفي كتاب **اللّفياثان**، ذكر هوبز أن نظام حكم مثل "الملكية المختلطة" ليس "كومنولثًا واحدًا **مستقلًا**، بل ثلاثة فصائل **مستقلة**[8]." وقد استغرق الأمر قرنًا آخر قبل أن يكتسب مصطلح "indépendance" باللغة الفرنسية، أو "independency" و/أو "independence" باللغة الإنجليزية، معنى سياسيًا مشابهًا لما سيشير إليه في الربع الأخير من القرن الثامن عشر.

ظل المصطلح في حالة تغيير مستمرّ في أربعينيات القرن الثامن عشر وما بعده، خاصة وأن مونتسكيو نفسه لم يستخدمه في كتابه **روح القوانين** الصادر سنة 1748 بهذا المعنى التقني.

---

6 من أجل ترجمة مصطلح *jus gentium* وأصوله، راجع مؤلف آرثر نوسباوم، **تاريخ مختصر لقانون الدّول** (نيويورك: منشورات The MacMillan Company، 1947) 22-18، 135.

7 أنطوني آنغي، **الإمبريالية والسّيادة وسنّ القانون الدّولي**، (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2004). لا شكّ في أنّ الشّرق كان بارزًا في هذه التّطورات الباكرة، لاسيما فيما يخص مفاهيم كـ «الحرب العادلة.» فقد ساند دي فيتوريا الرأي القائل بقانونيّة القتل العشوائي للأسرى المسلمين وسبي زوجاتهم وأطفالهم وجعلهم عبيدا. راجع نوسباوم، **التاريخ المختصر**، 65.

8 توماس هوبز، **اللّفياثان**، تحرير ج.س. أ. غاسكن، (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1996)، الجزء الثاني، [الفقرة 172]، ص 219.

وبخلاف الدلالة السياسية اللاحقة، كان مونتسكيو قد استخدم المصطلح في إشارة إلى فرد غير مقيد لا تحكمه القوانين، أو شخص يعيش في حالة الطبيعة (أي ما قبل بروز المجتمعات البشرية) حيث بدا مونتسكيو وكأنه يساوي بين «الاستقلال» و «الحرية غير المحدودة»، مصرّا على أن الأخيرة ليست مرادفة لما تعنيه كلمة «حرية.» بغض النظر عن ذلك، لا ينطبق مصطلح «الاستقلال» لدى مونتسكيو على الدول ولا على الأفراد الذين يعيشون داخلها. فقد تناول هذا الأمر بالتفصيل موضّحا أنه «ينبغي علينا أن نكون واعين دائمًا للفارق بين الاستقلال والحرية. فالحرية هي الحقّ في ممارسة ما تسمح به القوانين، وإذا تمكن المواطن من فعل ما تحظره فلن يتمتع بالحرية بعد ذلك لأن جميع نظرائه من المواطنين سيتمتعون عندها بنفس القدرة.»[9] وتماشيًا مع علم المناخ السائد في ذلك الوقت، عبّر مونتسكيو عن قلقه بأنّ الأجساد في المناخات الأكثر دفئًا أكثر عرضة لارتكاب الرذيلة، بما في ذلك الحب والعشق، مقارنة بالأجساد في المناخات الأكثر برودة حيث يكون لدى الناس «القليل من الرذائل» لدرجة أنّهم في البلدان الجنوبية «يكونون بمثابة آلة هشة الهيكل ولكنّها ذات حساسية قوية تسلّم نفسها إما للحب الذي يتصاعد ويتمّ اخماد لهيبه في حرملك النّساء في سرايا [السلطان] أو إلى شغف يترك النساء في حالة أكبر من **الاستقلال**، ممّا يعرّضهن لألوان من القلق [التوكيد مضاف]».[10]

لا تنطبق هذه الميول المناخية نحو الرذيلة عند مونتسكيو على المجتمعات الإسلامية فحسب، بل على المجتمعات الكاثوليكية أيضا. ولذلك فهو يفهم الحريّة في هذا السياق على أنّها الهبة الحصريّة لبروتستانت شمال أوروبا: «فعندما انقسمت، للأسف، الديانة المسيحية، قبل قرنين من الزمان، إلى كاثوليكية وبروتستانتية، اعتنق شعب الشمال البروتستانتية فيما تمسّك سكّان الجنوب بالكاثوليكية... والسبب الواضح وضوح الشّمس هو أنّ شعب الشمال يتمتع بروح الحرية والاستقلال التي ستظلّ ملكه إلى الأبد بخلاف شعب الجنوب، وبالتالي، فإن الدّيانة التي ليس لها رأس مرئي تكون أكثر قبولاً لاستقلال المناخ من تلك التي لها رأس».[11]

نجد في كتاب الألماني كريستيان فون وولف **قانون الأمم** الصادر عام 1749، أي بعد عام من صدور كتاب مونتسكيو، التحول المبكر لمصطلح «مستقل» إلى دلالته التقنية الذي اكتسبها لاحقًا

9 البارون دو مونتسكيو، **روح القوانين**، ترجمة توماس نوجنت، مجلّدين في مجلد واحد (نيويورك: شركة هافنر للنشر، 1949)، ص 150 من المجلّد 1.

10 المصدر ذاته، ص 224-223. المجلد 1.

11 المصدر ذاته، ص 31. المجلّد 2.

في بعض الإشارات المتفرقة.[12] وحيث أنه لا توجد إشارة في الكتاب إلى «استقلال» الدول، فإن صفة «مستقلة» استخدمت للإحالة إلى الأمم والشّعوب: «الأمم حرة بطبيعتها وبالتالي فإن السلطة المدنية، وطريقة ممارستها، أو شكل الدولة، **مستقلّة** تمامًا عن الأمم الأخرى» (التوكيد مضاف).[13]

بعد عقد من الزمان، كان طالب وولف السويسري إمير دي فاتيل هو الذي استخدم المصطلح بطريقة جعلته المصطلح التّقنيّ الجديد الذي أصبح يُعرف باسم استقلال الدولة. في كتابه **حق الأمم** *Le droit de gens* عام 1758، ذكر فاتيل «استقلال» الدولة عن الدول الأخرى عند تناول قدرة الدولة على «أداء الواجبات التي تدين بها لنفسها ولمواطنيها.»[14] وفي غضون تعداده لقوانين الأمم، يدرج فاتيل «حرية واستقلال» الأمم على أنهما ما يشكل قانونه العام الثاني، موضحًا أن «الأمم حرة ومستقلة عن بعضها البعض مثلما يتمتّع النّاس بالحرية والاستقلال بطبيعة الحال»[15]. ويضيف أنه «بعد إثبات الموقف القائل بأن الدول الأجنبية ليس لها الحق في التدخل في حكومة دولة مستقلة فيسهل إثبات أن الأخيرة لها الحق في مجابهة مثل هذا التدخل. أن تحكم الدّولة نفسها بنفسها حسب مصلحتها لهو جزء ضروري من استقلاليتها «.[16]

كان لمسألة الاستعمار-الاستيطاني أهمية قصوى في عقل فاتيل وفكره مما قد يفسر شعبيته اللاحقة بين المستعمرين البروتستانت البيض الناطقين بالإنجليزية وأحفادهم في المستعمرات البريطانية الثلاثة عشر في أميركا الشمالية. ووفقًا لتقليد جون لوك وغيره من المنظرين السياسيين الليبراليين، كان فاتيل عازمًا على تبرير الاستعمار الأوروبي الأبيض لأراضي غير الأوروبيين مسجّلا دعمه خصيصًا للمستعمرين-الاستيطانيّين الناطقين باللغة الإنجليزية، حيث إنه كان أكثر تمييزًا من الآخرين في رفضه إضفاء الشرعية على **كلّ** الاستعمارات الاستيطانية:

أولئك الذين ما زالوا يعيشون هذا النمط الخامل من الحياة ويغتصبون مناطق أكثر اتساعًا ممّا سيكون لهم المقدرة على حكمها حتى وإن بذلوا قدرًا معقولًا من الجهد والعمل فيها، ليس لديهم أيّ سبب للشكوى إذا جاءت أمم أخرى محدودة الأراضي وأكثر اجتهادًا وكدحًا منهم للاستيلاء على

12 كرستيان وولف، **قانون الأمم وفقا للمنهج العلمي**، ترجمة جوزيف هـدرايك، المجلّد الثاني، (أكسفورد، مطبعة كلارنـدون، 1934).

13 المصدر ذاته، ص 123، المجلّد 1..

14 إمير دي فاتيل، **قانون الأمم أو مبادئ القانون الطبيعي المطبّق على سلوك الدّول والملوك وشؤونهم، إلى جانب ثلاث مقالات فكريّة مبكّرة حول طبيعة وأصول القانون الطبيعي واالرفاهية**، تحرير وتمهيد بيلا كابوسي وريتشارد واتمور، ترجمة توماس نوجنت (أنديانابوليس: صندوق ليبرتي فاند،2008)، ص 15.

15 المصدر ذاته، ص 74.

16 المصدر ذاته، ص 292.

جزء من أراضيهم تلك. وهكذا، على الرغم من أن غزو الإمبراطوريات المتحضرة في بيرو والمكسيك كان اغتصابًا سيئ السمعة، إلا أنّ إنشاء العديد من المستعمرات في قارة أميركا الشمالية قد يكون قانونيًا للغاية إذا ما انحصرت أراضيهم في حدود معقولة. حيث إن الناس في تلك الأراضي الشاسعة كانوا يتنقلون فيها بدلاً من أن يسكنوها.[17]

وهنا فإنّ فكرة فاتيل عن الاستقلال تتركّز بالفعل على الاستعمار-الاستيطاني بصفته نموذجا رئيسًا. يخبرنا فاتيل أنّ «الفرد المستقل، سواء طُرد من بلده أو تخلى عنها قانونيًا من تلقاء نفسه، يمكنه أن يستقرّ في بلد يجده دون مالك ويمتلك هناك أراض مستقلة. أيّ شخص يجعل نفسه فيما بعد سيدًا للبلد بأسره لا يمكنه أن يعدل دون احترام حقوق هذا الشخص واستقلاله. ولكن إذا وجد هو نفسه عددًا كافيًا من الرجال المستعدين للعيش بموجب قوانينه، فقد يشكل دولة جديدة داخل البلد الذي اكتشفه مع الإمساك بزمام كلّ من المنطقة التي اكتشفها والإمبراطورية هناك.»[18]

أما تبرير فاتيل السّافر لاستعمار أميركا الشمالية فهو تبرير عنيد لا هوادة فيه ويمتدّ إلى تبرير استعمار أرض «العرب الرعويين» أو البدو الرحل أيضا:

لم يكن لمتوحشي أميركا الشمالية الحق في الاستيلاء على كل تلك القارة الشاسعة لأنفسهم: وبما أنهم لم يتمكنوا من العيش في كل تلك المناطق، فقد تستقر دول أخرى في بعض أجزاء منها دون ظلم بشرط أن تترك ما يكفي من الأرض للسّكان الأصليين. وإذا ما قام العرب الرّعويّون بحرث الأرض بعناية فقد تكفيهم مساحة أقلّ من الأراضي التي يحتاجونها للرعي. ومع ذلك، لا يحق لأيّ أمة أخرى تضييق حدود أراضيهم إلا إذا كانت تحت وطأة الحاجة الماسة إلى للأرض. وباختصار، فهم يمتلكون بلدهم ويستخدمونه بطريقتهم ويجنون منه ميزات ملائمة لأسلوب حياتهم، ولا يقبلون الخضوع لقوانين غيرهم. لكن في حالة الضرورة الملحة، أعتقد أنّه يمكن لناس أن يستقرّوا دون جور في جزء من ذلك البلد ليعلّموا البدو الوسائل الكفيلة بجعلها كافية لاحتياجاتهم الخاصة واحتياجات السكان الجدد من خلال زراعة الأرض.[19]

كان تأثير فاتيل على شخصيات أميركا الشمالية التي قادت المستعمرات الثلاثة عشر إلى "الاستقلال" كبيرًا للغاية. فقد ظهرت الترجمة الأولى لكتابه إلى اللغة الإنجليزية في عام 1760[20]

17 المصدر ذاته، ص 130.

18 المصدر ذاته، ص 310-309.

19 المصدر ذاته، 311-310.

20 راجع نصّ شارل ج. فينويك «مرجعيّة فاتيل» في **مجلّة العلوم القانونية الأمريكية**، المجلّد 7، عدد 3 (أغسطس 1913)، ص 406.

وقد أبلغ بنجامين فرانكلين الناشر السويسري في كانون الأول/ديسمبر 1775 أن الكتاب "كان باستمرار في متناول الكونغرس القائم"[21].وقد أصبح كتاب فاتيل مؤلفا أساسيًا في الكليات الأمريكية "وأصبح المرجع المفضّل في التنظير الأميركي للقانون الدولي بعد إنشاء الجمهورية".[22]

أما ما تسبب بخيبة أمل المستعمرين-الاستيطانيّين البيض من العرش البريطاني فكان زيادة تركيز الثروة في أيدي الرأسماليين الإنجليز في بريطانيا الذين كانوا يتنافسون مع التجار المستوطنين، لا سيما بعد التحسن الكبير في الظروف الاقتصادية التي سادت بعد عام 1720، ولكن بشكل خاص بعد عام 1745,[23] وتبع ذلك فرض سلسلة من الضرائب على المستوطنين، وخاصة قانون السكّر وقانون العملة لعام 1764 وقانون الطوابع لعام 1765، التي خفضت أرباحهم بشكل أكبر لصالح العرش، وهي الأرباح التي جنوها نتيجة الاستعمار المستمر لأرض الأميركيين الأصليين واستعباد الأفارقة. وقد كان تأثير ذلك عليهم أكثر حدة، لا سيما أنه جاء في أعقاب الإعلان الملكي لعام 1763 الذي حظر على المستعمرين البيض الاستيطان في الأراضي الواقعة غرب جبال أبالاتشي في وادي أوهايو، التي كانت مخصصة للأميركيين الأصليين، وإجبار المستوطنين الذين قاموا بذلك على إخلاء الأراضي المسروقة والانسحاب شرقًا، مما أثار غضب المستوطنين البيض وخلق انقسامًا كبيرًا فيما بينهم وبين العرش البريطاني.[24] ولقد أدى هذا الوضع لحث عدد كبير من الأميركيين الأصليين للقتال إلى جانب البريطانيين ضد المستعمرين-الاستيطانيين البيض خلال «الحرب الثورية» بسبب تقييمهم الصائب بأن انتصار المستعمرين-الاستيطانيين البيض سيعني المزيد من الدمار لهم.

في كتابه **المقدمة للاستقلال**، يصف آرثر شليزنغر معاني الكلمات المفتاحية في فترة ما قبل الثورة، بما في ذلك مصطلح الاستقلال:

كان لوصم السياسة البريطانية بـ «الاستبداد» و «القمع» و «العبودية» واقع موضوعي ضئيل أو حتى معدوم، على الأقل قبل إصدار «القوانين غير المحتملة» [التي فرضتها بريطانيا عام 1774] ولكن التكرار المستمر للتهمة أبقى المشاعر قريبة من الغليان... ومن ناحية أخرى، فإن الكلمات المثيرة عاطفيًا مثل «الحرية» و «الانعتاق» و «الاستقلال» جاءت في الوقت المناسب لتكتسب

21 آرميتاج، **الإعلان**، ص 41.

22 نوسباوم، في المرجع المذكور آنفا، ص 161.

23 إيمانويل والرستاين، **النظام العالمي الحديث III: الحقبة الثانية للتوسّع الكبير للاقتصاد الرّأسمالي العالمي، 1730-1840**، (بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 2011)، نشرت أوّل طبعة منه في 1989، ص 196.

24 وودي هولتون، «هنود أوهايو وقدوم الثورة الأمريكية في فرجينيا،» **صحيفة التاريخ الجنوبي**، المجلّد 60، عدد 3 (آب/أغسطس 1994)، ص 478-453.

معنى ثوريا على الرغم من أنها في البداية لم تكن تعني شيئًا أكثر من الوضع الذي كانت تتمتع به المستعمرات قبل عام 1763 [قبل قانون السكر وقانون العملة لعام 1764 وقانون الطوابع لعام 1765]. في المقابل، حل المصطلح السحري "أميركي" الذي يلمّح إلى الجنسية والولاء بعيدًا عن الدولة الأم، محل أقدم التسميات الانفصالية -- "نيويوركي" و "فيرجيني" وما إلى ذلك.[25]

إن ظهور مصطلح «أميركي» الذي أصبح يستخدم بشكل متزايد في ستينيات القرن الثامن عشر من قبل المستعمرين البيض، ليحل أيضًا محل المصطلحات المستخدمة سابقًا، أي «المستعمرين» و «المستوطنين»،[26] هو الأهم في هذا الصدد، لأنه يشير إلى تحول كبير في المصطلح وإلى قوته التوليدية لتوطين المستعمرين واختراع هوية وطنية لهم. في هذا السياق، لاحظ بنيدكت أندرسون في كتابه **المجتمعات المتخيلة** أن المستعمرين الاستيطانيّين في الأميركتين كانوا أول من اخترع مفهوم الهوية الوطنية والقومية التي سيكون لها صدى عالمي في وقت لاحق.[27] ومع ذلك، فإن الأهم من ذلك هو التأكيد على أن مفاهيم الحرية والانعتاق والاستقلال لدى المستعمرين الذكور البروتستانت البيض، سواء أكانوا من ملاك العبيد أم لا، لم يكن يعني في الأساس أكثر من مجرد حماية ممتلكاتهم، بما في ذلك العبيد ومشاريعهم التجارية، من تعدي بريطانيا وضرائبها، والتي بدت بالنسبة إليهم وكأنها شكلًا من أشكال العبودية. لذلك كان لاستقلال المستعمرين الاستيطانيين البروتستانت البيض معنى اقتصاديا مركزيا إلى جانب المعنى السياسي المقابل الذي يضمن بدوره الجانب الاقتصادي.

سيتغير هذا بشكل كبير حينما يصل الاستقلال، بعد أقل من عقدين من الزمن، إلى هايتي الثورية والمستقلة حديثًا التي أطاحت شعوبها السوداء و«الملونة» بالعبودية الاستعمارية لكنها تعرضت لحصار اقتصادي من قبل الولايات المتحدة وأوروبا وأجبرت على دفع تعويضات باهظة لفرنسا. وعندما وصل الاستقلال إلى أميركا الإسبانية بعد أربعة عقود، أثقلت مديونية الدول الجديدة لبريطانيا استقلالها منذ بدايته. وتماشيًا مع تطبيق مفهوم الاستقلال هذا على المستعمرين-الاستيطانيين غير الناطقين بالإنجليزية، ناهيك عن العبيد السود والملونين السابقين لسان دومانغ،

---

25 آرثر م. شليزنجر، **مقدمة للاستقلال، حرب الصحف على بريطانيا، 1764-1776** (نيويورك: آلفرد أ. نوبف، 1958) 34.

26 أنظر كريستوفر ك. بروكس، «السيطرة على الاستعارة: اللغة وتعريف الذات في أميركا الثورية،» مجلة **كليو**، 25.3.1996 233-254.

27 بنيدكت أندرسون، **المجتمعات المتخيّلة، تأمّلات في أصول القومية وانتشارها**، (لندن: فيرسو، 2016).

سيصبح لـ «الاستقلال» الوطني للشعوب غير البيضاء بعد الحرب العالمية الأولى، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، مغزى سياسي وبعيدا كلّ البعد عن المغزى الاقتصادي.

سيترك الأمر للمستعمر الاستيطاني الأبيض المولود في إنجلترا توماس بين، الذي وصل إلى المستعمرات الأميركية البريطانية في عام 1774، لتوضيح ما أسماه «عقيدة الاستقلال» في كراسته واسعة الانتشار **المنطق السليم** الذي وجهها إلى «سكان أميركا» ونشرت في 14 شباط/فبراير 1776,[28] يعرّف توماس بين مصطلح «الاستقلال» في **المنطق السليم** على النحو التالي: «هل القوة التي تغار من ازدهارنا هي قوة مناسبة لحكمنا؟ من يجب على هذا السؤال بالنفي فهو مستقل، فالاستقلال لا يعني أكثر من ذلك، ما إذا كنا سنضع قوانيننا نحن، أو ما إذا كان الملك، أعظم عدو لهذه القارة، هو من سيضعها ويخبرنا بأنّه «لن يكون هناك قوانين غير تلك التي أريد.» «

يعرّف توماس بين أعداء فكرة الاستقلال بوصفهم أعداء للاستعمار-الاستيطاني: "أنت يا من تعارض الاستقلال الآن، أنت لا تعرف ماذا تفعل فأنت تفتح باب الطغيان الأبدي على مصراعيه من خلال إبقاء مقعد الحكومة شاغرا. هناك الآلاف وعشرات الآلاف ممن يعتقدون أنه لأمر عظيم طرد تلك القوة البربرية والجهنمية من القارة، تلك القوة التي حركت الهنود والزنوج لتدميرنا. القسوة لها ذنب مزدوج فإنها تتعامل بوحشية معنا وبغدر معهم.»

على الرغم من معارضته للعبودية والاعتراف بسرقة أراضي وسبل عيش الأمريكيين الأصليين، كان فهم توماس بين للاستقلال مرتبطا حصرا بالمستوطنين الاستعماريين البيض ضمن إطار التفوق الأبيض البروتستانتي الناطق بالإنجليزية.[29] خلال «الحرب الثورية»، وعد كل من المستعمرين الشماليين (أي في المستعمرات الشمالية) والعرش البريطاني العبيد السود بالحرية إذا انضموا إلى جيوشهم، لكن عشرات الآلاف من العبيد فضلوا أن يدعموا البريطانيين، إذ قاتل الآلاف منهم في

---

28 نـصّ الكتـاب متوفّـر مـن خـلال هـذا الرابـط هنـا:/https://www.learner.org/workshops/primarysources/revolution/docs/Common_Sense.pdf

29 يفضـح توماس بيـن مفارقـة معارضـة المسـتعمرين البيـض للاسـتبداد. فقـد كتـب إلـى إحـدى الصحـف فـي آذار/مـارس 1775 متسـائلا: «بـأي منطـق أو لياقـة»، يمكـن للمسـتعمرين الاسـتيطانيين البيـض «أن يشـتكّوا بصـوت عـالٍ مـن محـاولات اسـتعبادهم بينمـا يحتجـزون مئـات الآلاف مـن العبيـد.» ذكرهـا إيريـك فونـر فـي **تـوم بيـن وأميـركا الثوريـة**، (نسـخة معدّلـة بتمهيـد جديـد)، (أكسـفورد: مطبعـة جامعـة أكسـفورد، 2005)، ص 73. سـخر بيـن أيضًـا مـن دور المبشـرين المسـيحيين الذيـن يحاولـون تبشـير قبيلـة أوسـاج الأميركيـة الأصليـة، لكنـه لـم يقتـرح أن الاسـتقلال الـذي سـعى إليـه لصالـح المسـتعمرات الأمريكيـة يشـمل تلـك القبيلـة. راجـع كتـاب كريسـتوفر هيتشـنز، **حقـوق الإنسـان لتومـاس بايـن: سـيرة**، (لنـدن: منشـورات الأطلسـي، 2006)، ص 107.

صفوفهم.[30] وفي حالة المستعمرات الجنوبية المتمردة وعلى عكس نظيراتها في الشمال، وعدت فيرجينيا وجورجيا وكارولينا بمنح الرجال البيض، الذين يتطوعون للقتال في صفوفها في الثورة على البريطانيين، أراض وعبيد.[31]

لن يتم تبني إرث الاستقلال هذا فقط من قبل مالكي العبيد الفرنسيين البيض في سان دومانغ أو «الكريول» البيض في أميركا الإسبانية وإنما أيضًا من قبل المستوطنين الهولنديّين في جنوب إفريقيا والمستعمرين الأميركيين السود في غرب إفريقيا وبحلول نهاية القرن التاسع عشر، المستعمرين الإنجليز والفرنسيين في كندا وأستراليا ونيوزيلندا والمستعمرين الأوروبيين ذوي العرق المختلط Indische في باتافيا في إندونيسيا، ناهيك عن الأنجلو-هنود، والريهوبوث باسترز في ناميبيا، والمستوطنين الفرنسيين في الجزائر، والمستعمرين-الاستيطانيين اليهود الصهاينة في فلسطين، والمستعمرين البريطانيين في روديسيا، وحتى في كينيا. وستنضم إليهم في مطلع القرن العشرين شعوب العالم المستعمَرة التي تعيش في المستعمرات والمستعمرات-الاستيطانية التي ستستخدم بدورها مفهوما أحدث لتحقيق الاستقلال الذي أصبح يعرف باسم حق «تقرير المصير».

بالإضافة إلى المفهوم الرئيس لـ «الاستقلال»، غالبًا ما يُزعم أيضًا أن القومية المناهضة للاستعمار ومبدأ تقرير المصير يتشاركان في الواقع في ذات تاريخ، وأن تقرير المصير هو المبدأ الذي من خلاله يمكن لمناهضي الاستعمار تحقيق هدفهم المعلن المتمثل في الاستقلال عن الاستعمار.[32]

30 بخصوص أعداد العبيد الهاربين الذين انضموا إلى البريطانيين وتم إطلاق سراحهم وإجلاؤهم معهم والجدل حول أعدادهم الفعلية، انظر كاساندرا بيبوس، «الحسابات الخاطئة لجيفرسون: مسألة انشقاق العبيد في الثورة الأمريكية،» **الجريدة الفصلية ويليام آند ماري**، السلسلة الثالثة، الجزء 62، عدد 2، أبريل 264-243 ،2005. راجع أيضا كتاب وودي هولتون، **الأميركيون السود في الحقبة الثورية: تاريخ موجز موثّق**، (بوسطن: مارتنز بيدفورد ستريت، 2009).

31 روبن بلاكبورن، **إسقاط العبودية الاستعمارية** 1848-1776، (لندن: فيرسو، 1988)، ص 116. كان توماس جيفرسون قد أدرج فقرة مناهضة للرق في الإعلان الأصلي والتي كان لا بد من حذفها في النسخة النهائية بناءً على طلب مندوبين من كارولينا الجنوبية وجورجيا وماساتشوستس وكونيتيكت ورود آيلاند. راجع كتاب هربرت آبثيكر، **الثورة الأمريكية**، 1783-1763، (نيويورك:انترناشيونال ببليشرز، 1960)، ص 213. أدرج آبثيكر نصّ الفقرة المحذوفة. راجع كتاب آرثر زيلفرسميت، **الانعتاق الأوّل: إلغاء العبودية في الشّمال** (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 1967)، ص 7.

32 هذا تأكيد موجود في الأدبيات الفلسطينية المناهضة للاستعمار كما هو الحال في السّياقات الأخرى المناهضة للاستعمار. راجع على سبيل المثال كتاب شفيق الرشيدات، **المقاومة الفلسطينية وحق تقرير المصير**، (القاهرة: مطبعة أولاد عبده أحمد، 1970). يعتمد القسم الذي يتمحور حول حق تحقيق المصير على دراستي "ضد تحقيق المصير» المنشور في مجلة **هيومانيتي** Humanity: **صحيفة دولية تعنى بحقوق الإنسان والنزعة الإنسانية والتنمية**، الجزء 9، عدد 2، صيف 2018.

تروي الحكاية أن كلّا من حركة مناهضة الاستعمار ومبدأ تقرير المصير قد نشآ تقريبا عند نفس المنعطف التاريخي وأن الاعتراف الاستعماري بأحدهما يؤدي تلقائيًا إلى الاعتراف بالآخر. ومع ذلك، نكتشف عند الفحص الدقيق أنّ هذه الرواية تبدو مضللة أيضا. فلا يبدو فقط أن الشكل السائد لتقرير المصير عبارة عن مبدأ مصمم للحد من مطالب القومية المناهضة للاستعمار ولتعزيز ادعاءات الاستعمار، لا سيما الاستعمار-الاستيطاني و»حقه في الغزو»، ولكن الأهم من ذلك هو أن الرفض والمقاومة الاستعمارية والاستعمارية-الاستيطانية للاعتراف بالمستعمَرين بصفتهم أممًا تستحق الاستقلال لن يتم تخفيفهما إلا عندما يصبح مبدأ تقرير المصير المعيار العملي الذي يمكن من خلاله إبطال الاستقلال السياسي الحقيقي، ناهيك عن الاقتصادي. وفي حالة الاستعمار الاستيطاني، لن يقبل المستعمرون-الاستيطانيون بالاعتراف بأن الشعوب الأصلية التي اغتصبوا أراضيها هي أمم إلا في اللحظة التي يتم فيها تقديم تقرير المصير كمبدأ أو حق ليس فقط لا يؤدي إلى الهدف المعلن، ألا وهو «الاستقلال» عن الاستعمار الاستيطاني، بل كمبدأ وحق يعرقله بشكل فعال أيضًا.

يمكن ملاحظة ذلك في المستعمرات الاستيطانية حول العالم. فقد حارب المستعمِرون حول العالم، من الأميركيتين إلى أستراليا، ومن فلسطين والجزائر إلى روديسيا وجنوب إفريقيا، واحتفظوا في الغالب بـ «حقهم في الغزو» كحق في «تقرير المصير.» كانت القومية الاستعمارية الأوروبية مبنية على فهم أن الدول المستعمِرة، مثل بريطانيا وفرنسا، تشكل أممًا، حيث اعتُبرت الأمة بأنها الشكل المتحضر للمجتمع وحتى باعتبارها إنجازًا سياسيًا، لا ينطبق على العديد من المستعمَرين، ناهيك عن مقدرتهم على تحقيقه. وفي هذا السياق، أنكر البريطانيون والفرنسيون أن المصريّين والهنود يشكلون أمًما وأعلنوا أنهم ليسوا أكثر من مجموعات متنوعة من المجتمعات والقبائل والعشائر والطوائف المختلفة، إلخ. وقد أنكر الفرنسيّون أيضا أنّ الجزائريّين كانوا أمّة. ولقد عرّف حاكم مصر الإنجليزي، اللورد كرومر، المصريين على أنهم «سكّان مصر»، وأصر على أنه لا يوجد شيء اسمه «المصريين الحقيقيين»، بل مجموعة من الفلاحين والبدو والأقباط والأتراك والسوريين واليهود وشيوخ الأزهر والشركس والشّوام «الذين يتحدى وضعهم العرقي كلّ المقاييس»، ويونانيّين وأرمن وتونسيّين وجزائريّين وسودانيّين ومالطيّين و»سلالات من أنصاف الأعراق المختلطة.» وبخلاف «الإنجليز أو الفرنسيين أو الألمان»، الذين يمكن للمرء أن يتعرف عليهم من خلال النظر إلى وجوههم، فإن «سكان مصر» لم يكونوا أمة سياسيًا أو جسمانيًا، ناهيك عن أنهم لم يكونوا

حتى عرقًا واحًدا.[33] وقد كانت السياسة الاستعمارية العرقية الفرنسية في الجزائر قبل عام 1954 تهدف على وجه التحديد إلى تقليل القواسم المشتركة بين الجزائريين والتأكيد بدلاً من ذلك على اختلافاتهم. بالنسبة للاستعمار الفرنسي، كان الجزائريون يتكونون من القبائل الكبرى والقبائل الصغيرة والأوراس (الأمازيغ والعرب المختلطين) والعرب والسود. في حالة الهند، كان ونستون تشرشل هو الذي أعلن ما يلي: «الهند مفهوم تجريدي... الهند مصطلح جغرافي. القول بأنها أمة موحدة كالقول إن خط الاستواء هو أمة موحدة.[34]" كما أعلنت غولدا مائير (واسم عائلتها الأصلي مابوفيتش)، الزعيمة الأوكرانية للمستعمرين اليهود الأوروبيين في فلسطين في أواخر عام 1969 أنه "لم يكن الأمر كما لو أنه كان هنالك شعب فلسطيني في فلسطين يعتبر نفسه شعبًا فلسطينيًا وقد أتينا وطردناهم وأخذنا بلادهم منهم. فهم لم يكونوا موجودين.»[35] ينبغي التّمييز بين إنكار الهوية الوطنية والقومية لأولئك الذين استعمرهم المستعمرون الأوروبيون والدعم الذي قدمته القوى الأوروبية في القرن التاسع عشر للقوميات داخل الإمبراطورية العثمانية لغرض تفكيكها - هنا يعتبر الدعم الأوروبي للقوميات المسيحية اليونانية والبلغارية أمثلة رئيسة.

لكن النقاش حول دعم حق الأفارقة الأصليين بترك أراضيهم للمستعمرين الأوروبيين راج في سياق **التدافع** الأوروبي لاستعمار إفريقيا وخلال انعقاد مؤتمر برلين من 1884 إلى 1885. في الواقع، تم تجسيد **التدافع** بشكل متزايد من خلال التفاوض لتوقيع معاهدات مع الملوك الأفارقة. وقد أصرّ جون كاسون، أحد المندوبين الأميركيّين في مؤتمر برلين، على أن القانون الدولي الحديث كان يؤدي إلى الاعتراف «بحق القبائل الأصلية في التخلي عن نفسها وعن مناطقها الموروثة»، وأن هذا الحق يجب «توسيعه» ليشمل «الموافقة الطوعية للسكان الأصليين الذين يتم الاستيلاء على بلدهم، في جميع تلك الحالات التي لم يتسببوا هم فيها في العدوان على مناطقهم.»[36] ولقد كان

---

33 راجع كتاب اللورد كرومر، **مصر الحديثة**، المجلّد 2، (لندن: منشورات The MacMillan Company لسنة 1916)، ص 128-127-126.

34 ذكر في كتاب ويليام مانشستر، **الأسد الأخير: وينستون سبنسر تشرشل: رؤى المجد**، 4781-2391، (نيويورك: بانتام، 1984)، ص 836.

35 جريدة **الصّنداي تايمز اللندنية**، 15 حزيران/يونيو، 1969.

36 بروتوكول 31 كانون الثاني/يناير 1885، الوثيقة البرلمانية، ج. 4361، ص 209، غافين وبيتلي (1973) ص 240، المذكورة في مقال ماثيو كرافين، «بين القانون والتاريخ: مؤتمر برلين 1885-1884 ومنطق التّجارة الحرّة، **مجلّة القانون الدّولي اللّندنيّة** (2015) ص 47 :(1) 3. راجع أيضا كتاب سيبا نزاتيولا غروفوغي **الملوك وأشباه الملوك والأفارقة: العرق وتقرير المصير في القانون الدّولي**، (مينيابوليس، مطبعة جامعة مينيسوتا، 1996)، ص 80.

هذا الحق للمستعمَر بالتصرف في نفسه، كما يقول سيبا نزاتيولا غروفوغي، هو الذي فُسّر في القرن العشرين على أنه «حق تقرير المصير».[37]

أدّى ظهور القوميات المناهضة للاستعمار في فترة الحرب العالمية الأولى إلى تنازل كبير من قبل القوى الاستعمارية، وهو تنازل كان يمكن أن يهدّد الحكم الاستعماري ككلّ. وتوازيا مع هذا التطور، كان المستعمرون-الاستيطانيون الأوروبيون في إفريقيا وآسيا يبحثون أيضًا عن ترتيب من شأنه أن يحدّ من سلطة الدولة الأم الاستعمارية بينما يحافظ في نفس الوقت على امتيازات المستعمرين-الاستيطانيين الأوروبيين وتوسيعها. وفي حالة المستعمرين الأوروبيين في جنوب إفريقيا، بدأ هذا الأمر منذ منتصف القرن التاسع عشر وكلّل بنجاح جزئي، ولكنّه مني بالهزيمة من قبل البريطانيين في حروب البور. أمّا المستعمرون اليهود الأوروبيون في فلسطين، فاضطروا للانتظار حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، فيما سعى المستعمرون الفرنسيون في الجزائر إلى الاستقلال في أواخر القرن التاسع عشر لكنهم لم يتمكنوا من تحقيقه، ومن ثم دبّروا انقلابا عام 1961 ضد الحكومة الفرنسية عندما أدركوا أنها على وشك التنازل عن الاستقلال لجبهة التحرير الوطني الجزائرية.[38]

وفي سبيل تهدئة المطالب القومية المناهضة للاستعمار، برزت الحاجة إلى صيغة استعمارية جديدة تقرّ بالاستقلال مع إطالة أمد الحكم الاستعماري والاستعماري -لاستيطاني إلى أجل غير مسمى. ولكن ما أن ظهر حق تقرير المصير في أواخر تسعينيات القرن التاسع عشر كمبدأ اشتراكي، كان قد تبناه كارل كاوتسكي والأهم من ذلك فلاديمير لينين، كحق مناهض للاستعمار بامتياز، ازداد قلق البلدان المستعمِرة والمستعمرين-الاستيطانيّين من تزايد شعبيته. وفي سياق الثورة الروسية، التي سرعان ما شرعت بتطبيق حق تقرير المصير على الرعايا غير الروس للإمبراطورية الروسية السابقة، اختطف وودرو ويلسون هذا المفهوم الاشتراكي وروّج له في مؤتمر باريس للسلام كحق وجب منحه فقط لمستعمرات الإمبراطوريات المهزومة في الحرب العالمية الأولى، ولكن بالتأكيد ليس لمستعمرات الإمبراطوريات المنتصرة.

اتفق لينين مع روزا لوكسمبورغ على أن القومية لا يمكن أبدًا أن تجلب الاستقلال الاقتصادي ولا أن تمنح قدرة اقتصادية للطبقة العاملة الوطنية، ولكن على عكس لوكسمبورغ، أصرّ لينين

37 المصدر ذاته.

38 أليستير هورن، **حرب وحشيّة من أجل السّلام: الجزائر 1954-1962**، (لندن: منشورات ماكميليان، 1977)، ص 436-460.

على أهمية تقرير المصير السّياسية ضد شوفينية الشعوب المستعمِرة، كشوفينية قوميي «روسيا العظمى»، وميّز بين قومية الأمم «المضطهِدة» و «الأمم المضطهَدة» مقدّما دعمه للأخيرة. كان مفهوم ويلسون لتقرير المصير، بخلاف مفهوم لينين، مفهومًا منح الفعالية السياسية ليس فقط للمستعمَرين في الإمبراطوريات المهزومة، ولكن أيضًا للمستعمِرين، وسعى إلى تحقيق التوازن بين الاثنين بصورة مماثلة - «يجب أن يكون لمصالح السكان المعنيين وزن متساوٍ مع الحكومة العادلة التي سيتم تحديد عنوانها.» كان هدف ويلسون الصريح هنا هو مساواة الأقوياء والضعفاء (أو كما سماها لينين «الأمم المضطهِدة» و «الأمم المضطهَدة») ويبدو أنه افترض أن تقرير المصير سيشكل قناعًا لـ «حق الغزو» بدلاً من السعي إلى تقويضه.[39] أما دعم ويلسون لنظام الانتداب الذي كان خاضعا للمساءلة أمام عصبة الأمم الجديدة، فقد كان بالأساس دعمًا لغطاء مؤسسيّ جديد للغزوات الإمبريالية.

وقد أجمع المنتصرون على هذا التقييم في جميع أنحاء أوروبا. واعتمدت عمليات إعادة الترتيب الجغرافية بعد الحرب العالمية الأولى الذي قام بها المنتصرون على «حق الغزو» وليس على «حق تقرير المصير» في المقام الأول من أجل منع ظهور دولة ألمانية عظمى تشمل جميع السكان الناطقين بالألمانية في أوروبا.[40] وهكذا، وفي حين أنه تمّ احتواء النّسخ الاشتراكية واللينينية لمفهوم تقرير المصير لغرض شنّ حرب دعائية أميركية وأوروبية إمبريالية، فإن ما انتصر بعد الحرب العالمية الأولى، لاسيما من خلال عصبة الأمم، كان حقّ الغزو الذي من خلاله تمت إعادة توزيع الغنائم الجغرافية للحرب.

وعلى غرار مفهوم الاستقلال، كان أول من طالب بحق تقرير المصير في العالم المستعمَر هم المستعمرون-الاستيطانيون البيض في جنوب إفريقيا بعد حرب البور. وهنا يجدر بنا أن نولي

39 في محاولة لزيادة أهمية حق تقرير المصير بحسب تعريف ويلسون والتقليل من أهمية تعريف لينين، صرح إيريز مانيلا بوضوح أنّ وضع الولايات المتحدة، التي ظهرت كقوة عالمية بعد الحرب العالمية الأولى، هو الذي أعطى وزنًا أكبر للمبدأ الويلسوني في أنحاء العالم المستعمَر. لكن ادعاءه أن تأثير لينين لن يأتي إلا لاحقًا، أي بعد انتهاء الحرب الأهلية في الاتحاد السوفييتي الناشئ وتضاؤل ما يسميه «اللحظة الويلسونية" إنما يقلل من التأثير الهائل الذي أحدثه انتصار الثورة الروسية في ذلك الوقت بين المستعمَرين في جميع أنحاء العالم، ناهيك عن عقد الشيوعيين الروس لمؤتمر شعوب الشرق في باكو في أيلول/سبتمبر 1920 والذي دعا إلى قيام حركات النضال المناهض للاستعمار معلنا تضامنه معها. راجع كتاب مانيلا، **اللّحظة الويلسونيّة**، ص 10-7. راجع أيضا نقد إريك د. فايتز لاسقاط تأثير لينين على استعمال مصطلح حق تقرير المصير في المراجع الأكاديمية في كتابه **تقرير المصير**)، ص 485.

40 فيش، **الحقّ في تقرير مصير الشّعوب**، ص 159-147.

اهتمامًا خاصًا بالمستعمرات -الاستيطانية كنموذج امتد أيضا إلى المستعمرات غير الاستيطانية. فقد كان زعيم جنوب إفريقيا الأفريكاني يان سْمَتس هو الذي صاغ المبدأ الاستعماري للحكم الذاتي لمستعمرات المستوطنين البيض على شاكلة «مناطق سيادية» أو Dominions وكذلك تم استخدام مبدأ «تقرير المصير» المنسوب إلى وودرو ويلسون كسلاح.[41] فقد كان مبدأ «الحكم الذاتي» السابق مستخدمًا من قبل المستعمِرين الأوروبيين، لا سيما في أنحاء الإمبراطورية البريطانية، ولكن نظرًا لأن مبدأ «الحكم الذاتي» كان محصورًا بالمستوطنين البيض ولم يشمل السّكان الأصليين تحت مظلته، لم يكتسب الاهتمام العالمي الذي اكتسبه التعريف الويلسوني لـ «تقرير المصير» بعد الحرب العالمية الأولى، وذلك في المقام الأول بسبب تطبيق الأخير على المستعمِرين والمستعمَرين على حدّ سواء، حيث إنه ساوى ما بين غير المتساوين في خطوة هدفت لتقويض التعريف اللينيني.

كان اللورد البريطاني كورزون صريحًا في اجتماع لمجلس الوزراء عندما أعلن في كانون الأول/ ديسمبر 1918 أن بريطانيا «ستلعب لعبة حق تقرير المصير حتى استنفاذ قيمته» من أجل الحفاظ على المكاسب الاستعمارية،[42] أو على نحو أدق، من أجل استخدام تقرير المصير كغطاء لحقّ الغزو. وقد اعتمد الحاكم البريطاني السابق لنيجيريا والممثل البريطاني لدى لجنة الانتدابات الدائمة لعصبة الأمم، اللورد فريدريك لوغارد، هذه الاستراتيجية واستغلّها. وقد أوضح ذلك في الدليل الكلاسيكي الذي كتبه للمسؤولين الاستعماريين البريطانيين: «إن المناطق الاستوائية هي تراث البشرية، وليس لسلطة الحكّام [الكولونياليين] الحق في استغلالها الحصري من ناحية ولا للأعراق التي تسكنها الحق في إنكار خيراتها على من يحتاجون إليها من ناحية أخرى.»[43] أما منهج لوغارد، الذي يذكرنا بمبررات دي فاتيل للغزوات الاستعمارية، فقد كان ناجعًا للغاية في المستعمرات غير الاستيطانية، حيث قام بدعم «الحكام الأصليين ومجالسهم» بدلًا من حكومة تمثيلية منتخبة.[44] أما

41 ج.س. سْمَتس، **عصبة الأمم: اقتراح عمليّ** (نيويورك: مؤسسة مطبعة ذي نايشن، 1919). فيما يخصّ وضع إيرلندا راجع كتاب ماري كولمان، **الثورة الإيرلنديّة، 1923-1916** (لندن: منشورات روتلدج،50-48 ،(2014.

42 ذكرت في كتاب بيدرسون، **الأوصياء: عصبة الأمم وأزمة الامبراطورية**، (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2015)، ص 27. لقد عبّر الدبلوماسي الاستعماري البريطاني مارك سايكس المشهور بـ «اتفاقية سايكس بيكو» عن مشاعر مماثلة حول كيفية حكم البريطانيين لبلاد ما بين النهرين. راجع كتاب جوزيف مسعد، **الإسلام في الليبرالية**، (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 2015)، ص 94.

43 فريديريك لوغارد، **الانتداب البريطاني المزدوج في إفريقيا الاستوائية**، الطبعة 5. هامدن، منشورات س.ت أرشون، 1965)، صفحة 61.

44 المصدر ذاته، ص 195.

المستعمرات الاستيطانية، كما كان الحال في كينيا وروديسيا (ناهيك عن جنوب إفريقيا وفلسطين)، فقد كان للمستوطنين الأوروبيين جملة مختلفة من الأولويات المحلية غير المرتبطة مباشرة بالبلد الأم.

تشبه روديسيا فلسطين أكثر من غيرها من حيث إن استعمارها من قبل المستوطنين الاستعماريين البيض بدأ في تسعينيات القرن التاسع عشر، وليس قبل ذلك كما هو الحال في جنوب إفريقيا والجزائر أو الأميركتين وأستراليا، وبالفعل يكتسب المستوطنون قدرًا كبيرًا من السلطة في أوائل العشرينيات تمامًا كما كان الحال مع الصهاينة، على الرغم من أن مستعمري روديسيا كانوا أول من أقام مستعمرة ذات حكم ذاتي ببرلمانها الخاص وقوات الجيش والشرطة خاصّتها ممارسين حقّ «تقرير المصير» الويلسوني في وقت مبكر من عام 1923 عبر ما كان يسمّى بـ«الحكومة المسؤولة»[45]. وبشكل عام، فإن نفوذ لوغارد، بحسب سوزان بيدرسن، «عزّز وشرّع ردّ الفعل ضد حق تقرير المصير.»[46] لكن يمكننا اعتبار هذا الاستنتاج صائبًا فقط إذا كان المقصود بمبدأ تقرير المصير هو نسخته اللينينية، وليس النسخة الويلسونية التي أعادت صياغته. أما إذا فهمنا المقصود بحق تقرير المصير في هذا السياق على أنه يشير إلى الصيغة الويلسونية، فإنّ تأثير لوغارد في الواقع عزّز التعريف الإمبريالي لما يعنيه مصطلح تقرير المصير. وهكذا، انتقل تقرير المصير بحسب أوروبا والولايات المتحدة من دعم المستوطنين الاستعماريين البيض في المستوطنات الاستعمارية الأميركية والإفريقية والآسيوية والأوقيانوسية إلى استيعاب النخب القومية المستعمَرة المتعاونة و/أو الخاضعة، وهو أمر سيتم تطبيقه في جميع أنحاء العالم بعد الحرب العالمية الثانية ليصبح أساس النّقد الفانوني للقوميّة المناهضة الاستعمار.[47]

إن فكرة الهيمنة القائلة إذن بأن «تقرير المصير» هو مبدأ تقدمي كان له دائمًا تاريخ اشتراكي و/أو مناهض للاستعمار يمنح الفعالية السياسية للدّول التي كانت مستعمَرة هي فكرة خاطئة، إذ يتجاهل هذا الطرح كيف أن «تقرير المصير» قد تم احتواؤه وتحويله من سياقه الاشتراكي في وقت مبكر وتم تبنيه من قبل القوى الإمبراطورية والاستعمارية-الاستيطانية لغرض صريح يتمثّل في الحفاظ على المكاسب الاستعمارية، لاسيما في حالة المستعمرات-الاستيطانية حيث تمنح الفعالية بشكل تمييزي للمستعمِرين على حساب المستعمَرين. يجب أن نتذكر هنا أنه حتى هتلر

45 راجع لاري و. بوومان، **السياسة في روديسيا، سلطة البيض في دولة أفريقية**، الطبعة الخامسة (كامبريدج: مطبعة جامعة هارفارد، 1973).

46 بيدرسون، **الأوصياء**، ص 109.

47 راجع كتاب فرانز فانون، **بؤساء الأرض**، (نيويورك: مطبعة غروف، 2004).

والنازيون، شأنهم شأن ويلسون ولويد جورج من قبلهم، وجدوا مفهوم تقرير المصير قناعًا ممتازًا لحق الغزو الذي استخدموه لضم أراضي المتحدثين بالألمانية إلى الرايخ الثالث، كما فعلوا في حالتي النمسا والسوديتنلاند الشهيرتين.[48]

وفيما حدّدت أنماطُ القومية كأيديولوجيا اللغةَ والدينَ والاقتصاد والأراضي والإثنيّة والعرق والدم كأساس للهوية المشتركة وللاختلاف، فقد تم تعريف الوطني والأجنبي قانونيًا عبر الدّول القومية المستعمِرة منذ بدء قوانين الجنسية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بناء على رباطين حصريين، هما الدم والأرض. كان الألمان سبّاقين في استخدام حق الدّم *jus sanguinis*، الذي يُنظر إليه غالبًا على أنه مفهوم جوهرانيّ، بينما اختار الفرنسيون تاريخيًا حق الأرض *jus soli*، الذي يُنظر إليه على أنه مناهض للجوهرانية. حذت الدول المستقلة عن الاستعمار حذو الدول التي استعمرتها بتبني قوانين تكرّر حرفيًا قوانين أسيادها المستعمرين، غالبًا عبر مزيج من حق الأرض وحق الدّم. أما ما استطاع المستوطنون الاستعماريون تحقيقه فهو استحضار هذا الارتباط لأنفسهم وفصل السّكان الأصليين والمستعمَرين عنه تحت مظلّة «تقرير المصير» الواسعة. وهذا ينطبق على السكان الأصليين أو «الأمم الأولى» في كندا وكذلك على السكان الأصليين الأستراليين، والسود في جنوب إفريقيا وزيمبابوي، والأميركيين الأصليين أو «الهنود الحمر» في الولايات المتحدة، والفلسطينيين، على سبيل الذكر لا الحصر.

بعد الحرب العالمية الثانية، قبل المستعمِرون والمستوطنون الأوروبيون ببطء واقع أنه لا مفر ولا بد من الاعتراف بأنّ المستعمَرين يُعتبرون أيضًا أممًا ممّا يمنحهم الحقّ في تقرير المصير. وقد أصبح هذا الاعتراف الآلية الاستعمارية التي يتمّ من خلالها اختيار أي من صيغ حق الدم وحق الأرض هي التي يجب إيلاؤها أولوية على غيرها. وكانت الاستراتيجية المتبعة في جميع المستعمرات الاستيطانية على النحو التالي: الاعتراف بحق الأرض وحق الدّم لجميع المستعمِرين الاستيطانيين الأوروبيّين لضمان سيطرتهم على جميع الأراضي التي سرقوها وما زالوا يسرقونها مع الإقرار أخيرًا بأن السكان الأصليين هم أمم بمعنى أنهم يمتلكون حق الدم، وهو ما أنكره المستعمِرون والمستوطنون في السابق، حيث إن هذا الإقرار لن يمنح السكان الأصليين أكثر من الحقوق المتعلّقة بالهويّة والثّقافة القوميّة. في ذات الوقت، وتماشياً مع آراء جون لوك ودي فاتيل وويلسون ولويد جورج ولوغارد، سيصر المستعمِرون والمستوطنون على إنكار حق الأرض للشعوب الأصلية من أجل إبقاء أراضيهم في أيدي المستوطنين الاستعماريين.

48 بخصوص استغلال النازيّين لتقرير المصير، راجع كتاب فيشر، **الحقّ**، ص 172-160.

لقد أصبح هذا هو المعيار العملي منذ الستينيات في كل من حالات المستعمرات-الاستيطانية في الجزائر وكينيا وزيمبابوي حيث كان لا بد من الحفاظ على حقوق المستوطنين حتى بعد الاستقلال الوطني للمستعمَرين، وكذلك الأمر في جنوب إفريقيا وفلسطين. ولكن الأهمّ من ذلك هو عملية تعميم هذا المعيار من خلال إعلان الأمم المتحدة لحقوق الشعوب الأصلية الصادر في عام 2007 والذي عزز هذا الفهم أكثر. وتنص ديباجة إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية صراحة على أنه «لا يجوز استخدام أي شيء في هذا الإعلان لحرمان أيّ شعب من حقه في تقرير المصير الذي يمارس وفقًا للقانون الدولي»، وهو ما يمكن أن ينطبق بسهولة على المستوطنين الاستعماريين كما حصل بالفعل في كثير من الأحيان. وقد قررت حكومة باراك أوباما التي صوتت ضد الإعلان في عام 2007 القبول به في عام 2010 بعد التأكيد على المادة 46 منه التي تضمن عدم تهديد الإعلان للأراضي التي استوطنها المستعمرون الاستيطانيّون الأوروبيون.[49] وتنص المادة على أنه «لا يجوز تفسير أي شيء في هذا الإعلان على أنه يعني ضمنا بالنسبة إلى أية دولة أو شعب أو مجموعة أو شخص أي حق في ممارسة أي نشاط أو القيام بأي عمل مخالف لميثاق الأمم المتحدة أو يفسر بأنه يأذن أو يشجع على القيام بأي عمل من شأنه تقطيع أوصال أو تفتيت الوحدة الجغرافية أو الوحدة السياسية كليًا أو جزئيًا للدول المستقلة وذات السيادة.» وعلى هذا النحو، فإن الإعلان قد حدّ من الفهم العام لحق تقرير المصير في القانون الدولي باعتباره الفهم الذي كان يمنح في السابق الحق في الاستقلال، بتحويل هذا الحق، عندما يطبق على السكان الأصليّين، باعتباره الحق الذي يمنحهم فقط الحق في «الحكم الذاتي» والمشاركة السياسية داخل الدول القائمة وليس خارج سيادتها.[50]

هنا يكمن الشّكل التاريخي والمعاصر لإشكاليّة حق تقرير المصير وعلاقته القانونية والخطابية بالقومية المناهضة للاستعمار والسعي إلى الاستقلال، وبشكل خاص في علاقته بالمستعمرات الاستيطانية الأوروبية. يبدو أن وضع الفلسطينيين، الذي يستمر في إطاره المستعمرون الاستيطانيّون اليهود الأوروبيون في الحكم، يستنهض شكلاً واحدًا أو ربما يطبّق كواحد من صيغ حق تقرير المصير العديدة – هناك أيضًا أمثلة الماوريين والسكان الأصليين الأستراليين والأمم الأولى في كندا والأميركيين الأصليين في الولايات المتحدة والشعوب الأصلية في جميع أنحاء أميركا اللاتينية. ولكن،

49 راجع http://www.state.gov/documents/organization/184099.pdf

50 وفيما يتعلق بالابتكارات الجديدة الممكنة لتقرير المصير نتيجة لإعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية، انظر هيلين كوان، «إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية: توجّهات جديدة في تقرير المصير والحقوق التّشاركيّة» في كتاب **تأمّلات...**، حققه آلن وزانثثاكي، 287-259.

ثمة شكل آخر من أشكال المعضلة وهو الوضع في روديسيا وجنوب إفريقيا. ففي حالة روديسيا، عند الهزيمة الوشيكة للمستوطنين البيض من خلال توقيع اتفاقية لانكاستر هاوس لعام 1979 التي سهّلت «استقلال» زيمبابوي، تعهّدت الحكومة البريطانية بحماية جميع أراضي المستوطنين التي تم الاستيلاء عليها عن طريق الاستعمار. وقد قيّدت الاتفاقية أيدي حكومة زيمبابوي بعد الاستقلال من الخوض في عملية الإصلاح الزراعي في البلاد لمدّة عشر سنوات في البداية، بينما قدّمت الحكومة البريطانية (ومعها حكومة الولايات المتحدة في عهد جيمي كارتر) أموالاً لـ «تعويض» المستعمِرين البيض عن أراضيهم على أساس «البائع الراغب في البيع والمشتري الراغب في الشراء»، ممّا ضمن الحفاظ على «حق الأرض» للمستعمِرين البيض مع استمرار حرمان السّكان السود الأصليين في زيمبابوي منه. وفي نهاية المطاف، استمر هذا الوضع لمدة عقدين حتى عام 2000 عندما بدأت الحكومة الزيمبابوية بالاستيلاء القسري على المزارع المملوكة للبيض دون تعويضهم. وقد جاء الردّ الغربي بسرعة قصوى على هذا الانتهاك لحقّ الغزو للمستوطنين البيض. وذلك بفرض كلّ من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي عقوبات فورية على زيمبابوي.[51]

في حالة جنوب إفريقيا، وفي اللحظة التي تم منح حق تقرير المصير السياسي لأغلبية السكان غير البيض في عام 1994، سلبت الهيئات والأدوات الاقتصادية الدولية حق تقرير المصير الاقتصادي من غير البيض وحدّت من القدرة السيادية للدولة الجديدة على ممارسته من خلال الإصرار على أن تظل القرارات الاقتصادية المتعلقة بالممتلكات في أيدي السكان البيض المستعمِرين والمستوطنين الذين يمتلكونها وبأيدي صندوق النقد الدولي والبنك الدولي. هنا تظهر أهمية فهم لينين لحق تقرير المصير على أنه «سياسيّ» المغزى بطبيعته وفهم لوكسمبورغ له على أنّه لا يمكن أن يكون «اقتصاديًا» أبدا بصورة أكثر ضررًا، حيث إنّ كلّ المزاعم والادعاءات السابقة حول السّيادة السّياسية والاقتصادية للمفهوم قد تم حذفها. في هذه الحالة، يتم تمويه التفاعل بين حق الأرض وحق الدّم الهادف إلى تقويض حق تقرير المصير على أنّه ليس أكثر من عملية تبادل بين الحقوق السياسية، التي غدا يمتلكها كل جنوب إفريقي بغض النظر عن العرق في الحاضر، والحقوق الاقتصادية، التي يمتلكها مواطنو جنوب إفريقيا البيض في تحالف مع رأس المال الدولي (الأبيض) بشكل حصري تقريبًا (وهذا لا يختلف عما حققته اتفاقيات إفيان في الجزائر ومؤتمرات لانكستر هاوس التي عقدت في حالة كينيا في أوائل الستينيات أو اتفاقية لانكستر هاوس التي تم التوصل إليها في

51 راجع كتاب ريتشارد بورنه، **الكارثة: ما الخطأ الذي حدث في زيمبابوي**، (منشورات لندن زاد بوكس، 2011)، 160-193.

زيمبابوي في أواخر السبعينيات أو إعلان الأمم المتّحدة بشأن حقوق الشّعوب الأصليّة في 2007 في حالة الأميركتين وأوقيانوسيا). فما يضمنه حق تقرير المصير في هذه الحالة للمستوطنين الاستعماريين البيض هو «حق غزو» الأرض والاستيلاء على ثروتها على أساس «حق الدم» المرفق بتفوق العرق الأبيض في نفس اللحظة التي يساويهم فيها سياسيًا مع السكان الأصليين غير البيض فيما يتعلق بحق الأرض، بينما يمنع السود والهنود وذوي البشرة الملوّنة الذين حصلوا مؤخرًا على المساواة السياسية من استخدام حق تقرير المصير كمصل مضاد للأراضي المكتسبة (وغيرها من الثروات) من خلال «حق الغزو».[52]

ما توضحه قصة الفلسطينيين والسود في جنوب إفريقيا والزيمبابويين والشعوب الأصلية في الأميركتين وأوقيانوسيا ليس فقط أن حق تقرير المصير ليس الطريق الوحيد إلى «الاستقلال» السياسي والاقتصادي، وإنما يمثل أيضًا الاستراتيجية القانونية والخطابية والمبدأ الذي يمنع تحقيق الاستقلال بصورة مطلقة. باختصار، في حين أدى حق تقرير المصير إلى الاستقلال السياسي لبعض الدول الأوروبية بعد الحرب العالمية الأولى والمستعمرات الأوروبية في آسيا وأفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية، في المستعمرات الاستيطانية، وتماشيا مع الأفكار المتداولة في مؤتمر برلين منذ أكثر من 130 عاما، فإنّ حق تقرير المصير غالبًا ما كان ولا يزال عدواً للأهداف السياسية والاقتصادية المتمثلة في «الاستقلال» عن الحكم الاستعماري-الاستيطاني. إن مبدأي الاستقلال وتقرير المصير، كخدعة يستخدمها الاستعمار الاستيطاني، قد خدما على وجه الحصر المستعمِرين-الاستيطانيّين البيض الذين استخدموهما ضد المستعمَرين غير البيض والشعوب الأصلية في العالم، ويواصلون استخدامهما اليوم دون هوادة.

52 بخصوص تفاصيل حالة جنوب إفريقيا، راجع كتاب ناعومي كلاين، **عقيدة الصّدمة، صعود رأسمالية الكوارث**، (نيويورك، بيكادور، 2008).

## مراجع


Al-Rushaydat, Shafiq, *Al-Muqawamah al-Filastiniyyah wa Haqq Taqrir al-Masir (Palestinian Resistance and the Right of Self-Determination),* Matba'at Awlad Abduh Ahmad, Cairo, 1970.

Anderson, Benedict, *Imagined Communities, Reflections on the Origin and Spread of Nationalism,* Verso, London, 2016.

Anghie, Antony, *Imperialism, Sovereignty, and the Making of International Law,* Cambridge University Press, Cambridge, 2004.

Aptheker, Herbert, *The American Revolution,* 1763-1783*,* International Publishers, New York, 1960.

Armitage, David, *The Declaration of Independence, A Global History*, Harvard University Press, Cambridge, 2007.

Blackburn, Robin, *The Overthrow of Colonial Slavery,* 1776-1848*,* Verso, London, 1988.

Bourne, Richard, *Catastrophe: What Went Wrong in Zimbabwe,* Zed Books, 2011, pp.160-193.

Bowman, Larry W., *Politics in Rhodesia, White Power in an African State*, Harvard University Press, Cambridge, 1973.

Brooks, Christopher K., "Controlling the Metaphor: Language and Self-Definition in Revolutionary America," *Clio*, Vol. 25, No. 3, 1996, pp. 233-254.

Christian Recorder, Vol. 2, No. 8, (January 1837), pp. 432, cited by Armitage, The Declaration 95.

Coleman, Marie, *The Irish Revolution,* 1916-1923, Routledge, London, 2014.

Craven, Matthew, "Between law and history: the Berlin Conference of 1884-1885 and the logic of free trade", *The London Review of international Law,* Vol.3 ,No. 1, 2015.

Fanon, Frantz, *The Wretched of the Earth*, Grove Press, New York, 2004.

Fenwick, Charles G., "The Authority of Vattel," *American Political Science Review*, Vol. 7, No. 3 (Aug., 1913), pp.380-406

Fisch, Jörg, "The Right of Self-Determination of Peoples-The Domestication of an Illusion"*,* (trans.) Anita Mage, Cambridge University Publishing, Cambridge, 2015.

Hitchens, Christopher, *Thomas Paine's Rights of Man: A Biography*, Atlantic Books, London, 2006.

Hobbes, Thomas, *Leviathan*, edited by J.C. A. Gaskin, Oxford University Press, Oxford, 1996, Part II, [paragraph 172].

Holton, Woody, "Black Americans in the Revolutionary Era: A Brief History with Documents", Bedford/St. Martin's, Boston, 2009.

Holton, Woody, "The Ohio Indians and the Coming of the American Revolution in Virginia," *The Journal of Southern History,* Vol. 60, No. 3 (Aug., 1994), pp. 453-478.

Horne, Alistair, *A Savage War of Peace: Algeria* 1954-1962, Macmillan, London, 1977, pp. 436-460.

Klein, Naomi, *The Shock Doctrine: The Rise of Disaster Capitalism,* Picador, New York, 2008.

Lucas, Stephen, *The 'Plakkaat van Verlatinge': A Neglected Model for the American Declaration of Independence," in Rosemarijn Hoefte, Johanna C. Kardux, and Hans Bak, eds., Connecting Cultures: The Netherlands in Five Centuries of TransAtlantic Exchange,* Vrije Universiteit University Press, Amsterdam, 1994

Lugard, Frederick, *The Dual Mandate in British Tropical Africa*, 5th ed., Archon Books, Hamden, CT, 1965.

Manchester, William, *The Last Lion: Winston Spencer Churchill: Visions of Glory,* 1874-1932*,* Bantam, New York, 1984.

Massad, Joseph, "Against Self-Determination," *Humanity: An International Journal of Human Rights, Humanitarianism, and Development,* Vol. 9, No. 2, Summer 2018.

Massad, Joseph, *Islam in Liberalism*, University of Chicago Press, Chicago, 2015.

Montesquieu, Baron de, *The Spirit of the Laws,* translated by Thomas Nugent, Two volumes in one, Hafner Publishing Company, New York, 1949, 150 of volume 1.

Nussbaum, Arthur, *A Concise History of the Law of Nation,* The MacMillan Company, New York, 1947.

Pedersen, Susan, *The Guardians, The League of Nations and the Crisis of Empire,* Oxford University Press, Oxford, 2015.

Pybus, Cassandra, "Jefferson's Faulty Math: The Question of Slave Defections in the American Revolution," *William and Mary Quarterly, Third Series,* Vol. 62, No. 2, April 2005, pp. 243-264.

Quane, "The UN Declaration on the Rights of Indigenous Peoples: New Directions for Self-Determination and Participatoty Rights," in Allen and Xanthaki, Reflections*...,* pp.259-287.

Schlesinger, Arthur M., *Prelude to Independence, The Newspaper War on Britain,* 1764-1776*,* Alfred A. Knopf, New York, 1958.

Siba N'Zatioula, *Sovereigns, Quasi Sovereigns, and Africans, Race and Self-Determination in International Law*, University of Minnesota Press, Minneapolis, 1996.

Smuts J.C., *The League of Nations: A Practical Suggestion*, The Nation Pres, New York, 1919.

The Earl of Cromer, *Modern Egypt*, Vol. 2, Macmillan Company, London, 1916.

Vattel, Emer de, *The Law of Nations, or, Principles of the law of nature, applied to the conduct and affairs of nations and sovereigns, with three early essays on the origin and nature of natural law and on luxury*, edited and with an introduction by Bela Kapossy and Richard Whatmore; translated by Thomas Nugent, Liberty Fund, Indianapolis, 2008.

Wallerstein, Immanuel, *The Modern World-System I, Capitalist Agriculture and the Origins of the European World-Economy in the Sixteenth Century,* University of California Press, Berkeley, 2011.

Wallerstein, Immanuel, *The Modern World-System III: The Second Era of Great Expansion of the Capitalist World-Economy,* 1730*s*–1840*s,* University of California Press, Berkeley, 2011.

Wolff, Christian, *Jus Gentium: Methodo Scientifica Pertractatum*, translated by Joseph H. Drake, Volume Two, Clarendon Pres, Oxford, 1934.

Zilversmit, Arthur, *The First Emancipation: The Abolition of Slavery in the North,* University of Chicago Press, Chicago, 1967.

# السنة 1: مفهوم فسلفي جديد في ضوء تصور المستقبل المشترك

سوزان باك-مورس

## الأفق الكوكبي للفلسفة

**الشكل 1:** الأرض من الفضاء الخارجي، 7 ديسمبر/كانون الأوّل 1972 (وكالة ناسا، أبولو 17)[1]

لقد شكّلت صور الأرض من الفضاء الخارجي تحدّيا للمفاهيم الفلسفية المتعلقة بعالمنا. إذ أعرب هايديغر عن قلقه من أنّ وجهة النّظر المتغيّرة هذه تعني أنّ الإنسان لن يعود بإمكانه مواجهة

1 https://www.nasa.gov/content/blue-marble-image-of-the-earth-from-apollo-17

جوهر كينونته. ويعارض هذا المقال أطروحة هايديغر، لا كوكب الأرض، مبيّنا خلل الأنطولوجيا الجوهريّة التي عرف بمناصرتها. صار لزاما علينا أن نتقبّل تضاؤل تفوّقنا إذ يخبرنا العلماء بأنّ عدد الكواكب يتجاوز الـ100 مليار كوكبا في مجرّتنا فقط. ويتقاطع هذا العدد الذي لا يمكن تصوّره تقريبا مع الوعي المتنامي بهشاشة كوكب الأرض الناجمة عن التطوّرات الصناعية والتكنولوجية التي أتاحت لنا تصوّرات جديدة على النّطاق الكواكبي. وأقد أدّت الثّورات الصّناعية والتّكنولوجية التي ميّزت الحداثة إلى إدراك عميق بأن نجاح التقدّم العصري في حدّ ذاته يهدّد الحياة في جوهرها. لا يمكن لأيّ أفق فكريّ أن ينكر هذه الحقيقة فهي المحدّدة للمعايير المرجعيّة للسياسات في زمننا.

لقد كان التقدّم التّاريخي مبدأ مركزيا ناظما في القرن العشرين فيما أحدث النموّ الاقتصادي شبكة جغرافيات تميّزت بفوارق زمنيّة. لقد كان الزّمن تراتبا متسلسلا للعديد من المراحل. فبعض البلدان هي «متقدّمة» فيما لا تزال بلدان أخرى «متخلّفة النّمو.» انقسم العالم إلى معسكرين، أحدهم رأسمالي والآخر اشتراكيّ، اللذين تميّز بهما الزّمن التاريخي على مستوى التّصنيع والمكننة والتّحديث. إن سخريّة الحرب الباردة العظمى حيال قدرة هذين العدوّين اللّدودين على التدمير المتبادل جعلتهما يختاران المعايير ذاتها للتنمية المادّية. وبهذا، حاكى التصنيع الاشتراكي النماذج الغربية له. فقد اعتبر ستالين نفسه في حرب مع الزّمن وشعر بحاجة إلى «التسابق مثل الرّياح» لكي يلتحق بركب الغرب الذي حدّد شروط التطوّر في الزّمن. علينا أن نتساءل هنا: ماذا لو اختارت التّجربة السوفياتية اتباع نهجس سليم من الناحية البيئية فيما يتعلّق بنماذج التنمية - الطاقة الشمسية والمدن الخضراء (التي اقترحها المتبصّر البولشفي قسطنطين ميلينكوف) والإنتاج غير المركزي والبنى التّحتية البديلة؟ ماذا لو رفضت الدّول الاشتراكية أن تكون طرفا في السّباق نحو التّسليح الذي لا يمكن لأيّ مجموعة إنسانيّة أن تنجو من أذاه؟

تعتبر تطوّرات العلم الحديث عظيمة ولكنّ الخطأ الفلسفي يتمثّل في فرض هذا التطوّر على الزّمن التّاريخي. أما المشكل النّظري الأساسي فيتمثّل في فهم العلاقة بين «علوم» المجتمع والاقتصاد والسّياسة التي تدّعي استيعاب الواقع في قابليّته للتنبّؤ و التغيير التاريخي الذي لا يمكن التنبؤ به والتي يلعب فيها كلّ من الفعل الواعي والحريّة الإنسانية أدوارا معيّنة. يتعامل مع قوانين التّكرار. وتتمثّل الكلمة الإغريقية التي تعبّر عن الزّمن في مصطلح *chronos*. وفي المقابل نجد مصطلح *kairos* الذي يعني الزّمن الذي لا يمكن التنبّؤ به وهو مفهوم يجهله العلم وهذا ما يشير إلى المهمّة الفلسفيّة التالية: كيف يمكننا التّعرّف على لحظات الممكن الحاضر غير القابلة للتنبؤ

التي تدلّ على وجود ثغرة للتّغيير الواعي؟ ما هي المنهجيّة أو المقاربة التي ستكون مناسبة من أجل التركيز الكوكبي اليوم؟[2]

**الشكل 2:** خريطة العالم بعد الاستعمار[3]

تعتبر رسومات الفضاء الخارجي بدورها وثائقا زمنيّة أيضا. تمثّل الصورة 2 خارطة للعالم إثر الفترة الاستعمارية. بعد انهيار الإمبراطوريات، تحولت حدود المستعمرات السابقة إلى حدود دول قومية مستقلة وذات سيادة. تعتبر هذه الخطوط فرضيات سياسية تاريخية تخلق تصوّرا عالميّا ينسب إلى السكان المحدودين جغرافيًا هوية منفصلة من ناحية التاريخ والثقافة والحق السيادي على الأرض. الصورة 3 تبيّن العالم كما يُرى من الفضاء بدون تقسيمات السيادات الوطنية. تتمثّل العناصر المهمة في الصحاري والجبال وينابيع المياه وأحواض الأنهار والمحيطات والقمم الجليدية.

2 Susan Buck-Morss, *The Dialectics of Seeing Walter Benjamin and the Arcades Project.* The MIT Press, Cambridge, 1991.

3 https://www.nationalgeographic.com/maps/article/about-maps

تعرض خرائط الأقمار الصناعية العالم الطبيعي وهو يتغير بمرور الزّمن في حين أنّها توثّق حقيقة أن الطبيعة لها تاريخ أيضًا. تطلق تسمية الأنثروبوسين على عصرنا، عصر الزمن الجيولوجي الذي تلتقي فيه الطبيعة بالتاريخ. لقد عفا الزمن على الإطار الخيالي لخريطة ما بعد الاستعمار وغدت الأطر السياسية والتواريخ الوطنية وحدود المسؤولية الأخلاقية على الحدود القومية غير ملائمة باعتبار ترابط مصائرنا. تتغير الطبيعة مع أفعال الإنسان وبسببها.

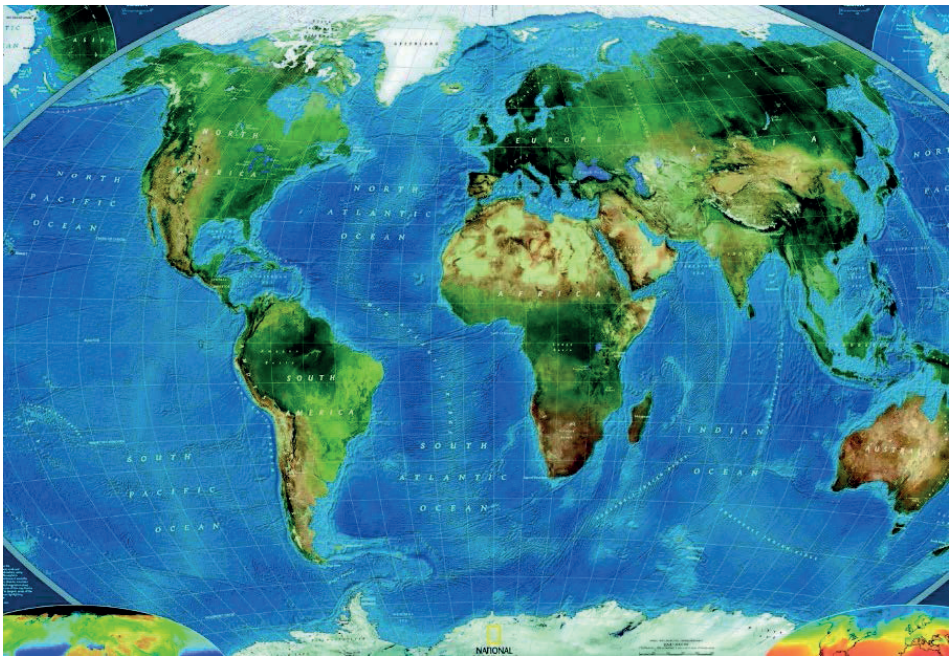


**الشكل 3:** خارطة العالم[4]

أصبحنا بحاجة إلى معارف جديدة: علم المحيطات وكيمياء الغلاف الجوي والحفاظ على الأنواع وعلم التصحّر (علم دراسات الصّحراء وظواهرها) ودراسات المياه وعلوم تغيّرات الأرض. تتطلب مجالات البحث هذه التعاون عبر الوطني والثقة المتبادلة بين العلماء الذين تتمثل مسؤوليتهم الأولى في دقة بحوثهم ودراساتهم وموثوقيتها بغض النظر عن الفوارق القومية أو الدينية. لا يمكن لهذه الجهود أن تثمر عندما تدخل الحدود السياسية في المعادلة.

4 https://www.natgeomaps.com/re-world-satellite

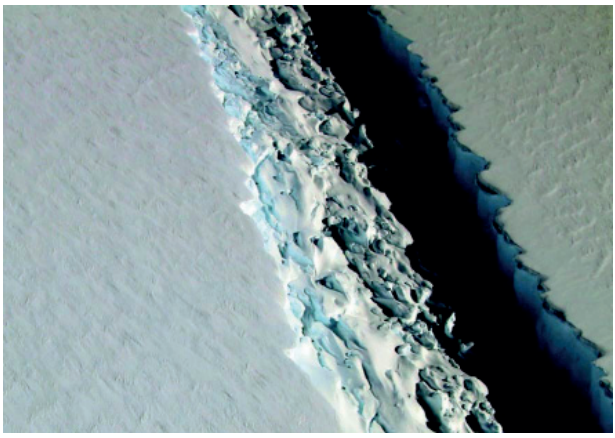

**الشكل 4:** الجرف الجليدي لارسن بي، القارة القطبية الجنوبية، صورة لوكالة ناسا بتاريخ 10 نوفمبر 2016[5]

تفكّكت أجزاء كبيرة من الجرف الجليدي لارسن في شبه القارة القطبية الجنوبية أنتاركتيكا - التي كانت مستقرة لأكثر من 10000 عام – في غضون أيام في سنة 1995 ومرة أخرى في سنة 2022.

**الشكل 5:** جنوح سفينة الشّحن إيفر جيفن في قناة السويس في مصر، صورة ملتقطة من محطة الفضاء الدولية بتاريخ 27 مارس 2021 (المصدر: مشاعات ويكيبيديا )[6]

5 http://earthobservatory.nasa.gov/IOTD/view.php?id=89257

6 https://eol.jsc.nasa.gov/SearchPhotos/photo.pl?mission=ISS064&roll=E&frame=48480

معضلة: لقد أضحت المشاكل ذات طبع كوكبي عالمي. تعبر الأوبئة ومواسم الجفاف والفيضانات وإزالة الغابات وارتفاع درجات الحرارة ومستويات البحار - ناهيك عن التداعيات الإشعاعية - الحدود الوطنية دون رادع. ومع ذلك، فإن الدول القومية تمثّل ركيزة استقرار الحياة السياسية. يكمن العمل الفلسفي في خضم هذه المعضلة التي تكشف أنّ نظام الدولة القومية قد بات غير مستقر في حدّ ذاته بحكم أنّه يعجز على توفير أبسط الاحتياجات الأمنية.

تجسّد العولمة بوصفها هدفا سياسيّا التّناقضات الرّاهنة عبر حصر اقتصار الوعي الكوكبي في الربح المادي والمكاسب الاقتصادية. من خلال استخراج الموارد وإنتاج السلع الأساسيّة، يصبح الفضاء العالمي منطقة برية حيث يؤدي غياب الضّبط والتّعديل في مجال مراكمة الثروة إلى تكثيف الإكراه على تدمير المحيط الحيوي فيما تكافح الدول القومية إلى كسب ميزة تنافسية لصالحها (الصّورتين 4 و 5). تعتبر الأخلاقيات الكوكبية للعدالة البيئية مطلبا يقتضي احترام أشكال الحياة غير البشرية. لقد اعترفت جميع الأديان بضرورة أن يكون البشر أمناء على الخليقة. كيف يمكننا الحفاظ على هذه الحكمة في عالمنا المشترك؟ ما هي العلاقة بين الفكرة الجديدة للمشاعات الكوكبية والفكرة القديمة القائلة بالنزعة العالميّة للبشريّة؟ كيف تحبسنا تصوّراتنا الجيوسياسية الحالية؟ أيّ تحول في التّصورات المعرفية سيقودنا نحو الوعي الكوكبي؟

تتناول المعرفة في عصر الأنثروبوسين المستقبل من خلال دراسة الماضي. لقد تعلم العلماء التطلّع إلى الماضي بغية سبر أغوار المستقبل. أقترح أن يتّبع الفلاسفة النّهج ذاته وأن يفكروا في ما يمكن كسبه فلسفيًا من خلال الالتفات إلى الوراء والعمل وفق منطق تاريخيّ (مع إدارة ظهرهم إلى المستقبل) بوصفها أسلوبا يرمي إلى فتح آفاق جديدة لزمننا المشترك. لنضع في اعتبارنا تحديد التوقيت العالمي اليوم باعتباره سنة 2022 انطلاقا من سنة أصليّة عدد 1. إنها تسمية مصطنعة بناء على أثر رجعي لم تقترحه المؤسسات المسيحية إلى حدود القرن العاشر. وقد مثّل قبولها العالمي اللاحق علامة سياسية على الهيمنة الغربية. ومع ذلك، لا يكمن علاج هذا العمل الإمبراطوري إعادة في سمية الزمن. (على سبيل المثال، إذا ما أردنا الاستعاضة عن التقويم الهجري، فلن نتمكن مطلقا من إحصاء مدى الجهل العشوائي بالزّمن قبل الهجرة.) بدلاً من ذلك، يتمثّل الأمر في تحريك تصوّر التاريخ العالمي جانبًا، بعيدًا عن المركز، والتركيز على الشتات بدلاً من المراكز الإمبراطورية ورفض الادعاءات الحالية "باحتكار" زمن أو مكان باعتباره ملكية إقصائية و "إمالة المرآة التأويلية التّفسيرية" للمعرفة التاريخية حتى تعكس شيئًا آخر غير انعكاس صورتنا.

**الشكل 6:** نصب تذكاري في أنقرة.[7]

الصّورة 6 تمثّل التّاريخ بوصفه كثرة. إنه معبد من القرن الأول في أنقرة الحالية بني لعبادة أول إمبراطور روماني أغسطس قيصر. نُقِشت على جداره شهادة بإنجازات أغسطس بعد وفاته، "أعمال أغسطس الإلهي" *(Res Gestae Divi Augusti)*. هذه الوثيقة الإمبراطورية الرومانية موجودة فقط في أنقرة العاصمة العلمانية للأمة التركية بداية من القرن العشرين. يتمثّل سبب عدم امتلاكنا لأية نسخة على الإطلاق حقيقة في أن المعبد الوثني الذي نُقِش عليه تم تحويله إلى كنيسة بيزنطية (القرن السادس الميلادي) ليتحوّل إلى مسجد إسلاميّ في القرن الخامس عشر. يتطلب تاريخ بقاء المعبد تضمين كل طبقات الانتماء هذه. لا يدل التركيز على الموضوع المادي والتاريخي فقط على تعسّف الادعاءات الاستبعادية بملكية الماضي بل أيضا على ضرورة التعاون دوليًا بين العلماء إذا كانت هناك إرادة لاكتساب معرفة دقيقة بماضينا المشترك.

قد لا يكون هناك تقدم أحرز في التاريخ بالمعنى الذي آمن به فلاسفة القرن العشرين ولكن هناك تقدّم حاصل في كتابة التاريخ. يمكن أن توفّر أساطير التفرد التاريخي إعادة توجيه فلسفيّ للمعرفة من خلال العمل عبر حدود التخصصات الانضباطية والهويات الجماعية. وهذه هي المساهمة المنهجية المركزية لكتاب السنة 1: العد التنازلي الفلسفي (2021).[8] بدلاً من التعامل مع النّزعة البشرية العالميّة باعتبارها لوحة تجريديّة تعتبر القاسم المشترك الأدنى للإنسانية، يصر

7 https://www.cornucopia.net/guide/listings/sights/haci-bayram-pasha-and-the-temple-of-augustus/

8 Susan Buck-Morss, *Year 1: A Philosophical Recounting,* The MIT Press, Cambridge, 2021.

الكتاب على التحديد التاريخي الذي يكشف عن العالمية بوصفها مشاركة عبر الحدود وعن الأصول بوصفها ضربا من الكثرة. لا يمكننا فصل خيوط ماضينا الجماعي ولا ينبغي أن نحاول ذلك حتى.

يشير تقاسم الزّمن عبر كل خط من خطوط الاختلاف إلى تحول في المحور المنظوري الذي ترسم الاختلافات بواسطته ومعه ممّا يحيل إلى تحول مماثل في التوجه الأخلاقي لإنتاج المعرفة. لا ينبغي التعامل مع التاريخ بوصفه طفلا يتيم الأمّ في حاجة إلى الحكمة الحارسة لسليمان (النبي سليمان[9]) ضد أولئك الذين سيقطّعونه إلى تضاريس مخصّصة ومخصخصة. إن مقاربة الحاضر على أنّه مصفوفة زمنية مشتركة يتقاسمها الأحياء في أيامنا يشير إلى أنّ أولئك الذين عاشوا في حقبات سابقة ينتمون معًا إلى زمنهم وبالتالي فقهم لا ينتمون إلينا. بعبارة أخرى، لا يمتلك المسيحيون اليوم جزءا معينا من العصور القديمة ؛ولا الكلاسيكيون العلمانيون يتحوّزون على جزء ثان منها ولا حتى اليهود لهم منها جزءا ثالثا ولا للمسلمين أيّ جزء رابع فهم يتنافسون جميعًا مع بعضهم البعض متمسّكين بادعاءاتهم. إن أعمال التاريخ وإنجازاته لا يمكن أن يعتبرها أي جزء من البشرية اليوم ملكا حصريا واستبعاديّ له. في وجه الادعاء بأن قوانين الملكية معطى منطقي في حقل التاريخ، نصرّ على حقيقة الإرث الشائع وغير المملوك بل والشيوعي عندما يتعلّق الأمر بالماضي.

في أعقاب هجوم القاعدة على مركز التجارة العالمي في عام 2001 والانتقام العسكري الأمريكي ضد أفغانستان، أدى النّقاش العالمي بخصوص «صراع الحضارات» إلى مشاريع عديدة أطلقتها منظمة اليونيسكو ومنظمات قومية أخرى لتعزيز «الحوار بين الحضارات.» أقنعني عقد من حضور مثل هذه المؤتمرات (كان اثنان منهما في تركيا) بامتلاكي قواسم مشتركة مع النظراء الأكاديميين الذين التقيت بهم في هذه الرحلات أكثر من أي حضارة غربية مفترضة. إن تمثيل «الغرب» في مثل هذا السياق ليس ممكنًا أكثر من التفلسف من «وجهة نظر الولايات المتحدة». المعرفة جزئية ولكنّها ليست موالية لأيّ طرف. ليس هناك حقائق بديلة، توجد حقائق إضافية فحسب. يشارك الأكاديميون على مستوى العالم القراءات والمناقشات والقيم والاهتمامات، بصفتهم يمثّلون جزءا من مجتمع فكري بعيد المدى، والذي أطلق عليه منذ عصر التنوير القرن الثامن عشر اسم جمهورية الآداب.

لا تقتصر هذه الممارسة العالمية للمنح الدراسية على الحداثة الغربية. فقد كانت هناك مكتبات قديمة في الإسكندرية وبرغاما وبيوت الحكمة الإسلامية في بغداد والفسطاط وقرطبة التي كانت كلّها شاملة في تجمعات ولقاءات العلماء الذين جاؤوا من مسافات طويلة لتبادل المعرفة

9 وفقا للقرآن (27:18)، كان باستطاعة سليمان أن يفهم لغة الحيوانات و النمل حتّى، وخاصة زقزقة العصافير.

والتعلم من الآخرين. كان من البديهيّ أن الفلاسفة سيحتاجون إلى السفر بحثًا عن الحكمة بناءً على استيعاب حقيقة مفادها بأنّ لا أحد من الأعراق ولا أيّ جزء من أجزاء العالم يحتكر الحقيقة. لقد شكل هذا الالتزام المستمر منذ قرون بالتعلم من الآخرين تاريخ الجامعات. تشعر الحكومات الوطنية على نحو منطقي أن الجامعات، التي يعتبر استقلالها الذاتي أمرًا أساسيًا لعملها، يمكنها أن تشكل تهديدًا لمصالحها. لا تعيق الحدود الجغرافية التعلّم في حين أن البحث المستقل عن الحقيقة يعتبر مهمّة لا تقبل المساومة بالنسبة للجامعات.

الترجمة هي شريان حياة المعرفة في حين أن حساسية الشتات ليست إلّا الاختبار الحاسم للحقيقة. لا يمكن الوصول إلى الإنسان العالمي إلا من خلال الترجمة وانفتاح اللغات على بعضها البعض فضلاً عن تبادل الأطر المعرفية المتنوعة. يكتب سليمان بشير دياني، الفيلسوف المسلم السنغالي الناطق بالفرنسية في جامعة كولومبيا عن الترجمة اللّسانية كما يلي: «لا يمكن للفلسفة أن تكون عالمية إذا لم تتنقّل بين الاختلافات.» و يضيف: "إن المسافة هي التي تشكل الفلسفة." تتفق معه الفيلسوفة أجاتا بيليك روبسون، الأستاذة البولندية للدراسات اليهودية بجامعة نوتنغهام، التي تعمل بشكل مستقل، لتقول: «الطريقة الوحيدة للوصول إلى العالمية هي الأفقية وعدم التظاهر أبدًا بالتخلي عن عالم الخصوصية» ويمرّ مسار الفلسفة من خلال الترجمة «مما يجعل اللغات المختلفة تتعارض وتتزوج وتلتقي وتصادق وتختلط وتواجه بعضها البعض». في الواقع، تعتبر أحاديّة اللّغة عيبا واضحا وضوح الشّمس ليس فقط للفلاسفة ولكن لأي مواطن واع بانتمائه إلى كوكب الأرض اليوم.

لقد كنت أجادل في كون الوعي الكوكبي مسألة فلسفية تتطلب فكرة جديدة للكونيّة مستمدة من تفاصيل الماضي والتاريخ العابر والمشترك للبشر والطبيعة في آن. يعتبر التبادل الحر للمعرفة أمرا حيويا لهذه المهمة المشتركة ممّا يقلب المبادئ التنافسية رأسا على عقب. أمّا القواعد الأخلاقية المنظّمة لهذا العمل ما هي إلاّ محاولة غير متحيّزة للتحدث بحرية وصدق. إنه ليس حوارًا بل محادثة بين أولئك الذين يعتبر الكلام المسؤول ذاته مسؤوليتهم الأولى. لا يمكن قبول الدعم المادي للمشروعات الفكرية مع إرفاق قيود مانعة. تتطلب الحرية المتميزة لعملنا التزامًا عميقًا بالاندماج الديمقراطي سعياً إلى تحقيق الصالح العام. وعليه، يجب على الوعي الكوكبي أن يتجاوز المصالح الوطنية وأن يتجنب التصنيف بدافع الربح.

أنا لا أتحدث عن الجامعة «العلمانية» في هذا السياق لأن المطالب الأخلاقية لعملنا وكذلك التواضع الذي يلهمه يتطلب الاعتراف بحدود المعرفة الإنسانية. يتحدث أفلاطون عن عالم من

الأفكار المتسامية في حين ترسم فلسفة كانط بأكملها حدود العقل البشري ممّا يفسح المجال للإيمان. لكن الصراعات الطائفية حول صحّة الأديان من عدمها ليس أمرا مشروعًا فلسفيًا. تتعلق الفلسفة بكثرة البشر لا بتفرّد الإله. تعني الفلسفة حرفيا حب الحكمة والسعي وراء الحقيقة بشغف دون احتكارها. أنا مرتابة من في جمهورية أفلاطون حيث يكون الفلاسفة ملوك. عادة ما يصنع السياسيون فلاسفة سيئين (وعلماء لاهوت سيئين) وربما يصنع الفلاسفة سياسيين سيئين أيضًا. يوجد تمييز مؤسسي بين هذه المهام. ومع ذلك، نادرًا ما تمكنت الممارسة الواقعية للأفراد من الجمع بين المهامّ الثلاثة. ومن الأمثلة على ذلك: الفيلسوف الفارسي المسلم علي شريعتي الذي تحدى الاستبداد الوحشي لشاه إيران والذي ألهمت تعاليمه جيلاً من الطلاب. الفيلسوف اليسوعي البيروفي جوستافو جوتيريز الذي صاغ لاهوت التحرير باسم الفقراء والمعدمين والأمريكي الأفريقي عالم اللاهوت المعمداني مارتن لوثر كينج الذي ضحى بحياته في النضال من أجل العدالة الاجتماعية بصفته زعيمًا لحركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة. حقق عمل هؤلاء الرجال عالمية المعنى خاصّة من خلال التناغم مع الخصوصية التاريخية لأفعالهم. لقد تناولوا إمكانات اللحظة بكلّ ما كان لديهم من قدرة.

هذا هو الشيء الأكثر تطرفًا الذي أقوله من منظور فلسفي: الملموسة التاريخية لا غنى عنها لنظرية وممارسة العالمية. المفاهيم تغتال الحقيقة. تذهب الكثير من النظريات اليوم إلى الاعتقاد بأنها تصبح أعمق من خلال وضع الجوانب التجريبية للتحليل بين أقواس. الحوكمة الذهنية والحياة العارية وحالات الاستثناء - نشأت كلّ هذه المفاهيم من تحليلات تاريخية محددة ولكن بعد ذلك تم اعتبارها أعمق من الناحية الفلسفية من خلال تخلّصها من أمتعتها التاريخية لكي تتمكّن من السفر حول العالم دون عوائق. تخلط هذه الطريقة بين التجريد والنّزعة الإعلامية. بوصفنا فلاسفة، لا يمكننا الاستغناء عن الخصائص التي توفرها لنا المعرفة التاريخية.

لنأخذ في الاعتبار التقديم المجرد للمواقف في الخطاب السياسي الموزعة على طول طيف واسع بين اليسار واليمين. تشير هذه المصطلحات إلى لحظة تاريخية محددة، وهي الثورة الفرنسية، حيث جلس الحزب الذي دعم أعضائه في الجمعية الوطنية للثورة على يسار الملك والمعارضين له عن يمينه. عندما أصبح أولئك الموجودون على اليسار أكثر تطرفاً ودفعوا الوسط إلى اليمين، تم إرسال مؤيدي الملكية صحبة الملك إلى المقصلة. عندما يصبح التقدم التاريخي يساوي الإقصاء الجسدي للخصوم فإن عدم تسامح السياسة العلمانية يعكس التعصب الديني الذي تستنكره (بحق). يمكن القول إننا بحاجة إلى فكرة اليسار من أجل التمييز بين التوسّع العالمي

لرقعة الحركات الرجعية وتلك التي تسمى تقدمية بحق. لكن هذا التمييز موجود بالفعل إذا ما كان هدفنا هو الوعي الكوكبي. من منظور كوكبي، فإن مناصري الأصوليين العرقيين أو المتعصبين الإثنيين لا يمكنهم أن يكونوا إلا أقليّة بطبيعتهم. يمكن للقوميين الاستبعاديين محاكاة بعضهم البعض، لكن التضامن العالمي لا يمكنه الاستمرار في منظور القومية الضّيقة.

ماذا عن مصطلحات «الليبرالية» و «الراديكالية» و «الفكر المحافظ»؟ قد أتساءل أيضًا عن الفائدة الفلسفية من هذه الفروق. أو يمكنني أن أقول إن عالمية الفكر يجب أن تتّسم بالصفات الثلاثة التالية: ليبيرالية بمعنى الانفتاح وعدم الإقصاء وراديكاليّة بوصفها أفقا للشجاعة في أوقات التغيير (يتحدث لينين عن الحاجة إلى أن تكون «راديكالية مماثلة للواقع نفسه» ويقول ريموند ويليامز: أن يكون المرء راديكاليًا حقًا هو أن يجعل من الأمل ممكنًا) ولكن أيضًا محافظة لأنّ الحكمة التي يمكنها المضيّ بنا قدمًا تتطلّب تخليص الثقافة الماضية من استخدامها من قبل منتصري التاريخ من أجل الشرعنة الأيديولوجية لجرائمهم. أنا لا أؤيد الموقف القائل بأنّ المنظّرين بوصفهم قادة ثوريين يعرفون مسبقًا الطريقة الصحيحة لقيادة الناس. بدلاً من ذلك، يتم تحقيق مساهمتنا في الوعي الكوكبي بشكل أفضل من خلال الانتباه إلى ما يصنعه البشر أنفسهم عندما يعملون معًا في اتجاه هدف مشترك. دعونا ننظر في بعض الأمثلة الحديثة.

**الشكل 7:** مظاهرة جماهيرية مناهضة للحرب هايد بارك، لندن، 15 فبراير2003[10]

10 https://www.iwm.org.uk/history/5-photographs-from-the-day-the-world-said-no-to-war

في 15 فبراير 2003، عندما كانت الولايات المتحدة على وشك غزو دولة العراق ذات السيادة، خرج حوالي 30 مليون شخص إلى الساحات العامة والشوارع في ما يقارب 800 مدينة حول العالم للاحتجاج على الحرب (الشكل 7). تبعت المسيرات حركة الشمس ودارت حول الأرض: أستراليا وآسيا وأفريقيا والشرق الأوسط وأوروبا والأمريكيتين. كان هذا أول عمل كوكبي متزامن باسم الإنسانية والسّلام. التقط المشاركون صوراً لتوثيق اجتماع الحشود وحملوها وشها شاركوها على الإنترنت كفعل قاعدي شعبي باستخدام التقنيات الجديدة للحاسوب (قبل عدة سنوات من البدء في استخدام الهواتف الذكية). تزامنا مع دوران الكوكب، رأى المواطنون العاديون في جميع أنحاء العالم بعضهم البعض يتصرفون في تناغم عبر الحدود السياسية وينضمون إلى حركة جماهيرية سلمية وشاملة تميّزت بتلاحم وتماثل لم نشهده من قبل على كوكبنا.

لم تنجح الحركة. في غضون أسابيع، شرعت الولايات المتحدة في قصفها للعراق. استمرّت الحرب هناك وكذلك في أفغانستان بعنف مدمّر ضد الشّعوب والبيئات الطبيعية في هذه البلدان. ومع ذلك، كان الاحتجاج الكوكبي محوريًا على الرغم من فشله كسياسة فعالة. لقد خلق بروز حقيقة أنّ الكوكب مأهول بأناس مصممين على الوقوف معًا ضد الذبح المتبادل صورًا في أذهان الملايين من المشاركين التي لن تختفي منها إلى الأبد.

**الشكل 8:** ميدان التحرير 8 فبراير 2011[11]

11 https://tr.wikipedia.org/wiki/2011_Mısır_Devrimi

في عام 2011، عاد العديد من الأشخاص نفسهم إلى الشوارع وشرعوا في الخروج في مظاهرات عديدة أطلق عليها اسم الربيع العربي. من مدينة إلى أخرى - تونس والقاهرة ودمشق والبحرين وصنعاء - تدفق الناس إلى الساحات العامة من أجل المطالبة بمحاسبة حكوماتهم. استمر الاعتصام الجماعي في ميدان التحرير 18 يومًا. وقد بثت منه تغطية حية بالفيديو في جميع أنحاء العالم. والتقت هذه الأحداث الإقليمية مع غيرها في أثينا ومدريد ونيويورك وتل أبيب. انتشرت هذه الأحداث بصورة عبر محلية في السنوات التالية: سانتياغو واسطنبول وريو دي جينيرو وبانكوك وميدان وهونغ كونغ وموسكو ودارفور. لم يبق أيّ جزء من العالم في منأى عن هذه الأحداث. كما لم يتم منع أي احتجاج من الظهور. ولم تفلت أيضا أعمال القمع من الملاحظة.

كانت القضايا التي أشعلت هذه المظاهرات محلية ولكن سياقها العالمي كان مشتركًا. عندما واجه النظام الرأسمالي النيوليبرالي انهيارًا ماليًا عالميًا في عام 2008، أعطيت الأولوية للمصالح الخاصة للنخب الاقتصادية. قامت الحكومات بسداد قروضها وإنقاذ البنوك بينما دفعت المجتمعات ثمن ذلك. أجبر السكان الذين يعانون فعلا من البطالة الهائلة والصعوبات الاقتصادية على قبول «تدابير التقشف» التي استنزفت الرفاهية الاجتماعية. أعادت هذه السياسات إحياء النظام الهش الذي أنتج الأزمة بينما تركت هياكله المزعزعة للاستقرار كما هي دون تغيير. كان الاستثناء هو الصين حيث تجنبت السيطرة الأوتوقراطية على البنوك والحكومات المحلية الفوضى فيما سرّع برنامج البنية التحتية الضخم الانتعاش الاقتصادي. ولكن في المقابل، تم إيقاف الحراك السابق في اتجاه إصلاحات ديمقراطية مما خلق الحركة اللاحقة في هونغ كونغ وظهرت على أنّها دعوة إلى التمتّع بحقّ «الاقتراع العام الحقيقي.»

عندما يخرج الناس معًا للاحتجاج ويقومون بأعمال تضامن مع الغرباء فإنهم يمثّلون دليلاً مرئيًا على مجتمع غير موجود وفقًا للعقيدة الليبرالية الجديدة. مارست هذه الأنشطة الحضرية اللاعنفية سلوكا اجتماعيًا جديدًا مما أدى إلى قلب خصخصة الأماكن العامة رأسا على عقب. ما هي تلك الرؤية اللحظية لمجتمع متحوّل صار واضحًا في عيون عالم يشاهده؟ قام الناس بحماية الآخرين أثناء الصلاة. تقاسموا الطعام والموسيقى والرعاية الاجتماعية. نظموا أنفسهم ذاتيًا من أجل القيام بمهام مشتركة. وطالبوا بالحصول على صوت ديمقراطي للحقوق في المجال العام. كانت هذه التشريعات المؤقتة للحياة الجماعية بمثابة احتفالات بالتنوع من حيث الجنس والدين والعرق والمهنة وحتى العقيدة السياسي. قام المتظاهرون بحماية المساحات الخضراء العامة من مشاريع التنمية. فوعد العولمة لم يكن معادلا لمركز من مراكز التسوق.

**الشكل 9:** صائمون يحتفلون بالإفطار في «طاولة الأرض» في شارع استقلال في اسطنبول، 9 يوليو 2013. - محسن أكغون

(«طاولة الأرض للمساواة والعدالة والحرية والأخوة»)[12]

فيما يتعلق بثورات النظام القديم، فقد فشلت هذه الحركات بشكل مأساوي في بعض الحالات. فقد قُتل آلاف المتظاهرين وسُجن من بينهم آلاف آخرون. حتى عندما تم الضغط على الحكومات من أجل التنحّي من مناصبها وسن إصلاحات ديمقراطية، اشتدت التوأمة الكارثية بين عدم المساواة الاقتصادية والفساد السياسي. استسلمت روح ميدان مثل روح دمشق قبلها لشبح الحرب الأهلية. وأُجبر اللاجئون على الفرار من بلدانهم بحثًا عن الأمان في جميع أنحاء العالم.

ومع ذلك، مثّل الأداء العامّ النّجاح العابر للاحتجاجات ممّا سدّ الفجوة الهائلة التي كان ينبغي أن يكون المجتمع حبيسها. كان خطّهم الناظم هو تفعيل الديمقراطية المجتمعية السلمية الشاملة والاحتفال بالتنوع في عالم مصغر وأخلاقيات المساواة في الإرادة الجماعية. في عام 2019، احتشدت نساء تشيليات في الأماكن العامة للغناء معًا "Un violador en tu camino" ("مغتصب في طريقك") كتبته المجموعة النّسائية Las Tesis من أجل الاحتجاج على الإفلات من العقاب لمرتكبي العنف القائم على النوع الاجتماعي. ترددت أصداء أغنيتهم في شوارع باريس

12 https://www.al-monitor.com/originals

وسان فرانسيسكو وأوكلاند وأوسلو ولايبزيغ وأماكن أخرى من العالم. تضمنت الحركات العالمية المستمرة للاحتجاج على التدهور البيئي إضراب المناخ العالمي لعام 2019 الذي شاركت فيه 150 دولة. هناك العديد من الأمثلة. يجب أن يتم الحكم عليهم، ليس من منظور سياسي فعال، ولكن من حيث تغيير الوعي الذي يتخلل جيل بأكمله برؤية جديدة للتضامن البشري وأسلوب جديد لأداء عملنا وعيش حياتنا. هل هذه الحركات «اشتراكية»؟ بلى، بل هي اشتراكية من نوع جديد. هل هم «أناركيون»؟ في الوقت الحالي فقط لأنه لا يزال من غير الممكن إنشاء هياكل جديدة للحكم. وسوف تكون ناجحة؟ بمعنى ما، من خلال توصيل حساسية سياسية جديدة، فهم بالفعل كذلك.

لقد تم نقل هذه التشريعات عبر المحلية للسلوك الاجتماعي - لنسمّها المجتمعات الكوكبية المصغرة - في شكل صور توسّع خيالنا السياسي إلى ما وراء حدود الدول القومية من أجل إطلاق الكونية القاعدية (الصّور 13-9). تواصل المتظاهرون من خلال خصوصيات مواقفهم على وجه التحديد لجمهور عالمي - أي شخص في أي مكان - في ممارسة تضامن ودعوة إلى الحكم العالمي على صواب عملهم. إنها تدفعنا لتغيير فهمنا السياسي للمجتمع. حتى لو كانت تجربة المجتمع عابرة، فإنها مهمة.

**الشكل 10:** 15 مايو 2011، مدريد: "ديمقراطية حقيقية الآن! نحن لسنا بضاعة في أيدي السّياسيين وأصحاب البنوك"
(non somos mercancía en manos de Politicalos y banqueros)[13]

13 https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Democracia_real_YA_Madrid.jpg

**الشكل 11:** في 28 أكتوبر 2014 قام متظاهرون مؤيدون للديمقراطية برفع لافتة صفراء كتب عليها: «أريد اقتراعًا عامًا حقيقيًا» في تجمع حاشد في المناطق المشغولة من قبل المحتجّين خارج مقر الحكومة في حي أدميرالتي بهونغ كونغ. أسفرت حركة المظلة الصفراء[14] للمقاومة السلبية من أجل «سلطة المواطن» (Gōng mín 公民) عن اعتقالات حكومية واسعة النطاق في صفوف المحتجّين.

**الشكل 12:** مظاهرات لدعم حق المرشحين المستقلين في الترشح لعضويّة مجلس الدوما: «القوة - إنها نحن أنفسنا! أعطونا الحق في صوت يمثّلنا» موسكو، روسيا2019[15]

14 https://www.voanews.com/a/hong-kong-marks-one-month-anniversary-of-student-protests/2499296/p1.html

15 https://euromaidanpress.com/2019/09/09/protests-in-moscow-its-no-longer-just-a-game/?share=reddit.

**الشكل 13:** احتجاجات من أجل «الحرية والسلام والعدالة» وضد الحكم العسكري لعبت فيها النساء دورًا رئيسيًا. دارفور 2019,[16]

**خلاصة**

نحن لسنا مجرد جمهور من المتفرّجين على الأحداث التاريخية. لا يمكن إنكار عدالة أولئك الذين يناضلون ضد الاضطهاد. لا يجوز لأي شخص أن يدخل السجن بسبب توقيعه رسالة من أجل السلام. لا ينبغي حرمان أي جامعة من استقلاليتها في ممارسة وظيفته. الغزو الأمريكي للعراق والغزو الروسي لأوكرانيا كلاهما يستحق منّا إدانتهما بانتهاك القانون الدولي. يتمثّل إخلاص جمهورية الآداب في دعم المجتمع المدني والحقوق المدنية والحماية المدنية للاجئين مع الإصرار على أن كون كلّ مرء إنسان وهذا لا يمكن اعتباره فعلاً إجرامياً.

لقد تحادثت الحركات الاحتجاجية التي بدأت في عام 2011 عبر الصدى مع بعضها البعض وعلمتنا الدّروس التالية: تتطلب الديمقراطية الحقيقية المسؤولية حيال احتياجات الناس. لا يمكن للديمقراطية أن تزدهر دون روابط مجتمعية. يعاني الناس عندما يتواطأ السياسيون مع الأوليغارشية العالمية. يعاني الكوكب عندما تسود الدّوافع الرّبحيّة على مستوى العالم. مراكمة الثروة باعتبارها

16 https://www.jpost.com/International/Sudanese-woman-in-iconic-protest-image-reports-getting-death-threats-586666.

الهدف الأسمى للإنجاز الفردي ليس جيدًا للناس أو لأي كائن حي. و أيضا: الوعي يتغيّر أسرع مما نعتقد أحيانا.

تصورات الأفق سريعة الزوال وتتحرك مع مرور الوقت. تشمل الأفعال الجماعية عالمًا دوارًا. تقترح الكونية القاعدية فكرة راديكالية عن المجتمع لم تعد قائمة على ماض وطني استبعادي ولكن على تعايشنا المشترك على الكوكب الآن وهنا.

## المراجع

Buck-Morss, Susan, *Dreamworld and Catastrophe: The Passing of Mass Utopia in East and West*, The MIT Press, Cambridge, 2002.

Buck-Morss, Susan, *Günümüzde Devrim (Revolution Today),* çev. Onur Yıldız, Nika Yayınevi, Ankara, 2021.

Buck-Morss, Susan, *Hegel, Haiti ve Evrensel Tarih,* çev. Erkal Ünal. Metis Yayıncılık. İstanbul, 2012.

Buck-Morss, Susan, *Küresel Bir Karşı Kültür: Eleştirel Teori ve İslamcılık, Küresel Bir Sol Olabilir mi? (Thinking Past Terror: Islamism and Critical Theory on the Left),* çev. Süreyya Evren, Versus Kitap Yayınları, İstanbul, 2007.

Buck-Morss, Susan, Rüya Alemi ve Felaket: Doğu'da ve Batı'da Kitlesel Ütopyanın Karışması, çev. Tuncay Birkan, Metis Yayıncılık, İstanbul, 2004.

Buck-Morss, Susan, The Dialectics of Seeing Walter Benjamin and the Arcades Project, The MIT Press, Cambridge, 1991.

Buck-Morss, Susan, Year 1: A Philosophical Recounting, The MIT Press, Cambridge, 2021.

https://www.nasa.gov/content/blue-marble-image-of-the-earth-from-apollo-17

https://www.al-monitor.com/originals

https://www.susanbuckmorss.info/

https://www.iwm.org.uk/history/5-photographs-from-the-day-the-world-said-no-to-war

https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Democracia_real_YA_Madrid.jpg.

https://www.nationalgeographic.com/maps/article/about-maps

https://www.voanews.com/a/hong-kong-marks-one-month-anniversary-of-student-protests/2499296/p1.html.

http://earthobservatory.nasa.gov/IOTD/view.php?id=89257

https://tr.wikipedia.org/wiki/2011_Mısır_Devrimi

https://eol.jsc.nasa.gov/SearchPhotos/photo.pl?mission=ISS064&roll=E&frame=48480

https://www.natgeomaps.com/re-world-satellite

https://www.cornucopia.net/guide/listings/sights/haci-bayram-pasha-and-the-temple-of-augustus/

https://www.jpost.com/International/Sudanese-woman-in-iconic-protest-image-reports-getting-death-threats-586666

https://euromaidanpress.com/2019/09/09/protests-in-moscow-its-no-longer-just-a-game/?share=reddit.

# الحضارة الخالية من المشقات ومصير الإنسانية: بحث فلسفي

ماساهيرو موريوكا

## المقدمة

ان الحضارة الخالية من الألم هي مصطلح صغته في كتابي الياباني الذي يحمل نفس العنوان والذي نشر عام 2003. تهدف الحضارة المعاصرة إلى توفير المتعة والراحة وإزالة الألم والمعاناة قدر الإمكان. هذا واضح بشكل خاص في البلدان المتقدمة. الحضارة المعاصرة تتجه نحو حضارة خالية من الألم. لكننا في حضارة خالية من الألم، محرومون من بهجة الحياة التي تعتبر مصدرًا أساسيًا لمعنى الحياة، ونُقاد نحو حالة الغرق في بحر من اللذة. هذا نوع من الواقع المرير، ولا يمكننا إيجاد طريقة سهلة للهروب منه. من المهم إيلاء اهتمام خاص لهذا الجانب من الحضارة المعاصرة عندما نفكر في مستقبل كوكبنا.

كانت الأسباب التي دفعتني إلى ابتكار فكرة حضارة خالية من الألم كما يلي. كانت الأولى عبارة عن حلقة كان فيها المريض في غيبوبة عميقة في العناية المركزة. كانت ممرضة ترعى المريض، الذي لم يشعر بأي ألم أو معاناة، كان ينام بهدوء وراحة في غرفة مستشفى نظيفة يمكن التحكم بدرجة حرارتها. قالت لي الممرضة: «في النهاية، أليس هذا هو شكل الوجود الإنساني الذي تحاول الحضارة الحديثة أن تخلقه؟» لقد صدمت لسماع ذلك وبدأت أفكر في أننا قد نكون مقدرًا أن نكون مسالمين وسعداء وغير مؤلمين في المدن الحديثة محاطين بالتقنيات المتقدمة.

والثاني هو تناقض التجارب التي تسبب الإدمان. عندما ينغمس الناس في تجارب إدمانية، مثل المقامرة، والكحول، والمواد الإباحية، وإيذاء النفس، فإن العديد منهم لديهم مشاعر متناقضة: من ناحية، يشعرون بمتعة قوية، ولكن من ناحية أخرى، لديهم إحساس بأن يريدون حقًا السعي وراء هذا النوع من المتعة. هنا، السعي وراء اللذة لا يؤدي إلى السعادة الحقيقية والوفاء. ومع ذلك، لأنهم محاصرون بشدة بسبب الإدمان والمتعة المتكررة، لا يمكنهم العثور على مخرج من هذه الحلقة المأساوية المفرغة.

ثالثًا، واجهت مشكلة فلسفية تتعلق باللذة والألم. بالنظر إلى تجاربي السابقة، لا يسعني إلا أن أشعر أن السعي وراء المتعة والقضاء على الألم لا يؤديان بالضرورة إلى السعادة الحقيقية والهناء.

لقد جعلني الانخراط في هذه المساعي يغيب عن بالي شيئًا مهمًا للغاية ضروريًا لعيش حياة ذات معنى. لم أجد إشباعًا عميقًا في الحياة فقط من خلال زيادة اللذة وتقليل الألم. ومع ذلك، من الغريب أن الكثير من الناس لم يتفقوا معي. جادلوا أنه من الجيد زيادة المتعة وتقليل الألم في جميع المواقف تقريبًا. لقد شعرت بمشكلة فلسفية كبيرة هنا.

أما الرابع فهو مشكلة الأزمة البيئية والرأسمالية. في الثمانينيات، درست أخلاقيات المشكلات البيئية العالمية. قرأت العديد من الكتب التي جادلت بأن أحد الأسباب الأساسية للأزمة البيئية اليوم هو الرأسمالية العالمية. أصبحت بعض هذه الكتب من أكثر الكتب مبيعًا في اليابان، مدفوعة بقوة الرأسمالية. لقد فوجئت بطباعة الكتب التي تنتقد حركة الرأسمالية العالمية بأعداد كبيرة وعملت كقوى دافعة لدفع حركة الرأسمالية نفسها. اعتقدت أن شيئًا جديدًا كان يحدث. شعرت أن هذه مشكلة يجب فحصها من منظور حضاري.

**رغبة الجسد**

نُشر كتاب «حضارة خالية من الألم» باللغة اليابانية عام 2003 وتُرجم إلى الإنجليزية (الفصول من الأول إلى الثالث متوفرة على الإنترنت)[1] والكورية (الكتاب بأكمله)[2]، والتركية (الفصل الأول، تحت عنوان Acısız Medeniyet )[3].

الحضارة الخالية من الألم هي حضارة يمتد فيها نظام تعزيز اللذة والراحة وإزالة الألم والمعاناة إلى كل عنصر من عناصر المجتمع. لم يصل مجتمع اليوم إلى هذه المرحلة، لكن من المؤكد أن الحضارة المعاصرة تتجه نحو حضارة خالية من الألم. يمكننا أن نرى مجموعة متنوعة من علامات الحضارة الخالية من الألم في العديد من المدن في البلدان المتقدمة. من الصعب انتقاد حضارة خالية من الالم لأن فعل النقد يمكن أن تستخدمه حضارة خالية من الالم نفسها كأداة لتعزيز حركتها.

من أجل فهم أفضل لماهية الحضارة الخالية من الألم، دعونا نلقي نظرة على تاريخ الحضارة الإنسانية. الحضارة الخالية من الألم هي شكل تطوري للتدجين الذاتي، وهو مفهوم اقترحه إيغون

1 Masahiro Morioka (2003, 2021) and Masahiro Morioka (2003, 2023).

2 Masahiro Morioka, “The Concept of Painless Civilization and the Philosophy of Biological Evolution: With Reference to Jonas, Freud, and Bataille”, *The Review of Life Studies,* Vol.13, 2022, p.16-34. http://www.lifestudies.org/press/rls1304.pdf

3 Masahiro Morioka, “Painless Civilization 2.” Tokyo Philosophy Project, 2003, 2023. Downloadable from: https://www.philosophyoflife.org/tpp/painless02.pdf

فون إيكستيدت في الثلاثينيات. جادل فون إيكستيدت بأن البشر لم يستأنسوا الحيوانات فحسب، بل قاموا بتدجين أنفسهم أيضًا في عملية تكوين الحضارات البشرية. هذا يعني أن البشر قاموا بتعديل أنفسهم بنفس الطريقة التي قاموا بها بتعديل الحيوانات، مثل الماعز والأغنام.

فيما يلي الخصائص الرئيسية للتدجين الذاتي، وتوسيعه وإعادة تعريفه من قبلي:

1) وضع البشر أنفسهم في بيئة اصطناعية.

2) لقد بنى البشر نظامًا يمكنه توفير الغذاء تلقائيًا.

3) مكنت التكنولوجيا البشر من التغلب على التهديدات الطبيعية.

4) تعلم البشر كيفية إدارة التكاثر (مثل تنظيم الأسرة والطب الإنجابي).

5) حاول البشر تحسين نوعية حياتهم (على سبيل المثال، تحسين النسل وتقنيات الإنجاب الحديثة).

6) سيطر البشر تدريجياً على الموت (على سبيل المثال، القضاء على الوفيات غير المتوقعة والموت بكرامة).

7) ظهور التبعية الطوعية (التبعية الطوعية لحضارة حديثة مريحة).

يمكننا أن نجد هذه الظواهر بسهولة في البلدان المتقدمة حول العالم اليوم. الحضارة الخالية من الألم هي حضارة يتطور فيها التدجين الذاتي للبشر إلى أعلى درجة ممكنة. يتجه مجتمعنا نحو حضارة خالية من الألم، ويتم دمجنا جميعًا بالقوة في تيار عدم الألم. النقاط الأربع الموضحة في بداية هذه الورقة هي أمثلة للتدجين الذاتي الذي ينمو في مجتمع يتجه نحو حضارة خالية من الالم. ومع ذلك، ما هي القوة الدافعة التي تدفعنا نحو هذا التطور؟

اقترحت الفرضية القائلة بأن هناك رغبة أساسية داخل البشر - «رغبة الجسد» - وهي تدفع البشر إلى تدجين أنفسهم. ولرغبة الجسد خمسة جوانب:

1) السعي وراء اللذة وتجنب الألم.

2) المحافظة على الوضع الراهن والتخطيط للاستقرار.

3) تتوسع وتزداد نفسها إذا كانت هناك مجال.

4) التضحية بالآخرين.

5) التحكم في الحياة (البشرية) والحياة (البيولوجية) والطبيعة.

إن رغبة الجسد متأصلة بعمق في حياة الإنسان. لا يمكننا الهروب بسهولة من هذه الرغبة.

الحضارة الخالية من الألم هي حضارة تحركها هذه الجوانب الخمسة لـ «رغبة الجسد»، وهي منقوشة في أعمق طبقة من وجودنا. دعونا نتناول هذه الجوانب واحدة تلو الأخرى.

أولاً، في حضارة خالية من الألم، نسعى إلى اللذة والراحة، ونتجنب الألم والمعاناة. تمتد الأنظمة الاجتماعية التي تدعم هذه الإجراءات إلى كل ركن من أركان مجتمعنا.

ثانياً، في حضارة خالية من الألم، نحافظ على الوضع الراهن إذا كان مفيداً لنا، ونسعى لحماية استقرار هذه الدولة.

ثالثًا، في حضارة خالية من الألم، نسعى لتوسيع أراضينا ونطاق نفوذنا إذا كانت هناك فرصة.

رابعًا، في حضارة خالية من الألم، نسعى أحيانًا إلى الاستفادة من خلال التضحية بالآخرين، ونغمض أعيننا عن مثل هذه الأعمال الاستغلالية، وقد تم اختراع العديد من التقنيات التي تساعدنا في اشاحة أعيننا عنها.

خامساً، في حضارة خالية من الالم، نتحكم في مسارات حياتنا، وحياة وموت المخلوقات (بما في ذلك البشر)، والبيئة الطبيعية قدر الإمكان. أصبح هذا التحكم ممكنًا من خلال التقنيات العلمية والاجتماعية. هذه هي أهم ما يميز حضارة خالية من الالم.

إن هذه السمات الخمسة لـ «رغبة الجسد» منقوشة بعمق في البشر. هذا لأن أربعة من الخمسة خُلقوا قبل وقت طويل من ظهور الجنس البشري على الأرض. يجب أن نأخذ تاريخ التطور البيولوجي في الحسبان عندما نفكر في «رغبة الجسد». السمة الثانية، «الحفاظ على الوضع الحالي والتخطيط للاستقرار»، تشكلت عندما ظهرت الخلايا البدائية، التي كانت أسلاف جميع المخلوقات على الأرض، قبل أربعة مليارات سنة. بدأوا في الحفاظ على هياكل خلاياهم من خلال تبادل الجزيئات من خلال أغشيتهم. وهذا ما يسمى التمثيل الغذائي. السمة الثالثة، «تتوسع وتزداد نفسها إذا كان هناك فتحة»، تشكلت عندما بدأت الخلايا البدائية في الانقسام والتكاثر. السمة الرابعة، «التضحية بالآخرين»، تشكلت عندما بدأت الكائنات أحادية الخلية في أكل كائنات وحيدة الخلية أخرى على الأرض القديمة. وهذا ما يسمى البلعمة. (في هذا السياق، يجب أن نقول، "التضحية بمخلوقات أخرى"). تم نقل هذا السلوك إلى مخلوقات أخرى متعددة الخلايا من خلال التطور البيولوجي. تشكلت السمة الأولى، «السعي وراء اللذة وتجنب الألم»، عندما ظهرت حيوانات مجهزة بأجهزة عصبية مركزية على الأرض. بالإضافة إلى ما سبق، فإن السمة الخامسة، «التحكم في الحياة

(البشرية)، والحياة (البيولوجية)، والطبيعة» تشكلت عندما ظهر الجنس البشري وخلق الحضارات من خلال الاستفادة من تقنيات التحكم.[4]

من اللافت للنظر أن أربع من السمات الخمس لـ «رغبة الجسد» تكونت قبل ظهور الجنس البشري. لدينا أربعة مليارات سنة من التطور البيولوجي داخل أجسامنا ونحن مرتبطون به بشدة. أعتقد أن هذا هو السبب في أن «رغبة الجسد» مغروسة بعمق فينا ومن الصعب جدًا علينا الهروب من الحركة نحو حضارة خالية من الالم.

**التقنيات في حضارة خالية من الالم**

السمة الخامسة لرغبة الجسد، «التحكم في الحياة (البشرية) والحياة (البيولوجية) والطبيعة»، أدت إلى إنشاء شبكة من التقنيات التي تسعى إلى التحكم في كل شيء في المجتمع وعلاقة المجتمع بالطبيعة المحيطة . تعمل هذه التقنيات كقوى دافعة أساسية للنهوض بالحضارة الخالية من الألم.

تتميز التقنيات في حضارة خالية من الالم بثلاث خصائص مهمة على الأقل: 1) التخلص الوقائي من الألم، 2) الهياكل ذات التحكم المزدوج، و 3) أجهزة التخلص من الألم.

الأول هو «التخلص الوقائي من الألم». هذا إجراء وقائي أو استباقي يسعى إلى القضاء على الألم في المستقبل قبل ظهوره بالفعل. في كتاب الحضارة الخالية من الألم 1، كتبت، «هذا نظام لا يزيل المعاناة الموجودة بالفعل فحسب، بل يتنبأ بدقة بالمعاناة التي يمكن أن تنشأ لتهددنا في المستقبل ويمحو بشكل وقائي هنا والآن كل ما يبدو أنه من المحتمل أن يكون سببًا لهذه المعاناة المستقبلية «(ص 30). وخير مثال على ذلك هو فحوصات الكشف عن السرطان. إذا وجدنا السرطان في مراحله الأولى، فيمكننا إزالته بسرعة. هذا عمل نموذجي للتخلص الوقائي من الألم.

مثال آخر هو الإجهاض الانتقائي. اليوم، يمكننا اختبار السوائل التي تحيط بالجنين لمعرفة ما إذا كان الجنين يعاني من إعاقات شديدة، وإذا كان مصابًا، فيمكننا إجهاضه في ظل ظروف معينة. يمكن أيضًا تطبيق هذه التقنية على البويضات المخصبة التي يتم تصنيعها بشكل مصطنع خارج جسم المرأة. سيتم ببساطة التخلص من البيض الذي يعاني من إعاقات. من المتوقع أن يزداد عدد

4 لمعرفة العلاقة بين الرغبة الجسدية والتطور البيلوجي بإمكانك قراءة المناقشة التفصيلية في ورقتي البحثية لعام 2022 بعنوان: "The Concept of Painless Civilization and the Philosophy of Biological Evolution: With Reference to Jonas, Freud, and Bataille."

السمات البشرية التي يمكن اختبارها بشكل جذري في المستقبل. الحضارة الخالية من الألم هي حضارة يمكن فيها العثور على هذه الأنواع من التقنيات في جميع أنحاء المجتمع.

للوهلة الأولى، من غير الواضح ما هي مشكلة التخلص الوقائي من الألم.

تظهر المشكلة عندما تتراكم تقنيات القضاء الوقائي على الألم في المجتمع. في مثل هذا المجتمع، حيث نحن محاطون بمجموعة متنوعة من تقنيات القضاء الوقائي على الألم، ندرك لأول مرة أننا محرومون من احتمالات مواجهة الآخر والولادة من جديد، وهو أمر مهم جدًا لعيش حياة أصيلة.

ومع ذلك، فإن الحضارة الخالية من الألم حضارة ذكية. إنه يخدعنا باستخدام هياكل مزدوجة التحكم. إذن، ما هو الهيكل مزدوج التحكم؟

الهيكل ذو التحكم المزدوج هو الهيكل الذي تخلقه حضارة خالية من الالم في مجتمعنا. حضارة خالية من الألم لا تحاول أبدًا محو كل الآلام والمعاناة من حياتنا. إنه يسعى إلى القضاء على الألم والمعاناة من المجتمع ككل، ولكنه في نفس الوقت يترك عن قصد الألم والمعاناة في زوايا صغيرة من مجتمعنا، بل إنه يجذب انتباهنا إليهم بشكل إيجابي. إن الحضارة الخالية من الألم تترك مجالًا إيجابيًا لنا لنكون قادرين على الاستمتاع بكميات صغيرة من الألم وتوقع المخاطر هناك.

وخير مثال على ذلك هو التحكم الحكيم الذي يركز على الإنسان في البيئة التي سيتم العثور عليها في الحدائق الطبيعية المستقبلية حيث يمكننا الاستمتاع بالبرية والشعور بخطر فقدان حياتنا في الطبيعة الجامحة، ولكن في الواقع، لا يمكننا أبدًا ان نفقد حياتنا ونادرًا ما نؤذي أنفسنا لأن البيئة الطبيعية في المنطقة يتم التحكم فيها بحكمة ككل بواسطة تقنيات خالية من الالم. نظرًا لأن هذه التقنيات غير المؤلمة مخفية بشكل متطور داخل البيئة الخاضعة للرقابة، فإننا لا ندرك وجودها خلال الفترة التي نتمتع فيها بالمنتزه الطبيعي.

المنتزه الطبيعي الذي يمتد إلى مقياس الكوكب هو هدف حماية البيئة التي تسعى حضارة خالية من الالم إلى تطويرها. أسمي هذا «هيكلًا مزدوج التحكم»: هنا وهناك، يمكننا مواجهة عنف الطبيعة غير المنضبط، لكن الأخطار الحقيقية يتم قمعها بالكامل تقريبًا بواسطة التقنيات.

داخل مثل هذا الهيكل مزدوج التحكم، يشجعنا على الاستمتاع بنشاط بشعور المخاطرة وتجربة الألم والحوادث في الطبيعة. وفي نفس الوقت، يُسمح لنا أن ننسى أن النظام بأكمله يتم التحكم فيه بمهارة. هذا يدل على أن الحضارة الخالية من الألم لا تسعى أبدًا إلى القضاء على كل الألم

والمعاناة التي نواجهها في حياتنا اليومية. على العكس من ذلك، فهو يجعلنا نركز على الآلام غير الشديدة، وفي المقابل، يجعلنا ننسى أن النظام بأكمله يتم التحكم فيه بشكل متطور.

بعبارة أخرى، الهيكل مزدوج السيطرة هو هيكل يتم فيه تأمين حرية الناس في الهروب من سيطرة المجتمع في أجزاء صغيرة من المجتمع، بينما في المجتمع ككل، يتم التحكم في هذه الحرية بالكامل تقريبًا. تحاول الحضارة الخالية من الألم خداعنا قدر الإمكان باستخدام أجهزة التخلص من الألم. إذن، ما هو جهاز التخلص من الألم؟

جهاز التخلص من الألم هو جهاز يسعى إلى القضاء على الألم والمعاناة من حياتنا ويجعلنا ننسى أنه يتم التحكم فينا بواسطة هياكل مزدوجة التحكم في حضارة خالية من الالم. يمكن أن تعمل المسكنات والكحول والمخدرات كأجهزة لإزالة الألم على المستوى البدني. على المستوى النفسي، يمكن أن يعمل العلاج النفسي والدين كأجهزة لإزالة الألم لتقليل الآلام العقلية والروحية.

ومع ذلك، فإن أهم الأجهزة هي 1) وسائل الإعلام، 2) الخطابات التي تؤثر على طريقة تفكيرنا، و 3) الصناعات الترفيهية، مثل البرامج التلفزيونية والأفلام والدراما والموسيقى، التي يمكن أن تصرف انتباهنا بعيدًا عن المخاوف الغامضة. التي نشعر بها أحيانًا في مجتمع يتجه نحو حضارة خالية من الألم. تنشر هذه الأجهزة الترفيهية العديد من القصص المؤثرة للحب والرحمة وتجادل بأنه على الرغم من حقيقة أننا نعيش في مجتمع مليء بالألم والمعاناة، إلا أننا سنكون أخيرًا قادرين على الوصول إلى حالة من السعادة والوفاء من خلال قوة الحب والرحمة . وأخيرًا، نحن نسترشد بالرأي القائل بأن الإطار الأساسي لحضارة خالية من الألم لا يجب تغييره وأنه لا توجد مشكلة في العيش هناك.

**ما الخطأ في حضارة خالية من الالم ؟**

قد يفكر القراء، «حسنًا، أنا أفهم جوهر الحضارة الخالية من الألم، لكن ما العيب فيها؟» أعتقد أن هناك مشكلة كبيرة في العيش في حضارة خالية من الألم. أود أن ألقي الضوء على جانب واحد مهم وأحاول توضيح جوهره.

الحضارة الخالية من الألم هي حضارة تشجعنا على البحث عن المتعة والراحة، والقضاء على الألم والمعاناة، والحفاظ على إطار حالي مفيد لنا، والتحكم في حياتنا حتى يتمكنوا من المضي قدمًا بالطريقة التي خطط لها مسبقًا. ما ينقصنا هنا هو إمكانية الولادة من جديد بعد تجربة معاناة خطيرة غير متوقعة. في حياتنا، نواجه أحيانًا معاناة خطيرة غير متوقعة: قد نفقد أحد أفراد الأسرة

المحبوبين، وقد نعاني من إعاقات شديدة بسبب حادث مروري، وقد تفشل أعمالنا ونبقى دون نقود، أو قد يرتكب أطفالنا جريمة كبيرة.

في مثل هذه الحالات، نلقى في قاع حياتنا. نعتقد أن حياتنا قد انتهت وأنه لا يوجد مخرج. نشعر بألم شديد ونصرخ ونشعر بعذاب. ومع ذلك، في بعض الأحيان يحدث لنا شيء غريب للغاية - بعد أن مررنا بمثل هذا الألم، يتم تفكيك الإطار النفسي الذي حافظنا عليه بقوة، ويظهر أمامنا إطار جديد، أو نظرة جديدة للحياة لم تكن معروفة لنا. نحن. المكان الذي اعتبرناه جحيمًا يصبح مكانًا جيدًا آخر للعيش فيه. يحدث لنا إصلاح ضخم في نظرتنا للعالم. نحن نولد من جديد في قاع حياتنا. نشعر بإحساس غير متوقع بالفرح.

لقد أطلقت على هذا النوع من الفرح غير المتوقع الذي نشعر به بعد أن عانينا من معاناة شديدة «فرحة الحياة». لا غنى عن «فرحة الحياة» هذه للقدرة على عيش حياة أصيلة وذات مغزى. نظرًا لأننا لسنا روبوتات نحافظ على نفس الإطار طوال حياتنا، فإن هذا النوع من تجربة إعادة الميلاد يلعب دورًا مهمًا للغاية في حياتنا. بدون «متعة الحياة» يشعر الكثير منا بالاختناق وكأننا نغرق في بحر من السكر، غير قادرين على الهروب من إطار حضارة خالية من الألم.

المشكلة المركزية للحضارة الخالية من الألم هي أنها تمحو بشكل منهجي إمكانية «فرحة الحياة» من حياة الناس هناك.

ومع ذلك، يجب أن نولي اهتمامًا خاصًا لحقيقة أنه لا تزال هناك رغبة أخرى في داخلنا تسعى إلى تفكيك «رغبة الجسد». لقد أطلقت على هذا اسم «رغبة الحياة». "الرغبة في الحياة" هي رغبة في تفكيك إطارنا الحالي ورؤية عالم جديد أو إطار جديد لم نتخيله من قبل. في مجتمع يتجه نحو حضارة خالية من الألم، نواجه معركة في عالمنا الداخلي بين «رغبة الجسد» و «رغبة الحياة». تسبب هذه المعركة أنواعًا مختلفة من الأمراض في حضارة خالية من الالم، على سبيل المثال، إيذاء النفس. ومع ذلك، فإن إيذاء النفس ليس بالضرورة مرضًا يجب الشفاء منه. بدلاً من ذلك، هو شكل من أشكال الأمل، لأن إيذاء الذات هو عمل شجاع لهجوم «رغبة الحياة» ضد «رغبة الجسد». إن المطلوب هو توجيه طاقة «الرغبة في الحياة» في اتجاه آخر ومحاولة إيجاد طرق للهروب من حضارة خالية من الالم.

"الرغبة في الحياة" هي مفهوم رئيسي في نظرية الحضارة الخالية من الألم. الأمل الحقيقي يتنفس داخل «رغبة الحياة». النقطة المثيرة للاهتمام هي أن «الرغبة في الحياة» هي في الواقع تحول في «رغبة الجسد». من الناحية الفلسفية، فإن «الرغبة في الحياة» هي رغبة تحاول تجاوز

عالم «رغبة الجسد». هذا لأن «رغبة الجسد» لديها الرغبة في التوسع إلى ما بعد حدودها، وهذا يؤدي إلى محاولة تجاوز رغبة ميل الجسد لحماية هيكله الخاص. هنا تتحول «رغبة الجسد» إلى رغبة أخرى، رغبة في تفكيك «رغبة الجسد» التي أسميها «رغبة الحياة». "الرغبة في الحياة" هي رغبة تدعم بقوة إمكانية "فرحة الحياة"، والتي هي عنصر لا غنى عنه لنا حتى نتمكن من اكتساب معنى الحياة في مجتمع يتجه نحو حضارة خالية من الألم. في العلاقة بين الرغبتين، يمكننا أن نرى جدلية مثيرة للاهتمام للحياة. ومع ذلك، فإن «الرغبة في الحياة» ليست مفهومًا قديرًا مضادًا لـ «رغبة الجسد». نحن بحاجة إلى تحليل أكثر تفصيلاً لرغباتنا في الحضارة المعاصرة. (لقد ناقشت العلاقة الجدلية بين هاتين الرغبتين في الفصل الخامس من حضارة خالية من الالم).[5]

إن قوة «رغبة الجسد» قوية جدًا. هذه الرغبة هي أساس وجودنا. لذلك فإن المعركة ضد «شهوة الجسد» تعني معركة ضد الذات. من أجل الهروب من حضارة خالية من الالم، علينا أن نحارب نظامًا متشابكًا للتخلص الوقائي من الألم، والهياكل ذات التحكم المزدوج، وأجهزة التخلص من الألم، والتي هي منقوشة بعمق في الحضارة الحالية. ليس هناك طريق سهل للخروج.

لا توجد وصفة طبية لتفكيك الجانب السلبي لحضارة خالية من الالم. هذا لأنه إذا كانت هناك وصفة كهذه، فإن حضارة خالية من الالم ستقفز عليها، وتنشر الخطاب حول الوصفة كسلعة جذابة في جميع أنحاء المجتمع، وبذلك ستحاول الحضارة الخالية من الالم الحد من قوة تفكيكنا. . (هذا مشابه للموقف الذي، بغض النظر عن عدد الكتب التي يمكن نشرها حول القضايا البيئية، لا يتم حل القضايا البيئية الفعلية.) الحجة وحدها لن تحل مشكلة الحضارة الخالية من الالم. يجب أن نتوخى الحذر لئلا يتم استخدام حججنا من قبل الحضارة الخالية من الالم.

في مجتمع يتجه نحو حضارة خالية من الألم، ليس أولئك الذين لا يملكون القوة أو المال هم من يحتاجون إلى إدراك مشكلة الحضارة الخالية من الألم. أولئك الذين لديهم القوة والمال هم الذين يحتاجون إلى مثل هذا الوعي. هذا لأن أولئك الذين لديهم القوة والمال مرتبطون بشكل أعمق بـ «رغبتهم في الجسد» أكثر من أولئك الذين لا يملكون ذلك. إنهم يبحثون عن المتعة والراحة والمواقف غير المؤلمة والحفاظ على الإطار الحالي والحفاظ على حياتهم المفضلة. تبدو

5 في بحثي تحت عنوان "The "desire of life" is different from the "joy of life.", لا أقوم بمناقشة هذه النقطة بشكل واسع. لمن يود البحث بشكل موسع بإمكانهم قراءة قسم الحضارة الخالية من المشقات ومصير الإنسانية

هذه الحياة رائعة، لكنها فقدت تقريبًا إمكانية تجربة «متعة الحياة»، والتي لا يمكن منحها إلا عندما يتم تدمير إطارها المستقر من خلال مواجهة الآخر أو ظهور الآخر.

كثيرا ما يسألونني، «لماذا علينا أن نحارب الحضارة الخالية من الألم؟ أليس من المقبول أن تعيش حياة ممتعة وخالية من الألم؟ « جوابي هو أنه قد يكون من الجيد لك أن تعيش مثل هذه الحياة على المدى القصير، ولكن على المدى الطويل، من المحتمل أن يصبح مجتمعنا أكثر فأكثر بلا ألم، وسيصبح من الصعب جدًا علينا الهروب منه. حالة «الغرق في بحر السكر». ما تحتاجه هو توسيع خيالك والتفكير من أعماق قلبك في نوع المجتمع الذي ترغب في العيش فيه.

وبهذا المعنى، فإن نظرية الحضارة الخالية من الألم هي محاولة للتفكير بعمق في أنفسنا ومحاولة تذكر معنى الحياة عندما كنا أصغر سنًا وأكثر حساسية من اليوم. ماذا كان معنى الحياة عندما كنا أصغر سنًا وأقل ارتباطًا بـ «رغبتنا في الجسد»؟ بصفتي رجلًا بالغًا عاش طويلًا، أدرك أنني كنت مرتبطًا بشدة بـ «رغبتي في الجسد»، وفي هذا الصدد، واجهت حياتي مشكلة كبيرة. ومع ذلك، أقول دائمًا لنفسي أنني لن ازيغ عيني أبدًا عن حقيقة أنني ملتزم بشدة بـ «رغبتي في الجسد".

بالتأكيد، من الواضح أن مجرد إلقاء اللوم على نفسي بهذه الطريقة لا يحل أي مشاكل تنشأ عن «رغبة الجسد» والحضارة الخالية من الألم. إن نظرية الحضارة الخالية من الألم هي دعوة للقراء مني. أود منك أن تعيد النظر بعمق في حياتك في مجتمع «متحضر» وأن تفكر في نوع الحياة التي ترغب في أن تعيشها، وأن تشارك الأمل مع الآخرين في هذا المجتمع. أحيانًا يسألني لماذا أتحدث عن أناس يعيشون حياة سعيدة ومرتاحة، بينما كثير من الناس يعانون من حياة مؤلمة وبائسة. نعم، صحيح أن هناك الكثير من الناس الذين يعانون من معاناة شديدة. لكن ما الذي يتمناه هؤلاء بعد الهروب من حياتهم المؤلمة؟ ألا يتمنون حياة مليئة بالراحة والسرور وألم أقل واستقرار مدعوم بالتقنيات الحديثة والطب؟ هذا يعني أن مشكلة الحضارة الخالية من الألم هي مشكلة ليس فقط للأثرياء والناجحين، ولكن أيضًا للفقراء والمعذبين. إنها مشكلة لكل الجنس البشري.

**الحب في حضارة خالية من الالم**

الشيء الوحيد المقدر أن يختفي في حضارة خالية من الألم هو إمكانية الحب غير المشروط. لطالما كان حب شخص ما دون فرض أي شروط عليه أمرًا صعبًا للغاية، من العصور القديمة وحتى الوقت الحاضر. تسعى الحضارة الخالية من الألم إلى محو إمكانية الحب غير المشروط من المجتمع تمامًا. يمكننا أن نرى أحد الأعراض في الطب التناسلي اليوم.

دعونا نتخيل تقنيات الإنجاب المعاصرة، مثل الإجهاض الانتقائي والتشخيص الوراثي قبل الانغراس (PDG). باستخدام هذه التقنيات، يمكننا اختيار أجنة أو أجنة صحية وغير معاقة للولادة. هذا مثال نموذجي على «التخلص الوقائي من الألم» الذي نوقش سابقًا. يعتقد معظم الآباء أن حياة الطفل المصاب بإعاقة شديدة غير سعيدة وأن تربية مثل هذا الطفل تمثل عبئًا ثقيلًا عليهم. في الواقع، يختار معظم الآباء الذين يكتشفون إعاقة شديدة في جنينهم الإجهاض. كما نوقش في القسم الثالث، هذا إجراء وقائي أو استباقي يسعى إلى القضاء على الألم المستقبلي قبل ظهوره بالفعل. الحضارة الخالية من الألم هي حضارة تتخلل فيها أنواع مختلفة من «التخلص الوقائي من الألم»، ومثل هذه، كل ركن من أركان المجتمع.

وهذا يخلق مجتمعًا لا يُسمح فيه للإنسان بالولادة إلا عندما يكون قد استوفى شروطًا معينة وضعها عليه آباؤه. يضع الناس ظروفًا على أطفالهم، وعندما يكبر هؤلاء الأطفال، يجدون شركاء ويفرضون ظروفًا على نسلهم. ما ينقص بشكل منهجي في مثل هذا المجتمع هو إمكانية الحب غير المشروط: حب القبول الكامل لوجود شخص ما، بغض النظر عن مدى إعاقته أو قبحه أو عدم رغبته أو عدم رضاه أو مرهق. يشكل هذا اللاشروط الأساس الضروري للحب البشري. ومع ذلك، فإن الحب الموجود في الحضارة الخالية من الألم يختلف اختلافًا جذريًا عما نتخيله عندما نسمع كلمة «حب".

كتبت في كتاب «حضارة بلا ألم 2» ما يلي:

أن تكون محبوبًا هو أن تُمنح الاعتقاد بأن وجودك مؤكد من قبل شخص ما حتى لو كنت لا تفي بمعايير معينة. الاعتقاد بأن وجودي، ببساطة وجودي هنا، الآن، في أي حالة قد أجدها، يتم تأكيده من قبل شخص آخر. أن تحصل على هذا النوع من الإيمان يعني أن تكون محبوبًا.

هذا المجتمع المستقبلي هو الذي يزيل بشكل منهجي هذا النوع من الإيمان بالحب من أعماق قلب كل إنسان. إنه مجتمع يقلل المعاناة والأعباء على أساس القضاء على إمكانية الحب. إنه مجتمع يعيش فيه الجميع حياتهم اليومية، ويشكلون علاقات إنسانية ويحاولون الحفاظ على نمط حياة مستقر، بينما يحمل في أعماق قلوبهم قلقًا غامضًا: «قد لا أحبه في الواقع من قبل أي شخص». "قد يكون ذلك لأنني في الواقع لست محبوبًا من قبل أي شخص" هو الشعور الأساسي الذي يكمن في قاع هذا المجتمع. (ص 63 - 62)

سيكون الإحساس الأساسي الذي يجبر الناس على امتلاكه في هذا المجتمع، والذي هو متجذر بعمق في أذهانهم، كما يلي: «الشخص الموجود هنا الآن لا يجب أن يكون هذا» أنا «. أي شخص

آخر كان سيفعل مثل حسنًا إذا كانوا قد استوفوا الشروط «. ومع ذلك، نظرًا لأن العيش في مجتمع يتجه نحو حضارة خالية من الألم مليئة بالمتعة والراحة، فإن الناس على استعداد لإبعاد أعينهم عن هذه المشكلة الأساسية وخداع أنفسهم.

الحب في الحضارة الخالية من الألم هو نوع من الحب الذي يحمي أطرنا الممتعة ويسعى إلى الاهتمام بشخص ما طالما أن «حبنا» لا يقضي عليه. هذا حب مشروط، لكن الناس في الحضارة الخالية من الألم يعتقدون خطأً أن هذا النوع من الحب هو ما يرغبون بالفعل في الحصول عليه من شركائهم. نظرًا لأننا نغسل أدمغتنا بشكل كبير من خلال طرق التفكير التي توفرها الحضارة الخالية من الألم، فإن مجرد تحديد مشكلة الحب المشروط والبحث عن طرق للتغلب عليها لا يؤدي إلى قرارات ذات مغزى. ما نحتاجه هو محاولات لحل مشكلة الحب فيما يتعلق بمشكلة الحضارة الخالية من الألم بأكملها، والتي نحن جميعًا مندمجون فيها بعمق. مشكلة الحضارة الخالية من الألم لا تكمن فقط في البنية التحتية للمجتمع ولكن أيضًا في حقائقنا الداخلية والعقليات التي نتشبث بها في حياتنا اليومية. في «حضارة بلا ألم 2»، ربطت مفهوم الحب بمفهوم «الحس الأساسي بالأمان». كتبت: «الشعور الأساسي بالأمان هو الأساس الاجتماعي الذي يمكن للناس أن يعيشوا على أساسه حياتهم بسلام وبشكل هادف. إنه شيء مثل الثقة أو الثقة في العالم والمجتمع الذي يدعم وجود البشر «(ص 65). أعتقد أن هذا المفهوم يجب أن يكون أحد أسس الأخلاق في عصر الحضارة الخالية من الألم.

مفهوم موتي هو موضوع مهم آخر في نظرية الحضارة الخالية من الألم لأنه في طبقة عميقة من «رغبتنا في الجسد» هناك دافع قوي لتحقيق الخلود في هذا العالم أو في عالم آخر. "لا أريد أن أموت" هي إحدى القوى الدافعة التي تطور حضارة خالية من الألم. لذلك، فإن التغلب على الحضارة الخالية من الألم هو التغلب على رغبتنا في العيش إلى الأبد في هذا العالم، في العالم الآخر، أو في الجنة. هذا يعني أنه يجب علينا إعادة النظر بجدية في النظرة العالمية للأديان التي تقول إننا سنكون قادرين على اكتساب الحياة الأبدية في مكان ما خارج هذا العالم. بهذا المعنى، قد يكون نقد الأديان أحد الموضوعات الرئيسية لنظرية الحضارة الخالية من الألم. لا تكمن النقطة في أنه يجب إنكار الأديان في مجتمعنا، ولكن أي دين مسيحية أو إسلام أو بوذية أو هندوسية يمكن أن يكون بمثابة أداة خالية من الالم لجذبنا إلى عالم الحضارة الخالية من الألم. أود أن تفكر الأديان بعمق في علاقتها المحتملة بحضارة خالية من الألم في المجتمع المعاصر. بالطبع، صحيح

أن الأديان لديها القدرة على تفكيك الحركة نحو حضارة خالية من الألم. أود مناقشة هذا الأمر بمزيد من التفصيل مع القراء المهتمين بنظرية الحضارة الخالية من الألم.

**استنتاج**

هناك عدد من الموضوعات الأخرى التي يجب مناقشتها من منظور نظرية الحضارة الخالية من الألم. تتم حاليًا ترجمة كتاب «حضارة بلا ألم» إلى اللغة الإنجليزية، فصلاً فصلاً، حتى يتمكن القراء من رؤية الصورة الكاملة لحجتي في المستقبل القريب. آمل أن تنضموا إلى نقاشنا حول مستقبل حضارتنا ومصير الجنس البشري.

هناك العديد من الدراسات السابقة حول خلو الحضارة الحديثة من الألم. يصور كتاب[6] Aldous Huxley's Brave New World (1932) عالمًا بائسًا حيث يتم التحكم في متعة الناس وألمهم بذكاء بواسطة التقنيات العلمية المتقدمة. يناقش كتاب إرنست جونجر عن الألم (Über den Schmerz) 1934، المعنى الفلسفي للألم وعلاقته بالتكنولوجيا الحديثة والحرب.[7] في كتابه «قلب الإنسان: عبقريته للخير والشر» (1964)،[8] يناقش إريك فروم مصير البشر في المجتمع الحديث، الذين حرموا من طاقة الحياة وفتنوا بمجاراة الموتى. يعتبر كارل ماركس كابيتال (رأس المال، 1867) من أولى الدراسات التي تناولت الحركة المستمرة للحضارة الخالية من الألم. يقدم كتاب الفيلسوف الياباني شوزو فوجيتا «الشمولية نحو الراحة» (1995)[9] مناقشة ممتعة عن اللذة والألم والفرح، والتي كانت مقدمة لنظريتي عن الحضارة الخالية من الألم. يتناول كتاب ليون كاس وآخرون «ما وراء العلاج: التكنولوجيا الحيوية والسعي وراء السعادة» (2003)[10] حضارة خالية من الالم تظهر في عالم الطب. يناقش كتاب بيونغ تشول هان المجتمع الملطّف: الألم اليوم[11] Palliativgesellschaft: Schmerz heute (2020)؛ الذي نُشر بعد نشر حضارتي غير المؤلمة، نفس الموضوع من منظور ما بعد الحداثة. على الرغم من نشره في عام 2003، إلا أن كتابي

6 Aldous Huxley, *Brave New World,* Vintage Books, 1932.

7 Ernst Jünger, *On Pain (Über den Schmerz),* Telos Press Publishing, 1934.

8 Erich Fromm, *The Heart of Man: Its Genius for Good and Evil*, Lantern Books, 1964.

9 Shozo Fujita, *Totalitarianism Toward 'Comfort',* 1995. (*باللغة اليابانية*)

10 Leon Kass, et al., *Beyond Therapy: Biotechnology and the Pursuit of Happiness*, Dana Press, 2003.

11 Byung-Chul Han, "The Palliative Society: Pain Today, (*Palliativgesellschaft: Schmerz heute*)", *Polity*, 2020.

«حضارة بلا ألم» لا يزال غير مكتمل. أحاول الآن كتابة فصل طويل وأخير (الفصل التاسع) باللغة اليابانية وإكمال حجتي حول الحضارة الخالية من الألم.

على الرغم من عدم وجود إجابة سهلة لمشكلة الحضارة الخالية من الألم، يجب علينا معالجتها من زوايا مختلفة ومحاولة إيجاد طرق للهروب من التيار غير المؤلم الذي يحوم في المجتمع. لنتذكر السمات الخمسة لرغبة الجسد: السعي وراء اللذة وتجنب الألم، والمحافظة على الوضع الحالي، والتخطيط للاستقرار، وتوسيع نفسه وزيادة نفسه إذا كان هناك انفتاح، والتضحية بالآخرين، والتحكم في الأرواح (البشرية)، ( البيولوجية) والطبيعة. هذه السمات الخمسة لـ «رغبة الجسد»، والتي كانت تدفع بتقدم الحضارة الخالية من الألم، كلها مدمجة بعمق داخل كل واحد منا يعيش في مجتمع يتجه نحو عدم الألم.

ما أريد التأكيد عليه هو أنه من أجل تصور مستقبل أفضل لحضارتنا، يجب أن نعيد النظر بجدية في فهمنا لمعنى الحياة ومعنى الولادة. إن إعادة الفحص الفلسفي لأنفسنا هو المطلوب حقًا الآن.

## المراجع

Fromm, Erich, *The Heart of Man: Its Genius for Good and Evil*, Lantern Books, 1964.

Fujita, Shozo, "Totalitarianism Toward 'Comfort.'", 1995.

Han, Byung-Chul, "The Palliative Society: Pain Today (*Palliativgesellschaft: Schmerz heute*)", Polity, 2020.

Huxley, Aldous, *Brave New World,* Vintage Books, 1932.

Jünger, Ernst, *On Pain (Über den Schmerz),* Telos Press Publishing, 1934.

Kass, Leon; Blackburn, Elizabeth H.; Dresser, Rebecca S.; Foster, Daniel W.; Fukuyama, Francis; et al., *Beyond Therapy: Biotechnology and the Pursuit of Happiness,* Dana Press, 2003.

Morioka, Masahiro (2003, 2021). "Painless Civilization 1." Tokyo Philosophy Project. Downloadable from: https://www.philosophyoflife.org/tpp/painless01.pdf

Morioka, Masahiro "The Concept of Painless Civilization and the Philosophy of Biological Evolution: With Reference to Jonas, Freud, and Bataille." *The Review of Life Studies*, Vol. 13, 2022, pp. 16-34. http://www.lifestudies.org/press/rls1304.pdf

Morioka, Masahiro (2003, 2023). "Painless Civilization 2." Tokyo Philosophy Project. Downloadable from: https://www.philosophyoflife.org/tpp/painless02.pdf

# مستقبل الرؤية الواضحة في عهد عدم الوضوح

جون كين

يبدو أن هناك اتفاقًا متزايدًا بين العلماء والمواطنين على أن كوكبنا وشعوبه يمرون بعصر من عدم اليقين السياسي الخطير. وتتمثّل الفيضانات والحرائق والأوبئة العالمية وتدمير الأنواع والحروب التي لا تنتهي وانكماش القوة الأمريكية والحديث عن الانحطاط الروحي للغرب والاستياء من الديمقراطية وولادة إمبراطورية صينية عالمية جديدة من بين القوى التي يقال إنها المسؤولة عن تصاعد موجة عدم اليقين. إنها بهجة المتنبّئين بالكوارث. يتحدث بعض المتشائمين عن قفزة كبيرة إلى الوراء وتراجع نحو الكارثة وولادة جديدة للقلق والخوف والانهيارات العنيفة التي ميزت العالم في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي. إنهم متأكدون ليس فقط من أننا محاصرون بـرباعي VUCA التقلب وعدم اليقين والتعقيد والغموض لاستخدام الاختصار الإداري الحالي - ولكن أيضًا أن المستقبل لن يجلب سوى التهديدات بدلاً من الفرص الجديدة للعيش في اليسر. يتحدث أكاديميّون محافظون لم يعرفوا بتفاؤلهم عن «الدمار الذي صنعناه معًا». يقترح هؤلاء الدّارسون أنّ الحماقة والغباء البشريين قد تضافرا معا لضمان عدم التّراجع عن الاتجاهات السّائدة حاليّا. ويقال: «ربّما قد فات الأوان لتفادي الكارثة العالمية».[1] "على عكس التهديدات البشرية الكبيرة في الماضي والزلازل وأمواج تسونامي والبراكين وصدمات النّيازك، فقد جلبنا هذا الخراب على أنفسنا فيما يدلّ كلّ شيء على نيتنا في الاستمرار في القيام بذلك. يتزايد اليوم الإقبال هذا النمط من التفكير الكارثي. لقد عادت شعبيّة شوبنهاور مجدّدا. في حين أنه لا يوجد اتفاق حول الأسباب الجذرية للمأساة التي تتوالى فصولها شيئا فشيئا، فإن التشاؤم هو الموضة الجديدة التي تدفعها الذّهنيّة القائلة ‹›إذا كان الخبر دمويّا فهو دائما في الصّدارة‹‹ لصحافة الإخبارية العاجلة ومن خلال ديناميكيات نشر المعلومات التي تميّز الوفرة التواصليّة والشبكيّة. ويعتبر التأثير المزدوج لهذا التّشاؤم ضمانا لحصول طفرة غير مسبوقة في الإحساس بالهلاك الجماعي. *أو هكذا يبدو الأمر.

---

1 الملاحظات التي أدلى بها جون دن في مراجعته مؤلّف آدم برزيورسكي، «أزمات الديمقراطية»، (دن 2021). يقدّم مؤلّف نيال فيرغسون: *القيامة: سياسة الكارثة* (فيرغسون 2021) العديد من الأمثلة على مآسي الماضي والحاضر بينما يضيف تنبؤاته المتشددة بشأن حرب باردة قادمة مع الصين.

كيف لنا أن نحكم على وجاهة التشاؤم الجديد وحقيقته؟ أ لم يسبق لهذه الكآبة أن انتشرت من قبل؟ إنّ الوضع جدّي بالفعل ولكن الادعاءات المتشائمة الدغمائية حول عصر جديد من عدم اليقين المفرط محاطة بالشكوك. على سبيل المثال، ليس واضحا ما إذا كان عدم اليقين الجديد، عندما يُنظر إليه تاريخيًا، يتجاوز أو حتى يتطابق مع فترات الكوارث السابقة وليس جليّا أيضا إلى أيّ مدى يكون ذلك. هل تضاهي مصاعب عصرنا ومخاوفنا من كوكب غير صالح للعيش حجما وعمقا كوارث النصف الأول من القرن العشرين بأزماته الاقتصادية والوباء الذي أودى بحياة 5 بالمائة من سكان العالم، وإمبراطورياته الفاشلة وتدمير الديمقراطية البرلمانية والحكم الشّمولي والحروب العالمية الكارثية التي حصدت أرواح أكثر من 100 مليون في صفوف الجنود والمدنيّين؟ أو كيف يمكن مقارنة أوجه عدم اليقين في عصرنا بالاضطراب الديني الكبير في أواخر العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث والذي عبّر عليه المؤرخ الفرنسي جان ديلومو ببراعة : الذنب والخوف من اللّعنة والموت الذي تسببت فيه الكنيسة وتفاقم بسبب نوبات من العنف العسكري والمجاعة والمرض ومخاوف نهاية العالم السّائدة من الشّعوذة وغيره من قوى السحر الشريرة؟ (ديلومو 1990).[2]

لا نعرف حقًا كيفية الإجابة على هذه الأسئلة الصعبة والمربكة بشكل صريح. فعند مقارنة عهود بأكملها ومقارنة الصعوبات التي نواجهها مع مصائبهم، لا يمكن تصنيف وقياس تجربة عدم اليقين بسهولة فيما يظلّ تعريف عدم اليقين نفسه ملتبسا. لا ينبغي أن يكون هذا مفاجئًا لأنّ الحياة فقط لا تتأثر بتدفق الزّمن لا يمكن تعريفها بأي قدر من اليقين. يمكننا حتّى القول بأنّ عدم اليقين هو بمثابة شخصيّة مقلقة ومعذب متقلب المزاج لتوق الإنسان إلى اليقين ومشكك سريع الغضب من اليقين - وكما أوضحت العديد من الدراسات المهمة السابقة لليقين وعدم اليقين - فهو سمة مزمنة تتسّم به كل الأعمال البشرية. قبل قرن من الزمان، أشار الفيلسوف الألماني كارل ياسبرز[3] في كتابه Psychologie der Weltanschauungen (1919) إلى أن تلك اللحظات التي يسيطر علينا فيها عدم اليقين ونواجه "مواقف قصوى" يمكن أن تذكرنا بأننا كائنات هشة ومحدودة الكرامة والحرية والسعادة ممّا يجعل العيش الهادف قيّما بالفعل. فيما صرّح عالم الاجتماع هارتموت روزا مؤخرًا الشيء نفسه: إحساسنا بأن الحياة غير الخاضعة للسّيطرة هي شرط مسبق للشعور بأننا على قيد الحياة وفيما «يتردّد صدانا» منسجما مع العالم (روزا 2021).[4]

2 Jean Delumeau, *Sin and Fear: The Emergence of a Western Guilt Culture,* 13*th*-18*th Centuries,* Palgrave Macmillan, London, 1990.

3 Karl Jaspers, *Psychologie der Weltanschauungen,* Springer, Berlin, 1919.

4 Hartmut Rosa, *The Uncontrollability of the World*, Polity Press, Cambridge, 2021.

وهنا نذكر ما يمكن اعتباره قاعدة: عندما تشعر اللّحظات من مسارها، تزدهر الأسئلة حول أفضل السبل لتصنيف وقياس تجربة عدم اليقين. فلنفكّر في كتاب البحث عن اليقين لجون ديوي. تم تقديمه لأول مرة في ما سمّي محاضرات جيفورد في جامعة إدنبرة في 1928/29، حيث أقرت بوجود عدم اليقين في الشؤون الإنسانية والجهود المعيبة للمحاولات السابقة («البدائية») "للهروب من الخطر" والقضاء على المخاطر عن طريق «الدعاء والقرابين والطقوس الاحتفالية والعبادة السحرية ‹›.[5] ذهب ديوي أبعد من ذلك. فقد ورط كل التقليد الفلسفي الغربي في البحث الأرعن عن معرفة ثابتة لواقع نهائي وغير قابل للتغيير. افترض البحث أن «اليقين والأمن لا يمكن العثور عليه إلا في الثابت وغير المتغير» وأن «المعرفة هي الطريق الوحيد إلى ما هو مستقر ومؤكد في جوهره» مدعومًا بالاعتقاد بأن «النشاط العملي لهو شيء أقلّ قيمة» .[6] ويرى ديوي أن الانقسام الناتج بين البحث عن المعرفة التأملية للجواهر الخالدة السابقة والعالم الدنيوي للفعل اليومي لهو عبء يقصم الظّهر. إنه يحد من التقدم البشري الذي يتطلب الآن انضمامهم الواقعي بحيث يدعم البحث عن المعرفة الجهود المبذولة للعيش الأفضل والسّلوك السّليم. حث ديوي الفلسفة على تخليص نفسها من اللاهوت ووضع أقدامها بثبات على الأرض من خلال التخلي عن «العقل غير العاطفي» و «عزلها عن الحياة المعاصرة».[7] يجب أن تكون الأساليب العلمية التجريبية هنا دليلنا الموثوق به لبلوغ الحياة الذكية المحمية بمستوى عال من اليقين. وأكد أن بعض المعرفة ليست «صورة» لـ «واقع متجاوز».[8] بل يتم اختباره في التجربة بالوسائل التجريبية التي يتم قياسها مقابل مخرجات الاختبار والتجربة الفعلية. تمامًا كما يدرس علماء الفلك النجوم من بعيد ويجب عليهم تفسير حركاتها وسكناتها من خلال الملاحظات القابلة للتعميم، كذلك يمكن للفلسفة والعلوم الإنسانية الأخرى أن تساعد في تبديد الشكوك باستخدام الأساليب العلمية التجريبية لاكتساب «المعرفة العاكسة المطبقة على التجربة البشرية» القابلة للاختبار.

شدد ديوي على أن القضاء على عدم اليقين في الشؤون الإنسانية ليس ممكنًا، ليس فقط لأن الطبيعة مزيج متقلب من الانتظام والمفاجآت غير المعروفة ولكن أيضًا لأن "عدم اليقين هو في الأساس مسألة عملية" فإن الفعل البشري دائمًا ما يكون محفوفًا بالمخاطر.[9] بالإشارة إلى مبدأ عدم

5 John Dewey, *The Quest for Certainty: A Study of the Relation of Knowledge and Action*, Minton, Balch & Company, New York, 1929. Available online at 03 October 2021

6 *نفس المصدر ص* 15

7 *نفس المصدر ص* 07,53

8 *نفس المصدر ص* 731-931

9 *نفس المصدر ص* 322

اليقين لدى هايزنبرغ، اقترح ديوي أن عدم التحديد في الشؤون الإنسانية ذو حدين: يمكن أن يجلب الأشياء الجيدة وكذلك السيئة «الشر أو ... الحظ الجيد».[10]العمل البشري «محفوف بخطر المستقبل»[11] لا مفرّ من «ضرس الوقت المزعجة» ولا من «التقلب وعدم اليقين».[12] لكن الطريقة التجريبية المطبقة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية هي التي يمكن أن تساعدنا في ترويض الخيول الجامحة لعدم اليقين وتقديم «[حصة] أكبر من الأمن» في حياة المواطنين.[13]

كان هجوم «البحث عن اليقين» على الميتافيزيقا الغربية هائلا. وكانت الصيغ العملية أقل من ذلك. لقد اتسمت هذه الأخيرة من الغموض، ولكن في مكان آخر ومن خلال حياة طويلة بشكل جيد كأبرز مفكر عام في أمريكا، أوضح ديوي ارتباطاته بمبادئ سياسية مثل استقلال الجامعات والتنظيم العام للأسواق والشركات والتعليم مدى الحياة ومعارضة التزمّت الأعمى والتعصب والعاطفة لتقاسم السلطة الديمقراطية. ولكن بالنظر إلى هذه الالتزامات، تجدر الإشارة إلى التحيز التكنوقراطي أو الإداري الغريب في التزامه السياسي في هذه المحاضرات إلى ما أسماه بأشكال مختلفة «التفكير التشغيلي» و «الذرائعية البراغماتية» و «الأساليب الذكية للتنظيم» و «إعادة البناء الاجتماعي المنظم» و «تعديل الأشياء بوصفها وسائل وموارد فيما تكون أشياء أخرى غايات. كان ديوي من أشد المؤمنين بالرؤية التقدمية للحكومة الرّشيدة فيما تكون صياغة السياسة وتنفيذها بناءً على الأدلة التي تم جمعها من قبل أجهزة بيروقراطية من الخبراء ووكالات أخرى. ظل دور السياسة الديمقراطية غير واضح في رؤية الكتاب. لسبب مشابه، كان إيمانه المبكر بغزو الطبيعة في القرن العشرين يلفّه الشّك: "يتقدم العلم من خلال تبني أدوات وأعمال الممارسة الموجهة وبالتالي تصبح المعرفة المكتسبة وسيلة لتطور الفنون التي تخضع الطبيعة أكثر للخدمة الفعلية والمحتملة للغايات والتقييمات البشرية.[14] بعد مرور قرن من الزمان، يعاني المشروع البشري بأكمله المتمثل في التلاعب بـ «الطبيعة» وقهرها بما أنّه يُنظر إليها على أنه شأن خارجيّ بالنّسبة لحياة البشر من أزمة عميقة. لقد أدار عدد متزايد من العلماء والمواطنين وممثليهم ظهورهم لتخريب المجال الجوّي الكوكبي. وبدلاً من ذلك، فإنهم يتبنون المبادئ والأساليب التي تسترشد بالحساسيات الاحترازية. وعلى عكس ديوي، يصر الكثير من الناس ،وهم على حق من وجهة نظري،

10 *نفس المصدر ص* 322

11 *نفس المصدر ص* 322

12 *نفس المصدر ص* 292-692

13 *نفس المصدر ص* 703

14 *نفس المصدر ص* 58

على أن «الذكاء العملي» للعقل العلمي التقني يزيد الأمور سوءًا ويعمّق من حالة عدم اليقين في عصرنا. إنهم يقولون إن البشر ليسوا مقياس كل الأشياء وأنّه لا يجب علينا اعتبار كوننا مخزونًا من الموارد التي ينهبها البشر كما يشاءون من أجل تعظيم الذات والمتعة الأنانية. لقد أصبح التواضع في مواجهة الشكوك الجديدة الآن إلزاميًا أي أن يكون البشر رعاة حكيمين بدلاً من أن يتصرّفوا على أنّهم أسياد متغطرسون في علاقتهم بالمجال الحيوي. وبذلك يكون الأمر بمثابة إعادة تصوّر للديمقراطية بصفتها مشروعا يهدف إلى حماية البشر ومناطقهم الحيويّة من ويلات السلطة الممارسة بصورة تعسفية.[15]

**الحياة اليومية**

يظهر نهج أكثر راديكالية من الناحية الفلسفية لموضوع اليقين وعدم اليقين في المجموعة الاستثنائية المكونة من 676 شذرة حكميّة عرفت بعنوان في اليقين (Über Gewissheit)، وهو عمل أدبيّ كلاسيكي صاغه وطبعه لودفيغ فتغنشتاين خلال الأشهر الثمانية عشر الأخيرة من حياته في انتقاله بين إيثاكا وفيينا وأكسفورد من منتصف عام 1949 إلى حدود وفاته في نهاية أبريل 1951.[16]

في *اليقين* هو نشيد ضد رغبة الإنسان في اليقين والسيطرة على العالم. بادئ ذي بدء، فإنه يذكرنا بأن اليقين وعدم اليقين هما من الأمور الحميمة التي تؤثّث حياتنا اليومية. هناك بعد شخصي متجسد للتجربة المتمثلة في عدم معرفة من نكون على وجه التّحديد وماهيّة عالمنا ووجهتنا نحن والعالم. الحديث الكبير عن الطفرات العالمية وعدم اليقين الكوكبي شيء فيما تكون الحياة اليومية مع عدم اليقين شيئا مختلفا تماما فهي عبارة عن مسألة سياسية.

نحن نتعامل عادة مع حالة عدم اليقين من خلال تنحيتها جانبًا والاختباء منها إذا ما كان ذلك باستطاعتنا ولكنّ هناك أوقات وأماكن يستحيل فيها القيام بذلك. فكر في أسوأ الحالات الأخيرة ،على سبيل المثال، آلاف الأفغان الذين تركتهم امبراطورية منسحبة في مطار كابول ومدينة (ماريوبول) التي يعيش سكانها المتبقون وسط الأنقاض خوفًا من الجوع والموت أو تأمل لحظة في حياة أكثر من مليوني بيروتي التي مزّقها أحد أكبر الانفجارات غير النووية التي سجّلت على الإطلاق أو فكّر في شعب هايتي الذي يعاني جميعهم تقريبًا حاليًا من الآثار المميتة المتتالية للزلازل والهزات

15 راجع مؤلّفات كين الصادرة في سنة 2018 والأقسام الختامية لمؤلفاته لسنة 2022.

16 الاقتباسات التالية هي شذرات حكميّة رقّمها فتغنشتاين في الكتاب الذي صدر بعد وفاته في سنة 1972.

الارتدادية ويواجه المنخفض الاستوائي غريس والانهيارات الأرضية واغتيال الرئيس جوفينيل مويس وعنف العصابات والكوليرا والعجز الغذائي وسوء تغذية الأطفال. .https://disasterphilanthropy org/disaster/2021-haiti-earthquake-and-tropical-storm-grace/ في مناطق الكوارث من هذا القبيل، يسود عدم اليقين بشكل مطلق. تتّسم حياة الناس اليومية بصنف واحد فقط من اليقين: الفوضى والموت.

أشار فيتغنشتاين إلى أنه عندما يكون الناس أكثر حظًا وتكون الظروف أكثر لطفًا، فإنهم يتمتعون برفاهية في الخيال ممّا يجعل عدم اليقين ضئيلا أو غير قادر على السّيطرة على حياتنا اليومية. نحن نقي أنفسنا بألوان من اليقين ونبني أعشاشًا للقدرة على تنبّئ مستقبلنا. وبذلك نقوم من خلال افتراض أن الأشياء ثابتة ومؤكدة ومستقرة.[17] كتب فيتغنشتاين: «لعبة التشكّك ذاتها تفترض اليقين افتراضا مسبقا». تمامًا كما يتعلم الأطفال من خلال تصديق الرّاشدين وتعليق وظيفة الشك "الذي يأتي بعد الإيمان"[18]كذلك نحن في حياتنا اليومية نسلّح أنفسنا جميعًا بمعتقدات لا تتزعزع ونضع أنفسنا في شرنقة ممارسات تأخذ شكل لغة نفترض أنّها غير قابلة للشك و»حقيقية» و»صحيحة» أخلاقياً. يعلق فيتغنشتاين قائلاً: «أنا أتصرف بيقين تام». "لكن هذا اليقين خاص بي"[19].

نغفو ونتحدث حديث الوسادة ونخرج من أسرّتنا من نفس الجانب كل صباح. نجلس على المرحاض ونغسل وجوهنا وننظر في المرآة إلى أجسامنا أثناء فرش أسناننا. نحن نضع الغلايات على النّار ونصنع الشاي ونشرب القهوة ونقبّل أحباءنا عند توديعهم ونلحق بالحافلات ونمشي ونركب دراجاتنا ونرسل رسائل نصية ونبحث عن الأخبار العاجلة ونقول صباح الخير ونحلم أحلام اليقظة قبل استخدام كلمة «مطلقًا»في أوّل محادثات الصباح. اليقين هو شعارنا المرفوع في وجه الضّياع. لكنه ليس مجرد علاج مؤقت للارتباك والاستضعاف:[20] اليقين المصطنع هو شرط لإمكانية وجودنا في العالم. يُعرف أيضًا باسم العادة: التصرفات المكتسبة التي تعمل كمثبتات وعوامل تمكين في الحياة اليومية. العادات - ما أسماه أرسطو hexis و Maurice Merleau-Ponty يسميها *habitude* العادة ويطلق عليها بيار بورديو تسمية *habitus* هابيتوس - ليست إلّا مراسي عمياء تخفف علينا آلام عدم اليقين من خلال تخفيف ثقل أفعالنا اليومية وتقييدها ميكانيكيًا. وصرّح

17 نفس المصدر 115

18 نفس المصدر 160

19 *نفس المصدر* 471

20 Friedrich Nietzsche, *The Gay Science*, ed. Bernard Williams, trans. Josefine Nauckhoff, Cambridge University Press", Cambridge, 2001.

فريدريك نيتشه بأنّ الحياة دون عادات تتطلب «الارتجال» المستمر بشكل جهنمي وأبدى قلقه أيضًا من أن آثارها المشبعة يمكنها أن تصبح مألوفة - ‘راسخة’ - ممّا يحوّل العادات أنفسها إلى «طغاة».[21] كان لديه وجهة نظر فالعادات تتأتى من الخارج إلى دواخلنا لتصير المحدّد لهويّتنا. قد يكون لها آثار ضارة على نزوعنا إلى الحركة والفعل في العالم فضلاً عن رغبتنا في الإضرار بحياة الآخرين. النظام الغذائي السيئ وعدم ممارسة الرياضة والخطاب العنصري والغطرسة الذكورية والعنف المنزلي هي عادات معيقة ومثبّطة ومسائل سياسية بحتة، في مجالات الحياة اليومية وما وراءها، تحدّد المقدار الذي سيحصل عليه والمكان والكيفيّة. لكن العادات يمكنها أن تكون تمكينية بصورة إيجابية. بعيدًا عن اختزال أنفسنا في سذّج كسالى أو تحوّلنا إلى أفراد متعصّبين، تعمل العادات بوصفها تجارب داخلية تعزز قدرتنا الإبداعية على الإبحار في تقلبات الحياة. إنها بمثابة أشكال أنظمة طبيعيّة تعزّز كينونتنا، إذ تمكّننا (وأنواع أخرى من الكائنات) وتجعلنا لائقين وتجعلنا هذه اللّياقة بدورها، كما أشار غسان حاج، قادرين على التعامل مع التحديات التي تعترضنا في طريقنا من خلال البيئة الاجتماعية التي نعيش ونتطور بينها (حاج 2013).[22]

**الأوجه غير اليقينية لليقين**

هناك الكثير من العادات. إن أفكار فيتغنشتاين حول الجودة العرضيّة والمختلقة لما يمكن اعتباره معرفة أكيدة لا تقلّ أهمية هي الأخرى فإنّ لها آثار عميقة على الطريقة التي نفكر بها نحن علماء السياسة في مسائل مثل دور الجامعات والبحث التجريبي والحقيقة والمعنى والدور الوظيفي للخبرة في الأنظمة الديمقراطية. تأمل، على سبيل المثال، الطريقة التي تساعدنا بها تأملات فيتغنشتاين في رؤية الحاجة إلى التخلي عن وجهة النظر الأرثوذكسية القائلة بأن الخبراء ينعمون بحقائق لا تقبل الجدل كما لو كانوا يحلّون محلّ الكهنة ومطبّبي الشامان وبدلاً من ذلك إعادة تصوّر الخبراء بوصفهم متخصصين يعرفون بعض أسوأ الأخطاء التي يمكن ارتكابها في مجالهم بناء على خبرتهم الطويلة. فالخبرة الحقيقية هي عدم الشك تجاه الأفكار الإنسانية الكبرى التي ترى الحقيقة بصفتها معرفة. إنها معارضة لأوهام اليقين الكبرى والأكاذيب الكبرى والهراء الأرعن. يماس هؤلاء الخبراء الذين ينظر إليهم بهذه الطريقة الجديدة بوصفهم مخالفين للسّائد. هم متخصصون في التفكير الطّباقي. الخبير هو الشخص الذي يسعى إلى تجنب الأخطاء بحكمة ويناشد الآخرين

21 راجع نيتشه 2001، الكتاب الرابع، القسم 295 «العادات القصيرة».‘

22 Ghassan Hage, “Eavesdropping on Bourdieu’s Philosophers”, *Thesis Eleven,* Vol. 114, No. 1, 2013, p. 76-93.

بتواضع لكي لا يكونوا سخفاء ملتحفين بجهلهم المتغطرس. عندما يرتقون إلى مستوى معاييرهم الخاصة يرمي الخبراء التّصوّرات المضادة على وجه السلطة الراسخة. غالبًا ما يقال إن خلافهم للسّائد ينطوي على الصّدع بـ «الحقيقة» أمام القوّة، ولكن نظرًا للصعوبات الفلسفية والسياسية مع تلك الكلمة المراوغة المتغطرسة تلك، فإنّه من الحكمة التحذير من استخدامها. من الأفضل كثيرًا أن يعتبر لخبراء على أساس أنّهم أشخاص يدركون بأنّ معرفتهم ليست مثالية ولا محدودة. الخبراء لديهم شعور قوي بالذّهول أمام العالم إذ أنّهم يدركون أن أحكامهم تتأرجح دائمًا على شفير الخطأ إذ أنّ خبرتهم هي مغامرة لا تنتهي في أراضي عدم اليقين. يتم تدريب الخبراء على توقع ما هو غير متوقع بينما يكونون مدركين الغرابة الكمية التي يتّسم بها العالم.[23]

إن تركيز فيتغنشتاين على الجودة العرضيّة والمختلقة لتفكيرنا يخلّف آثار عامة من خلال جداله مع جي. إيه مور المنتمي إلى مجتمع حواريي كامبريدج المناصر للحسّ السّليم صاحب مقولة «هذه يد وهاهي يد أخرى». أشار فتغنشتاين في أقواله المأثورة إلى أن كلمة اليقين (*Gewissheit*) تنتمي إلى مجموعة من المصطلحات المرتبطة بجملة من المعاني التي تشمل المحدّد والموثوق والأكيد (من الأصل اللاتيني: *certus*: مستقرّ، أكيد) أي غير القابل للتغيير الذي لا يجب الشك فيه إذ أسّس بصفته "واقعا" أو (بشكل أقوى) على أساس أنه "الحقيقة". وكما أراد أن يقول، رغم أنّ هذه الكلمات تبدو باعثة على الطّمأنينة والرّاحة فإنّها تعمل على تعتيم الجودة السياقية والطارئة تماما لما نعتبره من المسلّمات والأمور المتوافق عليها.

قال فيتغنشتاين: "تستند المعرفة إلى الإقرار [*Anerkennung*] في نهاية المطاف".[24] تعتبر هذه الفكرة أكثر جرأة من ملاحظة ماكس فيبر السابقة بأن 'كلّ «معرفتنا»مرتبطة بواقع مكوّن بشكل قاطع' وأن «السببية» حتّى لهي فئة من فئات «فكرنا» (ويبر 188 :1949).[25] من المؤكد أن ملاحظة فيتغنشتاين لها صلة مستمرة بما نعتبره علمًا سياسيًا: ما نعتبره صحيحًا وواقعيًا وقائما على الأدلّة ومؤكدًا وغير قابل للجدل الذي يتم ترسيخه وتحديده ضمن «ألعاب لغوية» مبنية على قواعد معيّنة في كلّ زمان ومكان . على الرغم من أنه استخدم عبارات مختلفة إلا أن فيتغنشتاين أعاد فعليًا إحياء فعل قديم من أوائل القرن السادس عشر بجذور أقدم: فعل أكّد يعني جعل شيء

23 راجع ملاحظاتي حول المعنى المتغير للخبرة ولماذا يُنظر إلى الخبراء على أفضل وجه بوصفهم مهنيّين متمرسين يعترفون بحدود معرفتهم ويحذرون الأقوياء من توخي الحذر، في منشورات كين لسنة 2021.

24 ويتغنشتين, نفس المصدر 378

25 Max Weber, *The Methodology of the Social Sciences*, Free Press, Glencoe, Ill, 1949.

مؤكّدا أو التصديق على شيء على أنّه في منأى عن الشّك.[26] تتجاوز هذه النقطة براغماتية ديوي فوفقًا لفيتغنشتاين تعتبر جميع ادعاءات الحقيقة تأكيدات ناتجة من داخل حدود لعبة لغوية معينة. ما يُعدّ دليلاً فضلا عن «الوقائع» وجميع الاختبارات والتأكيد وعدم التأكيد على ادعاءات الحقيقة القائمة على «الأدلة» و «الوقائع» يتبلور داخل سقالات (*Gerüst*) لعبة اللغة (105). أشار فيتغنشتاين إلى أن 'سبب استخدام عبارة «صواب أو خطأ» ينطوي على شيء مضلل بشأنه إذ هو أنه كأن يقول المرء «يتوافق أو لا يتوافق مع الحقائق»، والشيء ذاته يكمن في التساؤل حول ما يمكن اعتباره توافقا [Übereinstimmung].[27] بعبارة أخرى: اليقين بشأن أنفسنا والعالم ينبع من جهودنا لتأكيد الأمور والتصديق عليها. نستشهد بالأدلة. الوقائع هي بمثابة قطع أثرية. الحقيقة هي محض ادعاء. اليقين مختلق ومن ثمة فهو ذو جودة محددة بالوقت. ويترتب على ذلك أن «ما يعتبره الرجال والنساء معقولا ومنطقيّ يتغيّر» على قول فيتغنشتاين. في فترات معينة، اعتبروا أشياء معقولة فيما اعتبروها غير معقولة في فترات أخرى والعكس صحيح.[28] وأضاف: «عندما تتغير الألعاب اللغوية يكون هناك تغيير في المفاهيم ومع المفاهيم تتغير معاني الكلمات».[29]

على مر السنين، حاولت بطرق مختلفة اتباع هذه القاعدة، على سبيل المثال، من خلال الدّفاع عن إحياء لغة المجتمع المدني وإعادة بنائها وتطوير نظرية الديمقراطية الرقابية واستخدام مصطلح الاستبداد القديم لإضفاء معنى جديد على ديناميكيات القوة ومصادر المقاومة ونقاط الضعف في الأنظمة الديمقراطية الوهمية مثل روسيا والصين والمجر وتركيا وفيتنام.[30] إن جهودي الرّامية إلى الجمع بين التاريخ والديمقراطية والتأكيد على الجودة المنحطّة للديمقراطية - تحديها لأساليب العيش الثابتة ورفضها لجميع أشكال السلطة من أعلى إلى أسفل التي المتجسّدة في الأشياء 'العاديّة' أو 'الطبيعية' - مرتبطة بالمثل ببصيرة فيتغنشتاين القائلة بأنّ الأشياء لا تدوم للأبد

---

26 يمكن تتبع الفعل من خلال لفظي *certeyn* أو *certayne* الذي يعود إلى الأنجليزية الوسطى التي استعارتهما اللغة الأنجلو -الفرنسية ليصبحا *certein* و *certain* ليعود المصطلح إلى كلمة *certānus* اللاتينية التي تعود لكلمة التي تعني الشيء «غير القابل للجدل والمستقر ،الثابت» الذي كان في الأصل اسم التّصريف الثالث لفعل *cernere* الذي يعني 'يميّز ويقرّر ويحدّ ويفرز غربلة' مع جذور تعود إلى الكلمة اليونانية *krínein* التي تعني 'الفصل بين الأشياء والاختيار واتخاذ القرار.

27 ويتغنشتين, نفس المصدر199

28 نفس المصدر 336

29 نفس المصدر 65,256

30 John Keane, *The New Despotism,* Mass., London and Cambridge, 2020; and "Why History Matters for Democracy", *Democratic Theory,* Vol. 6, No. 2 (December 2019), p. 96-110.

وأن عدم اليقين هذا لهو توأم اليقين الذي لا يمكن استبعاده من الشؤون الإنسانية.[31] في خضم الكآبة والسّوداوية الحالية، تنضح حكمة فيتغنشتاين بمغزى جديد لأنه قد اتضح (كما قال بنجامين فرانكلين) أنه حتى الضرائب والموت غير مؤكدين. لا شيء مؤكد سوى الشك في ما هو غير منظور وغير متوقّع. قد يمثّل هذا الأمر نوعا من السّلوى والمواساة الواهنة. يمكن أن يكون عدم اليقين قاسياً بلا رحمة فإن هناك مصائب أكبر من قدرتنا على التوقع تحدث بانتظام. لكن عدم اليقين قادر على اللطف. وكما يحبّذ الصينيون القول، يمكن أن تكون العواقب السيئة نعمة مقنّعة. في كلتا الحالتين أو في أي مكان بين هذه الأضداد المتطرفة، يحافظ عدم اليقين على أوراق اللّعب خاصّته مخفيا إياها جيّدا. بل إن هناك أوقاتًا تنتج فيها اللحظات الصغيرة مفاجآت كبيرة ذات أهمية تاريخية كما ذكّرنا خوسيه ساراماغو في روايته الساخرة الرائعة التي تسرد حكاية دكتاتور لاقى حتفه بعد سقوطه من كرسيّه الواهي عندما كان مسترخيا في منزله الصيفي. أشارت قصة ساراماغو الرمزية إلى المصير الغريب للبرتغالي أنطونيو دي أوليفيرا سالازار الذي أزاله رئيس البرتغال من منصب رئيس الوزراء بعد إصابته بنزيف دماغي ناجم عن حادث سقوط عرضي لكنّه عاش بعد ذلك لمدة ثلاثة وعشرين شهرًا أخرى ليستعيد قواه العقلية بشكل غير متوقع ويستمر في افتراض أنه لا يزال على رأس بلاده بمساعدة طاقمه الذي يلازمه إلى أن وضع موته (في يوليو 1970) حدًا لأوهامه.[32]ولهذا وبدلا من التكبر البشري والتبجح، دعا فيتغنشتاين إلى مزيد من التواضع بشأن ما ندعي معرفته أو ما نعتقد أننا قادرون على معرفته. طلب منا أن نتخيل ألعابًا لغوية يكون فيها فهم «المعرفة» وحتى كلمة «معرفة» غائبًا تمامًا.[33] وحث المؤمنين بالأدلة والوقائع والحقيقة على إعادة التّفكير في معتقداتهم والاعتراف باحتماليتها. وقد كتب 'لنفترض أنه كان ممنوعًا علينا قول «أنا أعلم». تخيل أنه 'سُمح لنا فقط بقول "أعتقد أنني أعرف؟"[34]

**التشاؤم**

يمكن قراءى في اليقين اليوم على أنها هجوم في الوقت المناسب على جميع أشكال الغرور الفكري البشري. إنه تحذير ضد التعقّل الحرفي والادعاءات الواثقة أكثر ممّا ينبغي بناء «الأدلة»

31 جون كين، الاستبداد الجديد (لندن وكامبريدج، ماساتشوستس، 2020) و «أيّ أهميّة للتاريخ في الديمقراطية؟» و النّظرية الديمقراطية، المجلد 6، العدد 2 (ديسمبر 2019)، ص 110-96.

32 José Saramago, *The Lives of Things,* Verso, London and New York, 2013, p.96-110.

33 ويتغنشتين, نفس المصدر443,462

34 ويتغنشتين, نفس المصدر366

المزعومة و «الوقائع» و «الحقيقة الموضوعية». لكننا هنا نواجه نتيجة منطقيّة لم يوضحها فيتغنشتاين ألا وهي الاعتقادات السّوداويّة بأننا نعيش في عصر محكوم عليه بالفشل متجه إلى الجحيم التي تمثّل التوأم الملتصق لليقين العالم بكلّ شيء. التشاؤم هو تفاؤل مقلوب رأساً على عقب فالغواية الرّعناء هي جزء لا يتجزّأ من جاذبية نظريّة الكارثة القاتمة. يبدو أن افتراضاتها وأحكامها تتوافق مع «الوقائع». ولكن كما رأينا، لكي نعيد ما مرّ على ذكره فيتغنشتاين، فإن ما يمكن اعتباره «وقائع» أو «حقيقة» دائمًا ما يكون مثيرًا للجدل. لهذا السبب يجب أن يكون شكل ومحتوى وجينيالوجيا التصوّرات المتشائمة الدغمائية محلّ اهتمام المهتمّين بالدّراسات السياسيّة.

وهنا نواجه مفارقة. يمكننا القول أن نظريّة الكارثة هي نوع من اليقين الذي يهدف إلى سحق عدم اليقين وتدميره. إنّ هذه النّظرية تدرك بأنّ كلّ شيء مقرف متأكدّة من أنّها لم تستطع تغيير كلّ شيء فإن الأمور ستصبح مقرفة أكثر. أطلق عليها ألبرت هيرشمان اسم «الهوس بالفشل» أو القلق الهوسي من الفشل والانحدار وتمثّل رفضه لسيطرته على تفكيرنا في السياسة في أنه لا يترك مجالا للإبداع والتحسين وحل المشكلات وتكييف السياسة مع الظروف المتطورة. كان رفضه لنظريّة الكارثة رفضا براغماتيا رافعا مكانها شعار "النّظرية الاحتمالية" Possibilism. قال ذات مرة إن الهدف الأساسي لعمله هو «توسيع حدود ما هو ممكن أو ما يعتبر ممكنًا، حتى على حساب تقليل قدرتنا الحقيقية أو المتخيلة على تمييز المحتمل».[35] يرى هيرشمان بأنّه ينبغي علينا تحدي الحتمية بجميع أشكالها. يجب على العلوم الاجتماعية أن تنتبه إلى السيولة والانفتاح في مجالات القوة التي يهتمّون بدراستها. يجب على الباحثين تبني الأساليب التي ترسّخ إحساسهم بعدم اليقين. يجب أن يشكّكوا في ادعاءات الحقيقة المتغطرسة وأن يسائلوا في السّرديات الكبرى وأن يسبروا فرادة الوضعيّات المدروسة مع التركيز على ديناميكيات غير متوقعة. تتمثّل مهمّتهم في البحث عن الاتجاهات التعويضية وعلامات التحسن والعواقب غير المقصودة. يجب أن يطرحوا أسئلة مضادّة للواقع تهتمّ بما كان يمكن أن تكون عليه الأمور وما إذا كانت هناك أساليب جديدة لقلب لزوايا النّظر التاريخية. يجب ألا يخطئ علماء الاجتماع أبدًا في افتراض أن الآلام المتنامية للتغيير تعادل انهيارأنظمة اجتماعية بأكملها.

كان رفض هيرشمان للتشاؤم نسخة من العلوم الاجتماعية من قولة أوسكار وايلد المعروفة بأن المتشائم هو الشخص الذي يشتكي من الضوضاء عندما تقرع الفرص الباب. لقد كان محقًّا في قوله بما أنّ تصوّراتنا السياسية تتشوّه عندما يتم استدراجنا نحو صافرات الإنذار الدّاعية إلى القدرية التي

35 Albert O. Hirschman, *Desarrollo y América Latina. Obstinación por la Esperanza*, Fondo de Cultura Economica, México, 1973.

يستحيل معها القيام بأيّ شيء أو التغيير الكلّي. لكنّ هناك المزيد الذي يمكننا قوله عن المكونات الميتافيزيقية لنظريّة الكارثة التي كان يرفضها. تمامًا كما كانت النظريات الجيولوجية الحديثة المبكرة لكيفية تشكيل كوكبنا بشكل دوري من خلال أحداث مدمرة مفاجئة (اضطرابات سلسلة الجبال والفيضانات الواسعة وانقراض الأنواع) كانت مستوحاة أحيانًا من روايات العهد القديم عن الطوفان العظيم الذي أمر به الله، عادة ما تكون نظريّة الكارثة اليوم مشوبة بالميتافيزيقا. النقطة الأساسية التي تحتاج إلى مزيد من البحث هي أن التفكير الكارثي لا تتّسم بالبراءة أو 'الموضوعية': ليست نظرية الكارثة مرتبطة عادةً فقط بشكل من أشكال الإيمان الدغمائي باليقين، ولكنّها غالبًا ما تعتمد دغمائيتها على افتراضات ميتافيزيقية أعمق وأقدم ومنسيّة غالبا متخذة علم الأخرويات دليلا. فكر في الطريقة التي رسخت بها المفاهيم المسيحية للمعمودية بوصفها تطهيرا من حكاية كارثية: الطوفان العظيم (40 يومًا وفقًا للآية 7: 17 من سفر التكوين أو 150 يومًا وفقًا للآية 24:7 من سفر التكوين) الذي انتهى عندما ارتقى النبيّ نوح المحظوظ إلى حياة جديدة محقّقا الخلاص بعد أن دفنت المياه العالم القديم وأطلق سراح الغراب الذي «طار ذهابا وإيابا حتى جفت المياه». تأمل الآن نسخة معاصرة من حكاية الكارثة هذه التي تتجلى في كتابات وخطابات روبرت ريد المتحدث البارز باسم تمرد الانقراض. "بلا أدنى شكّ" كما يقول، "إننا نقود أنفسنا في الوقت الحالي نحو منحدر، ربما يكون هناك انخفاض قاتل تحته أكبر مما يقترحه أفضل ما لدينا من علوم حالية"' إن "حضارتنا النامية صناعيّا ... تتراجع ... بطريقة أو بأخرى، لقد انتهت هذه الحضارة."[36] إن الصياغات الرّهيبة لمصير الرأسمالية التي روج لها عالم الاجتماع السياسي الألماني فولفغانغ ستريك هي مثال حديث آخر لأسلوب التفكير الدغمائي ذي الانتماءات اللاهوتية. متيقّنا من أننا قد مررنا بالفعل من خلال بوابات المطهر ومتأكّدا من أننا نعيش الآن في أوقات تترنح على حافة الجحيم أو الجنة، يحثنا ستريك Streeck على الاعتراف بأن «الرأسمالية تواجه *Götterdämmerung* [الانهيار الكارثي الذي يتميز بالفوضى والعنف] .[37] إنها ليست اشتراكية أو بربرية - الصيغة الشهيرة لروزا لوكسمبورغ في كتيب السجن لعام 1915 بعنوان الأزمة في الاشتراكية الديمقراطية الألمانية - لكننا نواجه الآن التدمير الذاتي للرأسمالية دون أيّة معارضة التي 'ليس لدى مناصريها اليوم أدنى فكرة عن كيفية جعل النظام كاملا من جديد' .[38] لا توجد فرصة للديمقراطية في عصرنا. إن تراجع

36 Rupert Read, Alexander Samuel, *This Civilisation is Finished: Conversations on the end of Empire – and what lies beyond,* Simplicity Institute, Melbourne, 2019. p 45, 7-8

37 Wolfgang Streeck, "How Will Capitalism End?", *New Left Review* 87, (May-June), 2014, p. 35-64.

38 نفس المصدر السابق

معدلات النمو وارتفاع مديونية الأسر والدولة واتساع فجوات الدخل والثروة يدفع الآن الرأسمالية إلى حافة الهاوية. فيما ينتشر عدم اليقين والانحطاط. نحن نمر بفترة طويلة مؤلمة من التّدهور التراكمي الذي يبدو ربما يكون على نطاق مشابه للانهيار العالمي في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي أو أسوأ من ذلك حتّى. الرأسمالية في طريقها إلى الجحيم، كما يقول في كيف ستنتهي الرأسمالية؟ ولكن «في المستقبل المنظور ستبقى في طي النسيان أو ميتة أو على وشك الموت جرّاء جرعة زائدة من نفسها ولكن سيحدث المزيد حيث لن يكون لدى أي شخص القدرة على تحريك جسده المتحلل بعيدًا عن الطريق» .[39]

بين هذه السطور، يكمن نوع من المذهب الكالفيني المتسامي، إيمان دنيوي بالأقدار: نزعة المثقف المبارك بمعرفة متيقّنة بأنّ عالمنا فاسد ومحكوم عليه بالانهيار ومتأكّدة من أنّ هذه الساعة المظلمة هي الطريق المؤكد إلى الخلاص - تخليص العالم من الرأسمالية - حتى لو اضطررنا في الوقت الحالي إلى انتظار نهاية العالم. لا نعني هنا بأنّ ريد وستريك شخصيّتين دينيتين يرتديان ملابس علمانية. من المهم ملاحظة التناظرات بين أسلوبهم الأخروي في التفكير السياسي والتدين المروع وقناعاتهم الدغمائية بأن ما نحتاجه في هذه الأوقات المضطربة من عدم اليقين المتزايد هو التطهير الكبير - أو حلولا شاملة تنقذ البشرية بأعجوبة من جهلها وغبائها القاتل.

**الديمقراطية**

أراد ألبرت هيرشمان أن يشير إلى أن التجاهل المتشائم للتعقيد وعدم اليقين يتعارض مع روح وجوهر الديمقراطية، ولذا أود أن أختتم هذا المقال ببعض الأفكار حول العلاقة الصعبة إلى حدّ ما بين اليقين وعدم اليقين والديمقراطية.

تحاول جميع الأنظمة، بما في ذلك الاستبداد الجديد في عصرنا، التعامل مع حالة عدم اليقين من خلال إخفائها . فرضت الأنظمة الاستبدادية السّابقة اليقين من خلال إجراءات النظام العام الصارمة التي كان لها تأثير غير مقصود على إثارة القلق والخوف بين رعاياهم، وكما يذكرنا كتاب لوسيان الشهير عن الطاغية الصقلي فالاريس[40] بالليالي المؤرقة بلانهاية لحكامهم الذين تتملّكهم المخاوف من المؤامرات والاغتيالات والتمردات الشعبية. تعاملت الملكيات الأوروبية الحديثة

39 نفس المصدر

40 Lucian, "'*Phalaris' in Phalaris, Hippias or The Bath and other works*", *Loeb Classical Library* 14*,* Vol. 1, Harvard University Press, Cambridge, 1913.

المبكرة مع عدم اليقين بشكل مختلف تمامًا. لقد كانت شكلاً من أشكال الحكومة التي تسترشد بالقواعد التي منحها إيّها الرّب مستميتة في شرح مبرّرات حق سلالة الدم المتفوقة للقلة أن تحكم وكيفية توريث التيجان وتبرير إجبار الأشخاص المخلصين على التعامل بسلام مع شكوكهم اليومية.

عند تقييمها من حيث اليقين وعدم اليقين، فإن الديمقراطية هي شكل مختلف وفريد من أشكال الحكم السياسي. يعتبر نوعًا من الحكم الذاتي للأشخاص الذين يعاملون بعضهم البعض على قدم المساواة، وهو الشكل السياسي الوحيد الذي يعترف علنًا بعدم اليقين وكذلك يمكّن الناس من التعامل بشكل بناء مع آثاره الضارة المحتملة. نحن مدينون لعالم السياسة البولندي الأمريكي آدم برزيفورسكي صاحب النظرة الثاقبة القائلة بأن الديمقراطيات هي أنظمة «عضويّة مفتوحة محكومة أو عدم يقين منظم»).[41] لكن عدم اليقين لا ينجم عن تأثير الانتخابات فقط أو بشكل أساسي كما كان يعتقد. في ظل ظروف ما بعد عام 1945 للديمقراطية الرقابية، فإن عدم اليقين هو التأثير المشترك للانتخابات الدورية والتدقيق العام المستمر للسلطة من قبل المؤسسات الرقابية ومنصات وسائل التواصل الاجتماعي التي تولد معًا عدم القدرة على التنبؤ في المسائل المتعلّقة بتحديد الأشخاص والمقدار الذي سيحصلون عليه والمكان والكيفيّة. إن الديمقراطية آلية جيدّة لإثارة حالات عدم اليقين السّياسي. إنّها ذات طابع برّي sauvage، كما كان يحبّذ المفكر الفرنسي كلود ليفورت التّعبير عنها. إنّها تمزّق اليقين وتتجاوز الحدود وغير قابلة للترويض بسهولة. الديمقراطية تبطل السلطة. هناك مثل فرنسي يقول rien n'est sûr que la chose incertaine (لا شيء أكثر تأكيدا من الأشياء التي ينعدم بشأنها اليقين). يمكن أن يكون هذا شعارًا للديمقراطية الرقابية. تمكن القيمة التي تضعها الديمقراطية على الانفتاح العام والتعددية المؤسسية والتدقيق العام المستمر للسلطة التعسفية الأفراد والجماعات والمنظمات بأكملها من التساؤل حول نظام الأشياء المفترض أن يكون «طبيعيّا» وإلغائه. وتعزز الديمقراطية الرقابية عدم التحديد بمساعدة هيئات مثل وكالات مكافحة الفساد والصحافة الاستقصائية والمحاكم المستقلة والانتخابات الدورية. إنّ الديمقراطية تزيد من وعي الناس بأن الأمور الآن ليست بالضرورة ما سيكون عليه الحال في المستقبل. تتحدى روح الديمقراطية الرقابية الناس ليروا أن عوالمهم يمكن أن تتغير وفي بعض الأحيان تشعل شرارة الثورة.

41 قارن هذا ما ورد في كتابه «بعض الإشكالات في دراسة التّحوّل الديمقراطي»: ‹مسار تأسيس الدّيمقراطية هو مسار لمأسسة عدم اليقين وإخضاع كلّ المصالح له› (برزيفورسكي 14 :1979). تمّ التطرّق إلى موضوعة الديمقراطية وعدم اليقين في كتاب يان فيرنر «قواعد الدّيمقراطية» (مولر 2021).

ولكن هناك علاقة أعمق عاطفياً وأقل وضوحًا بين الديمقراطية وعدم اليقين. وبقدر ما تُظهر الديمقراطية بانتظام عدم عصمة أولئك الذين يمارسون السلطة من الخطإ فإنّها تُرشد شعور المواطنين اليومي إلى العالم قابل للتّطويع. عندما تعمل الديمقراطية الرقابية بشكل جيد فإنّها تلقي بظلال من الشك على الجمهور حول ما أسماه فيتغنشتاين «القناعة الكاملة، أي الغياب التام للشك».[42] يمكننا القول أنها تساعد على إحداث تقلبات مزاجية طويلة المدى وتحول في تصوّرات الناس للعالم. ضعفت الفكرة الميتافيزيقية عن «واقع» موضوعي بعيد المدى وكذلك الافتراض القائل بأن «الحقيقة الواقعية» العنيدة تتفوق على القوة. ينهار هنا التمييز الأسطوري بين ما يمكن للناس رؤيته بأعينهم وما يقال لهم عن ملابس الإمبراطور. خاصة في ظل الظروف المشبعة بالوسائط، عندما تتميز الديمقراطيات النابضة بالحياة بالديناميكية والتعددية وبكون متعدد من السّرديات المتنافسة التي تُروى حول كيفية عمل العالم، تتوقف «المعلومات» عن أن تكون فئة ثابتة ذات محتوى لا جدال فيه. ما تعتبر معلومات لا يفقهها المواطنون وممثلوهم كثيرًا على أنها «وقائع قاسية» ( سيرل 1997)[43] أو أجزاء من «الواقع» الذي لا يمكن تعويضه. لا يزال الحديث عن «الحقيقة» باقياً ولكن الشعور بأن لها معاني متغيرة وقابلة للجدل يسيطر عليها. تتكاثر مناطق التحقق التي تتميز بمعايير مختلفة لما يمكن اعتباره حقيقة. إن البحث عن الحقيقة في المحاكم ليس هو نفسه، على سبيل المثال، ما يقال عن الحقيقة في المساجد والكنائس والمعابد اليهودية أو ما يُعتبر «حقيقة» و «معرفة» في مجال فيزياء الكم (لاتور 2013).[44] والنتيجة هي أن ما يسمى بـ «الواقع» بما في ذلك «الواقع» الذي يروج له ويعززه الأقوياء يُفهم دائمًا على أنه «الواقع المُبلغ عنه»، على أنه «الواقع» الذي ينتجه البعض للآخرين، وبعبارة أخرى، مصداقيّة وساطيّة تدّعي بأنّها يتمّ تشكيلها وإعادة تشكيلها وإعادة تشكيلها مرة أخرى في عمليات إنتاج معقّدة ونقل ادعاءات مختلفة للحقيقة. يُسلب الواقع من واقعه وهذا هو السبب في أن الجهود السياسية التي يبذلها القادة لتمييز اليقينيات الخاصة بهم ولإغواء المواطنين والتلاعب بهم باستخدام الدخان والمرايا والكذب والكلام المنمّق تعتبر غير مرحب بها وخطيرة. تقدم الديمقراطية تذكيرًا بأن «الحقيقة» تستند إلى الاعتراف وأن «الحقيقة» لها وجوه عديدة. يُدفع المواطنين إلى التفكير بأنفسهم من أجل رؤية العالم عينه بطرق ومن زوايا مختلفة وزيادة إحساسهم العام بأن علاقات القوة السائدة

42 ويتغنشتين, *نفس المصدر* 491

43 John R. Searle, *The Social Construction of Reality*, Free Press, New York, 1997.

44 Bruno Latour, *An Inquiry into Modes of Existence: An Anthropology of the Moderns*, trans. Catherine Porter, Harvard University Press, Cambridge, 2013.

ليست «طبيعية» بل عرضية. إن الواقع متعدد وقابل للتغيير وهو مسألة إعادة وصف وتفسير والسلطة ينظّمها المواطنون الحكيمون وممثلوهم لمنع التفسيرات أحادية الجانب للعالم من فرضها غصبا على أعناق الآخرين.

**الاحتياطات**

من المعتاد أن نقول بأنّ الديمقراطيات المرنة تزوّد المواطنين بزوارق نجاة آمنة في البحار المليئة بالريبة: آليات الحماية مثل الدساتير المكتوبة وإجراءات سيادة القانون وانتخابات محددة المدة ومراقبة الانتخابات وحراس النزاهة وأطباء الجسور (اختراع كوري جنوبي) وهيئات أخرى للصحة والسلامة ولجان الأجيال القادمة والاستفسارات العامة. من خلال هذه المؤسسات وغيرها ،يقال بأنّ الديمقراطية توفر للمواطنين وممثليهم قدرًا من الطمأنينة بأن السلطة لن تمارس بشكل تعسفي أو بطرق مسيئة ومهينة للمواطنين مما يجعلهم يشعرون أنهم أكثر أمانًا وسلامة. ولكن يوجد هنا معنى أقل وضوحًا وأكثر إلحاحًا تنخرط فيه الديمقراطيات وتقلل به من حالة عدم اليقين. عند إعادة تصورها من حيث الاحتياط، فإن الديمقراطية الرقابية، وهي أكثر أشكال الحكم الذاتي حساسية للسلطة في تاريخ الديمقراطية، لهي أفضل سلاح تم اختراعه حتى الآن للحماية من أوهام اليقين من خلال تفكيك احتكارات القوة غير الخاضعة للمساءلة والخطيرة أينما وكيفما تعمل. تحمي الديمقراطية الناس من أولئك الذين ينكرون جهلهم. وسط «ضجيج» الحياة العامة، كما لاحظ دانيال كاهنمان والكتاب المشاركون، صناع القرار

"هم أولئك الذين يعتقدون أنهم قادرون على بلوغ مستوى عالٍ من الدقة التنبؤية وهم ليسوا مفرطين في الثقة بأنفسهم فحسب. إنهم لا ينكرون خطر الضجيج والتحيز في أحكامهم فحسب ولا هم يعتبرون أنفسهم ببساطة متفوقين على غيرهم من البشر. هم يؤمنون أيضًا بإمكانية التنبؤ بالأحداث التي لا يمكن التنبؤ بها في الواقع وينكرون ضمنيًا حقيقة عدم اليقين ."[45]

إن الديمقراطية، التي يسيطر عليها حسّ قوي بالواقع بوصفها سائلة وقابلة للتغيير، هي مدافع عادل عن الحذر وصديق حكيم للحيرة عندما تكون صحبة أولئك الذين يمارسون السلطة مع اليقين الواثق. لا شيء في السلوك البشري يعتبر مفاجئا: إنّ الديمقراطية ترى أنّ البشر قادرون على فعل الأفضل وعلى اقتراف الأسوأ. لهذا السبب، فهي تقف ضد كل أشكال الغطرسة معتبرة السّلطة

45 Daniel Kahneman, et. al., *Noise: A Flaw in Human Judgment,* Little Brown Spark, New York, Boston, London, 2021. p 145.

المركّزة في يد طرف واحد محفوفة بالمخاطر بشكل عشوائي مع الاعتقاد بأنه لا يجب أن يُعهد إلى البشر بسلطة غير مقيدة على أقرانهم أو المناطق الأحيائية التي يسكنون فيها. إنها تقلب رأسا على عقب الشكوى القديمة القائلة بأن الديمقراطية تشبه سفينة من الحمقى أو سركا مرحا يديره القرود. إن التهديد الأكبر للديمقراطية هم الحكام العميان الحمقى.

عندما تعمل الديمقراطيّة بشكل جيد فهي تقف في وجه الغباء والتفكك. إنها تعارض الغطرسة الصامتة رافضة التّورّط في التسلط والبلطجة والعنف. يتمثّل دورها كنظام إنذار مبكر في اكتشاف ومواجهة مصادر عدم اليقين المدمرة مثل شراء الغواصات المتهورة والمغامرات العسكرية والتدمير العشوائي للأنواع وإخفاقات السوق بما في ذلك الجهود المحفوفة بالمخاطر والخداع لتحقيق الأرباح من عدم اليقين باستخدام أدوات مالية مثل مشتقات الصّكوك والتعويضات وسندات الكوارث - مما يجعلها منسجمة مع الألغاز مع القدرة على اكتشاف الصعوبات. عندما تعمل الآليات الديمقراطية بشكل صحيح، فإنها تحذر المواطنين وممثليهم من الأخطار المحتملة لعواقب غير معروفة لعواقب العواقب. بهذه الطريقة ومن خلال الجدية في التعامل مع مصائب عصرنا وتتبع المصائب المحتملة القادمة، تكون الديمقراطية نذير اليقين. إنها تضفي الطمأنينة والراحة على الحياة المنكوبة للمواطنين.

**التشريعات المعتلّة**

عندما نتحدّث عن المصائب، يتمثّل الافتراض العام بأن الديمقراطية هي شكل من أشكال الحكومة التي تتعامل مع عدم اليقين مع الحاجة الماسّة إلى التعامل معه بحذر. السبب الرئيسي هو أنه يمكن العثور عليه مدفونًا في الأمثال المأثورة في كتاب «في اليقين"، حيث يشير فيتغنشتاين إلى أن «انعدام الأساس [*Grundlosigkeit*] لإيماننا" .[46] يشكل صعوبة كبيرة لعصرنا خاصة بالنسبة لأي شخص يتمسّك بشكل دغمائي بعادات جامدة أو بسيطة ومعتقدات منطقية في الحقيقة القائمة على الأدلّة والوقائع. بعد إعادة صياغته بعبارات أكثر دقة تتجاوز آفاقه السياسية المحدودة، يمكننا القول إن أحد التحديات الخاصة التي تواجهها الديمقراطية عندما تعمل بشكل جيد هي الطريقة التي تجبر بها المواطنين على مواجهة تحد مزدوج: أن يعيشوا حياتهم مع ما يمكن تحمله من اليقين مع الاعتراف في الوقت نفسه بأن معتقداتهم المختلفة وطرقهم المختلفة

46 ويتغنشتين, نفس المصدر166

للوجود في العالم ليس لها أسس مطلقة - وأنها "لا أساس لها من الصحة" وبالتالي فهي عرضة للتغيير ومهدّدة بشبح عدم اليقين.

بدا أن فيتغنشتاين يعتقد أنه بمجرد أن يسيطر الشعور بالشك والطوارئ على حياة الناس فإن عدم اليقين سوف يتفوق على اليقين بشكل لا رجعة فيه. ربما كان «في اليقين" على حق: فقد يكون من غير المرجح أن تقوم جميع خيول الملك وجميع رجال الملك بعكس اتجاه عدم الخطأ أي الوداع الطويل لليقين المطلق. تشير ديناميكيات اليوم إلى أننا يجب أن نكون أقل يقينًا.

يمكن للديمقراطية أن تعيش بدون حقائق دغمائية ويقينيات مطلقة أخرى، ولكنها تتطلب مواطنين حكماء وممثلين حكماء: أشخاص متمرسون ومتواضعون مدركون أنهم لا يعرفون كل شيء، وبالتالي يشككون في أولئك الذين يعتقدون أنهم يعرفون ذلك، خاصة عندما يحاولون استخدام الأعذار للتمويه أو لفرض إرادتهم المتغطرسة للسيطرة على الآخرين. لكن مؤرخي الديمقراطية يعلموننا أنه كانت هناك مرات عديدة في الماضي دمر فيها الشكل السياسي المعروف بالديمقراطية الحكمة بهذا المعنى. عندما تسير الأمور على ما يرام، توفر الديمقراطية مساحات وآليات للناس للتعبير ببعض اليقين عن مخاوفهم الخاصة. عندما تسوء الأمور، فإن الديمقراطية تفعل العكس: إنها تنتج مشاعر عدم اليقين التي تسيطر على الملايين من الناس مع آثار مرضية في بعض الأحيان.

تحت ضغط القوى الخارجية والديناميكيات الداخلية، يمكن للديمقراطيات أن تتعثر وتشل حركتها وتغرق في فائض من عدم اليقين إذ يمكنها تغذية المشاعر بأن هناك الكثير من الارتباك والقليل من الارتياح والكثير من الكلام والقليل جدًا من الفعل من قبل القادة والحكومات. يمكن أن تعاني جميع الأنظمة من هذا المصير بالطبع، ولكن كما أشار ماكس شيلر منذ فترة طويلة، فإن الديمقراطية معرضة بشكل خاص لانتهاكات تتعلّق بالتزامها المعلن بمبادئ المساواة.[47] سواء تم قياسها من خلال الظروف الاجتماعية الفعلية أو من خلال اعتبارها مسلمة أخلاقية، فإن مبدأ المساواة يحمل بذور الاستياء. تقع خيبة الأمل بسهولة فيما تتولّد عن انتهاكات مبدأ المساواة المزعومة مخاوف من التهميش ومشاعر الغضب والسخط والحسد والمرارة والرغبة في الانتقام من أولئك الأكثر حظًا وامتيازًا. تُظهِر حالة الهند المعاصرة أنه إذا ترسخ الشعور بالاستياء في الديمقراطية، فإن الديماغوجية تتسلّل إلى مسرح الأحداث.[48] عندما يبكي الأطفال الجائعون ليتمكّنوا من النوم ليلا، عندما تشعر ملايين النساء بعدم الأمان ويضطر العديد من العمال المهاجرين الذين يعيشون على أجور العبيد إلى

47 Max Scheler, *Ressentiment,* Schocken Books, New York, 1972. p 143-144.

48 Debasish Roy Chowdhury and John Keane, *To Kill A Democracy: India's Passage to Despotism*, Oxford University Press, Oxford, New York and Delhi, 2021.

الفرار لإنقاذ حياتهم في مراكز الطوارئ الطبية، فمن غير المرجح أن يعتقد الضحايا أنهم يستحقون الحقوق أو قادرون بصفهم مواطنين أن يقاتلوا من أجل مستحقاتهم الخاصة أو من أجل حقوق الآخرين. إن المعاناة الاجتماعية الواسعة النطاق تجعل المبدأ الديمقراطي خياليًا تمامًا أو يتحول إلى مهزلة بشعة. لا شك في أن قدرة المواطنين على الرد وإطلاق الملايين من التمردات ضد الأغنياء والأقوياء لا يمكن الاستهانة بها من حيث المبدأ في الديمقراطية. لكن الحقيقة الغاشمة هي أن الإهانة الاجتماعية تقوض قدرة المواطنين على الاهتمام النشط بالشؤون العامة والتحقق من أصحاب السّلطة وتحجيمهم وتأديبهم.

لكن الفضيحة لا تنتهي عند هذا الحد. لأنه عندما يقع ملايين المواطنين يوميًا ضحية الإهانات الاجتماعية، يُمنح الأقوياء ترخيصًا للحكم التعسفي. ويصبح الملايين من الناس الذين يتعرّضون للمذلّة أهدافا سهلة. ويصير البعض في القاع والكثير في الطبقات المتوسطة بينما تدير الطبقة العليا ظهورها للشؤون العامة. إنهم يتذمّرون في انسجام تام ضد السياسيين والسياسة. لكن الساخطين قد لا يفعلون شيئًا. الرضا عن النفس واللامبالاة الساخرة يولدان العبودية الطوعية. لكن هناك احتمال آخر: في خضم الشكوك المتفاقمة، يبدأ الساخطون في التوق إلى المخلصين السياسيين والحكومة الفولاذية. بينما يزدادالحالمون الواثقون من أرضهم ومروجو النفوذ المسلحين بحقيقتهم الكبرى جرأة. يتكاتف العاجزون والمتميزون لرغبة المسيح - يوغي أديتياناث، ماماتا بانيرجي، ك.شاندراشيخار راو (KCR)، ناريندرا مودي - الذين وعدوا بالدفاع عن الفقراء وحماية الأغنياء وطرد شياطين الفساد والفوضى وتطهير روح "الشّعب". يتفاخر هؤلاء القادة ذوو الأفواه الثرثارة الذين «يتحدثون عن أشياء معينة أكثر مما يتحدثون عن بقيّتنا»[49].بقدرتهم على وضع حد لعدم اليقين. يبدأ المواطنون المليئون بالاستياء بالانتباه. ثم ينطبق المثل القديم من القرن السابع عشر: «من يترك اليقين ويتمسك بالصدفة، عندما يرقص الغليون الحمقى".[50] هذه هي اللحظة التي يظهر فيها الطغاة ويقدمون هداياهم السامة إلى المرتبكين والحائرين الذين يعانون من عدم اليقين الذي لا يطاق.

49 ويتغنشتين, نفس المصدر338

50 John Ray, "A collection of English proverbs digested into a convenient method for the speedy finding any one upon occasion: with short annotations: whereunto are added local proverbs with their explications, old proverbial rhythmes, less known or exotick proverbial sentences, and Scottish proverbs", John Hayes, Cambridge, 1678.

في هذه الأوقات من الوباء العالمي والقلق المتزايد بشأن الكوارث المتتالية، هل من الممكن أن تكون لحظة الخضوع الشعبي للغوغائيين ذوي الأفواه الثرثارة والطغاة المسلّحين الأقوياء الذين يعدون بالخلاص لـ "الشعب" في طريقها إلينا مرّة أخرى؟

## المراجع


Delumeau, Jean (1990), *Sin and Fear: The Emergence of a Western Guilt Culture,* 13*th*-18*th Centuries*, London: Palgrave Macmillan.

Dewey, John (1929), *The Quest for Certainty: A Study of the Relation of Knowledge and Action*, New York: Minton, Balch & Company. Available online at https://archive.org/details/questforcertaint032529mbp/page/n7/mode/2up (last accessed 30 October 2021)

Dunn, John (2021), Review of Adam Przeworski, *Crises of Democracy*, *Society* 58, pp.153-155.

Ferguson, Niall (2021), *Doom: The Politics of Catastrophe*, London: Penguin.

Hage, Ghassan (2013), 'Eavesdropping on Bourdieu's Philosophers,' *Thesis Eleven*, 114: 1, 76-93.

Hirschman, Albert O. (1973 [1971]), *Desarrollo y América Latina. Obstinación por la Esperanza*, México: Fondo de Cultura Economica.

Jaspers, Karl (1919). *Psychologie der Weltanschauungen*, Berlin: Springer.

Kahneman, Daniel et. al. (2021), *Noise: A Flaw in Human Judgment,* New York, Boston, London: Little Brown Spark.

Keane, John (2018), *Power and Humility: The Future of Monitory Democracy*, Cambridge and New York: Cambridge University Press.

----------(2019), 'Why History Matters for Democracy', *Democratic Theory*, 6: 2 pp. 96-110.

----------(2020), *The New Despotism* (London and Cambridge, Mass. Harvard University Press:

----------(2021) ,'Breve historia del conocimiento expert, y su creciente importancia para la democracia', **Institución Libre de Enseñanza** (ILE), Madrid (10 March 2021), at: https://www.johnkeane.net/a-brief-history-of-expertise-and-its-growing-importance-for-democracy-fundacion-giner-madrid/ (last accessed 17 July 2022)

----------(2022), *The Shortest History of Democracy* (London, New York and Melbourne: Black Inc.

Latour, Bruno (2013 [2012]), An Inquiry into Modes of Existence: An Anthropology of the Moderns, trans. Catherine Porter, Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 2013.

Lucian (1913), 'Phalaris' in *Phalaris, Hippias or The Bath and other* works, Cambridge, Mass.: Harvard University Press, Loeb Classical Library 14, Lucian, Volume 1.

Müller, Jan-Werner (2021), *Democracy Rules*, New York and London: Allen Lane.

Nietzsche, Friedrich (2001), The Gay Science ed. Bernard Williams, trans. Josefine Nauckhoff, Cambridge: Cambridge University Press.

Przeworski, Adam (1979), 'Some Problems in the Study of the Transition to Democracy,' Working Paper 61, Washington, D.C.: Latin American Program of the Woodrow Wilson International Center for Scholars, Smithsonian Institution.

----------(1991), *Democracy and the Market, Political Economic Reforms in Eastern Europe and Latin America*, Cambridge, UK: Cambridge University Press.

Ray, John (1678), *A collection of English proverbs digested into a convenient method for the speedy finding any one upon occasion: with short annotations: whereunto are added local proverbs with their explications, old proverbial rhythmes, less known or exotick proverbial sentences, and Scottish proverbs*, Cambridge: John Hayes.

Read, Rupert and Samuel Alexander (2019), *This Civilisation is Finished: Conversations on the end of Empire – and what lies beyond*, Melbourne: Simplicity Institute.

Rosa, Hartmut (2021). *The Uncontrollability of the World*, Cambridge: Polity Press

Roy Chowdhury, Debasish and John Keane (2021), *To Kill A Democracy: India's Passage to Despotism*, Oxford, New York and Delhi: Oxford University Press.

Saramago, José (2013), *The Lives of Things* (London and New York: Verso.

Scheler, Max (1972), *Ressentiment,* New York: Schocken Books.

Searle, John R. (1997), *The Social Construction of Reality*, New York: Free Press.

Streeck, Wolfgang (2014), 'How Will Capitalism End?', *New Left Review* 87 (May-June), pp. 35-64.

----------(2016), *How Will Capitalism End?* (London and New York: Verso.

Weber, Max (1949), *The Methodology of the Social Sciences*, Glencoe, Ill.: Free Press.

Wittgenstein, Ludwig (1972), Über Gewissheit/*On Certainty,* ed. G.E.M. Anscombe and G.H.von Wright, trans. Denis Paul and G.E.M.Anscombe, New York: Harper and Row.

# رفض الانصياع إلى «الوضع الطبيعي الجديد» - الحاجة إلى التمسك بروح الإنسانية

فرانك فوريدي

تسمعون مرارًا وتكرارًا القادة السياسيين وخبرائهم والمعلقين الإعلاميين يتحدثون عن الوضع الطبيعي الجديد. على الرغم من أن معنى هذا المصطلح نادرًا ما يتم تعريفه، إلا أنه ينقل الدلالة على أن الطريقة التي عشنا وعملنا بها في الماضي من المحتمل أن تكون مختلفة تمامًا عما سيبدو عليه العالم في مستقبل ما بعد جائحة فيروس كوفيد.

هناك العديد من الإصدارات التي اتخذت الوضع الطبيعي الجديد كموضوع لها. كثيرًا ما يدعي خبراء الصحة العامة أننا سنتبنى العديد من الإجراءات المضادة لفيروس كوفيد إلى أجل غير مسمى في المستقبل. يجادل بعضهم بأن المجتمعات الغربية يجب أن تتبنى الممارسات الثقافية لنظرائها الآسيوية وأن ترتدي الأقنعة بشكل روتيني في الأماكن العامة مع مواصلة ممارسة تدابير التباعد الاجتماعي.

لقد أضفى العديد من المعلقين والخبراء لمسة إيجابية على الوضع الطبيعي الجديد. إذ يزعمون أن طبيعة العمل ستتغير مع استمرار ملايين الأشخاص في العمل من منازلهم. غالبًا ما ينسبون أشكالًا جديدة من العمل الرقمي بصفات إيجابية مثل الوقت الذي سيوفره الناس من خلال عدم الاضطرار إلى التنقل من البيت إلى مكان العمل. أمّا في التعليم، فغالبًا ما يتم الدعوة إلى التعلّم المختلط كبديل متفوّق لما يتم تقديمه على أنه تدريس قديم مباشر وجهاً لوجه.

غالبًا ما يتم يوضع الوضع الطبيعي الجديد في إطار اللغة المستخدمة في حماية البيئة. من هذا المنظور، يعمل الوباء كحجة ضد السفر بين الدّول. يؤكد نشطاء حماية البيئة أن الطريقة الطبيعية القديمة لإطعام أنفسنا وتنظيم الحياة الاقتصادية مسؤولة على الأقل بشكل غير مباشر عن تفشي جائحة كوفيد. تتمثّل رؤيتهم للوضع الطبيعي الجديد في رؤية يخضع فيها النشاط البشري والطموح إلى العقيدة الأيديولوجية التي تنشد مجتمعا خالٍ من الكربون

فيما يجادل المدافعون عن الوضع الطبيعي الجديد في مجال الاقتصاد بأنّ علينا إعادة هيكلة الرّأسمالية في حدّ ذاتها. وتؤكد إحدى مدوّنات البنك الدولي أن المؤسسات المتعددة الجنسيات

ستتحمل «مسؤولية أكبر» تجاه البيئة وستعتمد «زيادة التركيز على الاستدامة والمبادرة الخضراء».[1] من المنتظر أن يكون تحقيق إزالة الكربون هو الطموح النهائي للثقافة الطبيعية الجديدة. هذه نظرة مستقبلية تدعو إليها الأوليغارشية العالمية المرتبطة بالمنتدى الاقتصادي العالمي.[2]

تحاول فكرة إعادة الضّبط الكبرى المرتبطة بهذه المؤسسة تقديم نظرة إيجابية لنموذجها الطبيعي الجديد. ويزعمون أن تطبيق التكنولوجيا الجديدة تحت التوجيه الخيري للخبراء التكنوقراط سيخلق عالمًا أكثر عدلاً. بقدر ما يشعر هؤلاء الخبراء بالقلق من أن الوضع الطبيعي الجديد في السنوات المقبلة سيكون «مدفوعًا بالتكنولوجيا أكثر بكثير» مما هو عليه الحال اليوم.[3]

في مجال السياسة، سيؤدي الوضع الطبيعي الجديد إلى إخضاع صنع القرار الديمقراطي لحتمية الحكم التكنوقراطي.[4] ويتم التعبير عن هذا الشعور بشكل صارخ من خلال مطالبة عملاء الصحة العامة بأن يكون لهم رأي أكبر في إدارة المجتمع. شهد العامان الماضيان اتجاهًا غير مسبوق نحو إضفاء الطابع الطبي على السياسة. بالنسبة لبعض المدافعين، فإن الوضع الطبيعي الجديد يعني المزيد من الوضع نفسه.

على عكس المروجين التكنوقراطيين لإعادة الضّبط الكبرى الذين يتوقعون على الأقل في المستقبل عالمًا جديدًا مدفوعًا بالتكنولوجيا، يقدم خبراء الصحة العامة سيناريوا متشائمًا هزيلًا حيث تعتبر الظروف الحالية التي تم فرضها خلال الأشهر 18 الماضية كنموذج للمستقبل. غالبًا ما يبدو أنه من وجهة نظرهم أنّ الفيروس هو الذي سيحدد وجهتنا المستقبلية لا المجتمع البشري. يقلل هذا السيناريو الذي يرفع من قوة عزم الفيروس من مكانة المقدرة البشرية ويستخدم مصطلح الوضع الطبيعي الجديد لإقناعنا بأن الحياة التي عشناها في الماضي قد أفسحت الطريق بشكل لا رجعة فيه لعصر مختلف جوهريًا.

فسّرت جينيفر أشتون مؤلفة كتاب *الوضع الطبيعي الجديد* بعد جائحة كوفيد أنّنا «لن نعود كما كنّا مرة أخرى». وأضافت: «لقد غيّر الفيروس عالمنا وغيّر كذلك نمط عيشنا قالبا إحساسنا بالحياة الطبيعية.[5] إن الافتراض القائل بأننا «لن نكون كما كنّا مرة أخرى» مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالاقتناع

1 https://blogs.worldbank.org/psd/long-road-new-normal-economy
2 https://www.weforum.org/focus/the-great-reset
3 https://www.pewresearch.org/internet/2021/02/18/experts-say-the-new-normal-in-2025-will-be-far-more-tech-driven-presenting-more-big-challenges/
4 https://reliefweb.int/report/world/creating-new-normal-new-global-public-health-system
5 Jennifer Ashton, *The New Normal* [edition missing], HarperCollins, 2021. Available at: https://www.perlego.com/book/2100434/the-new-normal-pdf

بأن الحياة كما عرفناها في الماضي قد انتهت. إنه يتحدث عن مزاج الإغلاق التاريخي ويستحضر إحساسًا بالنهاية. لقد أصبحت الأنماط القديمة زائدة عن الحاجة في عالم الوضع الطبيعي الجديد.

يتّبع الإعلان عن أن المجتمع أصبح خاضعًا للوضع الطبيعي الجديد المسار القدري المعتاد الذي وضعه المعلّقون الذين يصرّون على أن التاريخ قد انتهى. الادعاء بأن التاريخ قد انتهى ينظر إلى التغيير على أنه قوة مستقلة يجب على الناس التكيف معها. في نسخته الحالية، ظهرت النهاية بسبب سلوك الفيروس وتأثيره. ليس الناس هم من يشقون طريقهم ضمن المجتمع بل أصبح الفيروس هو المسؤول عن المسار المرسوم للنوع البشري.

إنّ الوضع الطبيعي الجديد لهو إنجاز الجهد البشري. المجتمع ليس لديه رأي يذكر في قدومه. ليس لديه خيار سوى التكيف مع هذا الوضع. يمكن تفسير نهاية «الوضع الطبيعي القديم» على أنها جزء لا يتجزأ من روح العصر المرتبطة بنزعة استشراف النهاية. كتب المنظر السياسي أندرو غامبل في دراسته *السياسة والقدر* (2013) عن «ظهور نزعة استشراف النّهاية».[6] تربط غامبل ظهور نزعة استشراف النّهاية بالمزاج القدريّ السائد في المجتمع. وقد كتب:

"هناك الآن تشاؤم عميق حيال قدرة البشر على التحكم في أي شيء إلى حدّ كبير، على الأقل من خلال السياسة. تدعي هذه القدرية الجديدة بشأن الوضع البشري أننا نعيش في منعطف رئيسي في ما يتعلّق بالشؤون الإنسانية. ويعكس هذا الأمر خيبة الأمل السياسية في اليوتوبيا الليبرالية والاشتراكية في القرن العشرين حالة الاستياء واسعة النطاق من السّرديّات الكبرى للتنوير حول العقل والتقدم ومن الحداثة نفسها. أكثر ما يميّزها ويجسّدها في الواقع هي الخطابات التي لا نهاية لها حول نزعة استشراف النّهاية - نهاية التاريخ ونهاية الأيديولوجية ونهاية الدولة القومية ونهاية السلطة ونهاية المجال العام ونهاية السياسة نفسها - التي تمّ الإعلان عنها جميعًا في السنوات الأخيرة.[7]

إذا صدّق المرء جميع الادعاءات المقدمة في هذا الصدد، فسيكون من الصعب تجنب الاستنتاج بأن كلّ الأشياء المهمّة تقريبًا التي وقعت في أيام الوضع الطبيعي القديم قد انتهت. لقد مررنا بنهاية الأيديولوجية ونهاية الدولة القومية وهناك من يدّعي اليوم أنّنا نشهد نهاية العولمة.[8] فيما يكتب آخرون عن نهاية السيادة ونهاية السلطة ونهاية الغرب ونهاية السياسة. يعلن المعلّقون عن

6 A. Gamble, *Politics and Fate*, 1st edn, Wiley, 2013. Available at: https://www.perlego.com/book/1535657/politics-and-fate-pdf (Accessed: 25 September 2021).

7 *نفس المصدر*

8 See https://www.foreignaffairs.com/articles/united-states/2016-12-09/end-globalism .

"نهاية الكتاب"، والتي نأمل أن تتجسّد لديكم بمجرد أن تفرغوا من قراءة هذا النص.[9] ولم يسلم العلم أيضا من للتجنيده لخدمة نزعة استشراف النّهاية من قبل مؤلف *نهاية العلم: مواجهة حدود المعرفة في نهاية عصر العلوم*[10]. يفكّر العديد من المعلقين في نهاية العالم ويتساءلون "كيف ينتهي العالم".[11]

يتلخص هذا الخيال ذو النزعة التي تستشرف النهاية في نظرة محبطة نحو المستقبل في عنوان الكتاب ؛ *نهاية المستقبل: أفول نجم عالم التكنولوجيا الفائقة*.[12] ونقل جيمس بريدل شعورا مماثلا من قبل في كتابه، *العصر المظلم الجديد: التكنولوجيا ونهاية المستقبل*.[13] ووفقا لعالم الاجتماع زيغمونت بومان، فإن هذا النّزوع نحو استشراف النهاية في اتجاه المستقبل ينطوي على غياب القدرة على "دفع العالم قدما".[14] ويرى باومان أن غياب «الثقة الذاتية في الحاضر» هو الذي يشجع على الاعتقاد بأن «الوقت في صالحنا» وأننا نحن الذين «نجعل الأمور تحدث».[15] إن غياب الاقتناع بأننا لسنا من يصنع الأشياء هو الذي أدى إلى الإذعان السلبي للفكرة، وسواء أحببنا ذلك أم لا، فإن العيش في الوضع الطبيعي الجديد هو المصير.

في عالم أصبحت فيه الأزمة مصطلحًا مفرطًا في الاستخدام، من المغري استنتاج أن البشرية فقدت قدرتها على التأثير على مصيرها. إن التحذيرات من الانهيار المالي والتغير المناخي الكارثي والجراثيم المقاومة للمضادات الحيوية والإرهابيين الكارثيين، كلها تنقل فكرة أن حجم التهديدات التي تواجه البشرية يضع بقاءها في موضع الشّك. في مثل هذه الظروف، يكون روح العصر الثقافي متقبّلا للأفكار التي تؤكد عجز البشر عن التحكم في مصيرهم. والواقع أنه منذ عصر النهضة، لم يستفد الاعتقاد القائل بعجز البشر على تقرير مصيرهم ي بصدى قويّ مماثل كما هو الحال اليوم.

منذ آلاف السنين، كانت قدرة البشرية على التأثير على مصيرها موضوع نقاش فلسفي وعلمي. عندما صاغ الرومان عبارة «الثَّروة تُفَضِّل الشُّجعان»، أعربوا عن إيمانهم القوي بقدرة الناس على ممارسة إرادتهم وتشكيل مستقبلهم. ومع صعود التنوير والتأثير القوي للعلم والمعرفة، ازدهر

9 https://www.theatlantic.com/magazine/archive/1994/09/the-end-of-the-book/376361/
10 https://www.amazon.com/End-Science-Knowledge-Twilight-Scientific/dp/0465065929/
11 https://www.livescience.com/65633-climate-change-dooms-humans-by-2050.html
12 https://www.amazon.co.uk/s?k=The+End+of+the+Future%3A+The+Waning+of+the+High-Tech+World&i=stripbooks&crid=2L6MK1Q8Z54I2&sprefix=the+end+of+the+future+the+waning+of+the+high-tech+world%2Cstripbooks%2C61&ref=nb_sb_noss
13 https://www.amazon.com/New-Dark-Age-Technology-Future/dp/178663547X
14 Zygmunt. Bauman, *Liquid Modernity*, Polity Press, Cambridge, 2000, p.133.
15 Bauman, 2000, p.132.

الإيمان بالإمكانات البشريّة الإبداعية والتحويلية. عندما صرح الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت في عام 1939، «ليس الرّجال أسرى القدر بل هم فحسب سجناء عقولهم»، ردّد الاعتقاد بأن الناس يمتلكون القوة لشق طريقهم الخاص في العالم. إن قدرة روزفلت على التعبير عن مثل هذا البناء الإيجابي للحالة الإنسانية في الأيام السّوداء لعام 1939 هو شهادة على نوعية رائعة من رفض الإذعان للقدر.

**الوضع الطبيعي الجديد - مصير دون موضوع**

بالمقارنة مع الأيام السّوداء لعام 1939، يعتبر تمثيل الثقافة الغربية للإنسانية في القرن الحادي والعشرين غير مغريا على نحو مميّز وذلك بتكريس كل مجال من مجالات الثقافة تقريبًا للفت الانتباه إلى عجز الإنسان وضعفه. إنّ أحد أكثر التطورات إثارة للقلق هو الميل إلى تجريد الناس من القدرة على اتخاذ قرارات واعية بشأن حياتهم. في الواقع، فإن فكرة أن البشر يتصرفون على أساس التفكير وموازنة البدائل قد أفسحت المجال للعقيدة القائلة بأن الناس هم نتاج جيناتهم وتكوينهم البيولوجي. ويتم تمثيل كل سمة شخصية تقريبًا في هذه الأيام بصفتها نتيجة لكيفية عمل دماغهم.

من المغري إلقاء اللوم على الوضع الحالي للركود السياسي وتأثيره على سلوك السياسيين أو أحزابهم أو بعض القوى الخبيثة. ومع ذلك، فإن فقدان القوة والشعور بالنهاية ليسا نتيجة مباشرة لأي أخطاء محددة أو استراتيجية واعية. ولقد ظهروا جنبًا إلى جنب مع صعود اليأس وفقدان الإيمان بوعد الحداثة على نطاق واسع . ويعتبر التشكيك في قدرة الناس على امتلاك الحكمة لفهم وتشكيل أحوالهم من أحد الأبعاد المهمة لقدرية القرن الحادي والعشرين ذات الصلة بفهم خيبة الأمل من السياسة. وكان لمثل هذه السردية الثقافية المتشائمة للعلاقة بين الناس وصناعة التاريخ آثارا مهمّة على الطريقة التي يتم بها تجربة الحياة السياسية. وعلى نحو معاكس، يكتب المعلقون السياسيون عن نهاية الاحترام. ما يغفلونه هو أن تراجع الاحترام للسلطة التقليدية قد تم استبداله بإحساس أقوى بكثير وهو احترام القدر.[16]

غالبًا ما يلفت المحلل السياسي الانتباه إلى تدهور سياسات الطبقة وسياسات المجتمع. ومع ذلك، فإن هذا التناقص في أشكال التضامن السابقة يوازيه عملية أكثر أهمية وأساسية وهو فقدان الإيمان بقدرة الناس على تشكيل أو تغيير ظروفهم من خلال العمل السياسي. بدلاً من اعتبار

16 'Individuals increasingly expect greater personal autonomy and are as a result less subservient to authority' notes a major study commissioned by the British Government. See Performance and Innovation Unit; Social Capital; A Discussion Paper, April 2002, p.43.

أنفسهم مواضيع سياسية، غالبًا ما يخوض الأفراد تجارب بصفتهم مواضيع وضع السّياسات. أدت عملية **تراجع الذاتية** هذه إلى تكثيف الشعور بالعجز والسلبية لدى الجمهور. يتضح هذا الشكل من الوعي الذاتي حتى عندما يتفاعل المواطنون ضد عزلهم عن النظام السياسي. وكثيرا ما تتخذ ردود الفعل هذه شكل طلب للاعتذار أو التعويض أو الاعتراف أو التأكيد حتى عندما يتفاعل المواطنون ضد إبعادهم عن النظام السياسي. غالبًا ما تشبه هذه ردّة فعلهم أقرب استجابة العميل المستاء مكان اتّخاذ موقف المواطن الموجه في اتجاه المصلحة العامة.

إن الوعي بالعجز أو ما يصفه علماء الاجتماع **بفقدان القوة** تغذيه باستمرار القوى الثقافية التي تعزّز الشّعور بالقدريّة. وكما لوحظ في مناقشتنا بشأن تجميد التاريخ، يسود مزاج يثبط فكرة أن الناس يمكنهم تشكيل مصائرهم بأنفسهم بالتفاعل مع بعضهم البعض ومع مصائرهم. بدلاً من التصرّف بوصفهم فاعلين في التاريخ، أعيد صياغة البشرية بشكل فعال في دور كائن سلبيّ تحدث له الأشياء من قبل قوى خارجة عن السيطرة. ما افترضته العديد من الوثائق السياسة هو أن الناس ليسوا جديرين بالثقة ولا يمكن يتوقّع منهم أن يعيشوا حياتهم بمسؤولية. إن الميل إلى معاملة البالغين كأطفال يوجه عمل الطبقة السياسية بأكملها. ولم يعد الأفراد يعرّفون على أنّهم «رجال سياسيّين» أو «مواطنين» حتى. تؤكد المفردات السياسية اليوم على سلبية الشّعب وعجزهم. وبذلك نجد صفات مثل المستبعد والضعيف (الضحية المحتملة) والضحية والمتنمر والعميل والمستخدم النهائي والمستهلك أو صاحب المصلحة ولكن لا يوصف الناس بالحيوانات السّياسيّة.

تساعد العمليات الاجتماعية التي عملت على فصل الناس عن بعضهم البعض على ترهيب الناخبين. كان للتجزئة المتزايدة للتجربة الاجتماعية تأثير كبير على حياة الناس ما ساعد على التطبيع مع طريقة عيش أكثر خصخصة وفردية. يدعي بعض المعلقين أن هذه الكينونة الأكثر خصخصة قد شجّعت على تطوير وعي فردي دافع، من النوع الذي يربطونه الآن بـ «الثمانينيات الجشعة». لكنهم لا يمكن أن يكونوا مخطئين أكثر. بدون نقاط اتصال معروفة ونظام دعم موثوق به، فإن الفردية تشجع فقط على العجز. لم يؤد شعور المرء بالوحدة والاضطرار إلى الاعتماد على الحلول الفردية إلا إلى زيادة الوعي بالعزلة. لقد كان لذلك تأثير في تغيير الطريقة التي يرى بها الناس علاقتهم بالعالم، ممّا ساعد على بثّ شعور مبالغ فيه بالضعف ترسيخ النّظرة القدريّة. إن استطلاعات الرأي العديدة التي تزعم بأنّ الناس يتوقعون أن مستقبلهم سيكون أسوأ من اليوم هي من أعراض هذا التوجّه الفكري. فضلا عن الميل القوي للتأكيد باستمرار على الجانب السلبي لكل تطور جديد.

إن الإحساس المتزايد بانعدام الأمن الفردي السائد اليوم يميل إلى التذبذب بين السلبية وفورة متقطعة من القلق من النوع الذي يميز رد الفعل العام للقاح الحصبة والنكاف والحصبة الألمانية أو الاحتباس الحراري أو تهديد الإرهاب. ساعد تزامن السلبية الاجتماعية مع نوبات القلق على إضفاء تحيز خجول غريب على العمل السياسي. تميل أسباب اليوم إلى أن تكون حول سياسات البقاء - الاحتباس الحراري والوباء وإنقاذ طعامنا من التلوث.

ويعتبر نموّ انعدام الأمن الفردي نتاجا ثانويا لتغيير أساسيّ في العلاقة بين الفرد والمجتمع. ويتم التوسط في المواقف الفردية من خلال مجموعة من المؤسسات والعلاقات والطبقات والمجتمعات التي قدّمت تجربة هامة يفهم من خلالها الأفراد العالم. على مدى القرون الثلاثة الماضية، ساهمت تجربة الناس مع الحداثة من خلال هذه المؤسسات على توسيع آفاق الناس مساعدة في بثّ إحساس بالقوة البشرية. غالبًا ما يعبّر تطوير الطموح الفردي والرؤية الطبقية أو المجتمعية للتغيير الاجتماعي عن تطلعات متناقضة ظاهريًا. لكن على الرغم من اختلافاتها، فإن ما تشترك فيه مثل هذه الاستجابات هو تصور الاحتمالات المستقبلية والاعتقاد بأنّ العمل البشري يمكن أن يصنع الفارق.

أمّا اليوم فقد تمّ استبدال هذه النظرة التي تركّز على الإنسان للعالم بواحدة تم فيها تضييق نطاق الخيارات الممكنة بشدة. ويتم التعبير عن هذا بشكل لافت للنظر في مجال السياسة حيث يتم التشكيك بشكل متزايد في قدرة الدولة على توجيه للمجتمع. وتعتبر السياسة أقل أهمية للناس لسبب بسيط للغاية وهو أن ما يمكن أن يفعله الناس لا يبدو مهمًا. غالبًا ما يأخذ الشعور بالعجز شكل مهاجمة السياسة نفسها. إن مناهضة السياسة والإقالة المتشائمة للسياسي المنتخب والهوس بالفساد والفاسدين تعبّر عن وجهة نظر متشائمة للغاية حيال التجربة الإنسانية. يتخلى هذا التوجه عن إمكانات صنع التاريخ عبر فعل البشر على أساس أنّ محاولة القيام بشيء لا تصنع الفارق أو تجعل الأمور أسوأ. إذا كانت هذه مجرد حالة للقول إنه لا جدوى من التصويت لأي من أحزاب اليوم، فسيكون ذلك منصفا بما فيه الكفاية ولكن الاستخفاف الحالي بالسياسة يتجاوز ذلك بكثير. إنّ الاقتناع بأننا لا نستطيع الوثوق بالسياسة هو في النهاية طريقة ملتوية للقول بأنه لا يمكننا الوثوق بأي شخص بما في ذلك أنفسنا.

إن صب الازدراء على الطموح السياسي ليس مدفوعًا فقط بالتشكيك فيما يتعلق بفعالية المشاركة والالتزام كما أنها على علم بالاقتناع بأن السعي وراء الطموح من المرجح أن ينتهي بالبكاء. في القرن التاسع عشر، تعرّض الناس لانتقادات لعدم معرفتهم بمكانهم اليوم يتم انتقادهم لعدم معرفتهم بحدودهم الطبيعية.

**أنسنة الإنسانية**

من الغريب أن المجتمع الحادي والعشرين الذي يعتمد كثيرًا على براعة الإنسان والعلم يشجع أيضًا على احترام القدر. وفي وقت يشهد خيبة أمل واسعة النطاق رغم العدد القياسي من الإنجازات البشرية، من المهم استعادة الثقة في قدرة الناس على التفكير والتأثير في مسار الأحداث. هذا تحدّ يواجه الجميع الذين يؤيدون توجهاً محوره الإنسان نحو العالم - أيا كانت قناعاتهم السياسية أو الفلسفية أو الدينية. قد تبدو هذه المهمة متواضعة مقارنة بالرؤى العظيمة للماضي، لكن في حقبة ما قبل السياسة المعادية للإنسانية، يعد إدراكها شرطًا مسبقًا لاستعادة المناخ المتقبّل للسياسة.

إن إعادة بثّ الإحساس بالقوة والتفكير التاريخي هو الشرط المسبق لإعادة إدراك الجمهور في الحياة السياسية وهذا يتطلب أن نتمسك بإنجازات البشرية السابقة، بما في ذلك معايير التميز وأشكال السلوك والقيم المتحضرة. بعيدًا عن تمثيل التوق إلى الأيام الخوالي، فإن التغلب على غربتنا عن إرث الإنجاز البشري يساعدنا في التعامل مع القضايا التي يطرحها التغيير. ومن خلال الاستفادة من إنجازات الماضي يمكننا أن نتبنى التغيير بحماس.

إن تعزيز الإيمان الثابت بالإمكانات البشرية يدعم الفكر التقدمي. تدرك النظرة التي تركّز على مكانة الإنسان في العالم أن الناس يمكن أن يكونوا مدمرين وأن تضارب المصالح يمكن أن يؤدي إلى نتائج فظيعة. ومع ذلك، فإن التجارب السلبية والمروعة في بعض الأحيان خلال القرنين الماضيين، بما في ذلك المحرقة، لم تكن ثمن التقدم ولكنها ثمن الافتقار إليه. إن المشاكل المعاصرة ليست نتيجة لإعمال العقل وتطبيق العلم والمعرفة، بل هي نتيجة لإهمالها وإحباط الإمكانات البشرية.

يحتاج الكون الفكري الإنساني إلى أن يكون طموحًا ومفتوح ومستعدًا لتأييد صحّة أي فكرة ومستعدًا للاستسلام للتجربة الجديدة ولذلك يجب أن يشترك هذا المنظور في عملية **أنسنة على الإنسانية.** تتطلب أنسنة الإنسانية دمج الفشل والأخطاء في الطريقة التي ننظر بها إلى التقدم وممارسة العقلانية. إذا تم تكليف القدرة البشرية بدور مهم في صنع التاريخ، فإن عوامل مثل الثقافة والإدراك الذاتي والصراع والطوارئ والمعرفة المحدودة تلعب جميعها دورًا في الطريقة التي نتعامل بها مع العالم. يمكن لمثل هذه التأثيرات أن تربك وتشتت الانتباه وتشوشه ومع ذلك فهي توفر بعض التجارب الهامة التي نتعلم منها كيفية المضي قدمًا. يحدث التقدم إلى حد ما من خلال هذه التجارب في ممارسة الذاتية. تتطلب أنسنة الإنسانية أن نتوقف عن التعامل مع التنمية

البشرية على أنها نتيجة مفروغ منها فما نحتاجه هو الإنسانيّة التي ليست عقيدة بل منظورا موجها للتعلم مما يفعله البشر.

في الوقت الذي يكون فيه الميل إلى الانغماس في الجانب المظلم من البشرية، يجدر التأكيد على أن إرث التنوير قد وفر لنا معيارًا رفيعًا من المسؤولية المعنوية والأخلاقية. لقد شهد القرن العشرين فظائع مروعة وانتكاسات في الهمجية والإبادة الجماعية ومع ذلك وعلى الرغم من أن حجم التدهور الذي شهده المجتمع الحديث ربما كان أكبر مما كان عليه في الأوقات السابقة إلا أنه في عصرنا فقط كان من الممكن النظر إلى تلك الأحداث شعبيًا بازدراء أخلاقي. فلقد كانت أنشطة مثل التعذيب والعبودية وذبح الأعداء المهزومين قبل حلول العصر الحديث تعتبر مشروعة بشكل عام دون مجال للشّك فيما اعتُبر الاستبداد والتسلسل الهرمي والنخبوية أيضا سمات لنظام طبيعي مخول من السلطة الإلهية. فقط مع ظهور المجتمع الحديث بمفاهيمه عن الديمقراطية والمساواة، ظهرت إمكانية التقدم وتحسين الإنسانية ماديّا وأخلاقيّا على حد السواء.

ومن المفارقات أنّ مشاعر الاشمئزاز الأخلاقي من شرور المجتمع الحديث كثيرا ما تصاحبها نزعة إلى نبذ الإطار الأخلاقي والتدخل الهادف في الطبيعة والمجتمع الذي يجعل المجتمع الإنساني ممكنا أكثر. ما نحتاجه هو تقييم أكثر توازناً لحالة المجتمع يرفض المبالغة الجسيمة في المشاكل ويعترف بما حققناه ولكن الأهم من ذلك كله أننا بحاجة إلى أن نفهم أنه مهما كانت الأخطاء التي ارتكبناها كي يمكننا استخلاص دروس منها يمكن أن ترشدنا للمضي قدمًا. لا تتطلب إعادة تشكيل القدرة البشرية اختراع فلسفات كبرى بل تحتاج إلى أنسنة الإنسانية من خلال تمكين الشخصية

إذ نحن بحاجة إلى تتبع خطوتنا إلى ما قبل أن يكون هناك يسار ويمين من أجل استعادة الإرث التقدمي للماضي. نحن لا نفعل ذلك لأننا نريد الهروب من السياسة كما نعرفها ولكن لأن هذه أوقات ما قبل سياسية تتطلب استعادة الأفكار التي يمكن من خلالها تحدي القدرية. هذا يتطلب أن نتخلى عن الفئات التي ساعدت في إلقاء الضوء على الحياة السياسية في القرن الماضي ولكنها أصبحت الآن مفرغة من معناها. لاحظنا سابقًا أن اليمين قد تخلى عن الماضي وترك المستقبل ولذلك علينا إعادة المطالبة بكليهما. يكمن خط الانقسام المهم اليوم بين أولئك الذين يؤيدون احتضان الحاضر الممتثل للأعراف والعادات وأولئك الذين يريدون تعبئة الإنجازات الماضية للبشرية من أجل التأثير على المستقبل. يتزامن الميل إلى تجميد الحاضر مع تصور قاتل للتغيير. ما نقدمه هو تفسير للتاريخ يبعد الرجال والنساء عن الأحداث التي تؤثر على حياتهم إذ يُنظر إلى البشر على

أنهم دخيلون على عملية التغيير، وبالتالي فهم يمارسون تأثيرًا ضئيلًا على مصيرهم. لا يتمتع الأفراد بالاستقلالية ولا بتحديد مصيرهم ولذلك يتمّ تكليفهم بدور غير مميز مثل مواضيع التاريخ الأخرى.

لا يحتاج الأشخاص الذين يتخذون الخيارات إلى دعم من المؤسسات البيروقراطية وكلّ ما يتطلبونه هو حرية الانخراط في تجربة جديدة. ما يحتاجونه ليس فقط الحق الرسمي في الاختيار ولكن الدعم الثقافي للتجريب واتخاذ الخيارات الفردية. في القرن الثامن عشر، أدرك الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط أن ظهور الحالة التي يمكن للفرد فيها متابعة مثل هذه الأنشطة دون عوائق هو الذي شكل نقطة انطلاق التنوير. التجريب والسعي للحصول على المعرفة ليسا جيدين في حد ذاتيهما وهما اللذان يعيطان الحرية والديمقراطية مضمونًا حقيقيًا.

ادعى كانط أن «التنوير هو خروج الإنسان من طيشه الذي فرضه على نفسه». فقد عنى بالطيش «عدم القدرة على استخدام فهمه الخاصّ دون توجيه من الآخر». ووفقًا لكانط، فإن الطّيش هذا كان مفروضًا من الإنسان على نفسه و « لا يكمن سببه في الافتقار إلى الفهم ولكن في الافتقار إلى العزم والشجاعة لاستخدامه دون توجيه من شخص آخر». واجه كانط قارئه بما وصفه بشعار التنوير - Sapere Aude أو تجرّأ على المعرفة - متحدّيا إياهم باستخدام فهمهم الذّاتي. اليوم، عندما ينقل المبدأ الاحترازي باستمرار علم التعصّب يهدد بالتقدم على المجتمع وأن تلك التجارب المتزايدة «تلعب دور الرّب»، غالبًا ما يتم تمثيل الجرأة على المعرفة على أنها عمل من أعمال اللامسؤولية. كان كانط في حيرة من أمره بسبب علاقة المجتمع المعاصر المضطربة بالعلم والمعرفة

إذ لا تعود علاقتنا الغامضة بالمعرفة والعقل بالطبع إلى فشل الشخصية الفردية ولكن نتيجة لعملية أكثر عمقًا من الارتباك الثقافي. لسوء الحظ، فإن تشخيص كانط لعدم النضج الذي فرضه الإنسان على نفسه أكثر صلة بالعهد المعاصر منه بالظروف التي واجهها. في الوقت الذي يُنظر فيه إلى ادعاءات المعرفة والعلم بانعدام الثقة والسخرية، يتعارض شعار *Sapere Aude* مع ذرة الحساسية الثقافية المعاصرة ومع ذلك، يشعر الكثير منا أن الجرأة على المعرفة هي ما يجعلنا بشرًا لحسن الحظ.

غالبًا ما يؤدي العمل البشري إلى نتائج غير متوقعة يكون بعضها غير مريح للتعايش. على سبيل المثال، توفر لنا ثورة علم الجينات رؤى جديدة مهمة في دستورنا ولكنها قد تعطينا أيضًا معلومات عن أنفسنا نفضل عدم معرفتها. ومع ذلك، فإن السعي إلى تحقيق المثل الأعلى للاستقلال الذاتي يوفر للناس الوعد بالخيارات ويؤدي في كثير من الأحيان إلى إحراز التقدم. ولأن بعض الأفراد على وجه التحديد أخذوا هذا المثل الأعلى على محمل الجد، فقد نجحوا في تحدي المؤسسات القمعية

واستخدام السلطات التعسفية التي سعت إلى إحباط طموحهم. علمنا أيضا أن التطلع إلى الحكم الذاتي كثيرا ما يسير جنبا إلى جنب مع إظهار الإيثار والتضامن الاجتماعي. ولهذا يحتاج المجتمع المستنير إلى تسخير المثل الأعلى للاستقلالية الفردية لتهيئة الظروف المثلى للتنمية البشرية. عادة ما ينتهي الأمر بالمجتمعات التي تفشل في تثبيت هذا المثل إلى أن تهيمن عليها ثقافة القدرية وتخاطر بالانهيار في حالة من الركود.

يصر المثل الأعلى للاستقلال الذاتي الفردي على أن المجتمع والدولة يجب أن يعترفا باستقلال كل فرد كما يجادل برونر قائلا «الاستقلال الذاتي يعني في الأصل الحق لكل فرد في أن يكون له إيمانه».[17] يضع مثل هذا المنظور حق الدولة في تعزيز عقيدة معينة موضع تساؤل سواء كان ذلك في شكل دين تقليدي أو حملات صليبية لنمط الحياة مرتبطة بالسياسة الحالية لتعديل السلوك. يمثل الاعتراف بالمثل الأعلى للاستقلال الذاتي الفردي - وهو عنصر مهم من إرث التنوير - الأساس للخيارات واتخاذ القرارات الأخلاقية والسياسية وللمشاركة الاجتماعية.

يعني الشك الشعبي تجاه ممارسة الوكالة البشرية أن المثل الأعلى للاستقلالية الفردية غالبًا ما يتم رفضه باعتباره وهمًا يعززه المدافعون عن السوق الحرة. يقال إنّ الأفراد يفتقرون إلى القدرة على العمل المستقل في مجتمع تهيمن عليه وسائل الإعلام والشركات الكبرى والقوى التي أطلقتها العولمة. علاوة على ذلك، لا يختار الناس إيمانهم بقدر ما يفرض عليهم بصفتهم رعايا متناقصين أو ضعفاء. لهذا السبب يتم استبعاد نموذج التنوير للمواطن المستقل والمسؤول ويحلّ محلّه فرد أكثر سلبيّا وارتباكًا يتطلب «دعم» المؤسسات العامة. ما تبقى لنا هو تراجع عن حالة الذات غير الناضجة في حقبة ما قبل التنوير

ولكنّ مزاج التشاؤم الثقافي لا يترك المجتمع كما هو وله تأثير عميق على كيفية رؤية الناس لأنفسهم. من الصعب أن تجرؤ على معرفة متى تنقل ثقافتنا باستمرار إشارة إلى أن المخاطرة غير مسؤولة وأن الحذر والسلامة هما الفضيلتان الرئيسيتان في عصرنا وتعتبر هذه الإشارات بمثابة دعوة للناس من أجل تقييد تطلعاتهم والحد من أفعالهم. إذا قيل للناس مرارًا وتكرارًا أنه لا يُتوقع منهم الكثير وأنهم بالفعل أفراد ضعفاء بحاجة إلى الدعم فسوف يبدؤون في كثير من الأحيان في لعب الدور المخصص لهم. واليوم، يتعارض الوعد بالاستقلال الذاتي الفردي مع واقع ثقافة غير مريحة لممارسته. ونتيجة لذلك، لا يتم تجربة الكينونة الفردية من خلال منظور الاستقلال الذاتي ولكن من خلال العزلة.

17 Stephan Eric Bronner, *Reclaiming The Enlightenment: Towards a Politics of Radical Engagement,* Columbia University Press, 2004, p.136.

إن عدم التحقق من صحة المثل الأعلى للحكم الذاتي يسير جنبا إلى جنب مع عدم احترام الديمقراطية وغالبًا ما تكون السياسة العامة مستوحاة من الاعتقاد القائل بأنه لا يمكن الاعتماد على الناخبين لمعرفة ما يخدم مصلحتهم الفضلى. وتوفر سياسة الخوف أداة واحدة «لزيادة وعي» الناس بما هو جيد لهم.

### أنسنة الشخصية

إنّ نسخة الشخصية الأكثر اتساقًا مع مُثُل الاستقلالية وممارسة الاختيار وصنع التاريخ هي تلك التي يقدمها إرث التنوير. إن المخاطرة والتجريب وممارسة الحكم النقدي والعقل هي بعض السمات المهمة للتفكير التاريخي والقدرة الإنسانية. ويعتبر ممارسة هذه الخصائص هو الشرط المسبق لإعادة تشكيل الحياة العامة. من خلال هذه الأنشطة البشرية، يطور الناس فهمًا لكيفية أن القيام بالنشاط العام الهادف إلى نتائج إيجابية في المستقبل. يفتقر الشّخصيّ إلى الخيال دون إحساس بالقوة الذي يربطه بالمشاركة السياسية. يتطلب أنسنة الشخصية تحدي النموذج السائد للضعف وكسب القبول للمفهوم الإنساني للشخصية.

| النموذج الإنساني | نموذج الهشاشة |
|---|---|
| يعلي من قيمة الاستقلالية | يعلي قيمة طلب المساعدة |
| يتوجّه نحو إعمال العقل | يشكّك في نجاعة المعرفة |
| يبحث عن القيم الدّولية | تأكيد الهوية |
| له موقف إيجابي من المخاطرة | شديد النفور من الخطر |
| يعلي من قيمة التجريب | يحتفي بالحذر والسلامة |
| يؤمن القدرة على التّغيير التأثير في الوضع | يُنظر إلى التغيير على أنه مقدمة للنتائج السلبية |
| يتوجّه نحو المستقبل ويصون إنجازات الماضي | مجمّد في الحاضر ومنفصلة عن الماضي |
| يتوقّع من المجتمع المحلي أن يكون لديه مهارات في التأقلم. | يتوقع أنه من غير المرجح أن الأفراد/المجتمعات المحلية لن تتأقلم |
| يؤمن بأن الإنسانية تملك القدرة على مجابهة الشّدائد | يعتقد أن الناس يتم تعريفهم من خلال حالة ضعفهم |

لا توجد فيه أبدا نماذج الشخصية الإنسانية والضعيفة في شكل نقي. منذ صعود العصر الحديث، استوعبت كل ثقافة عناصر من كليهما. لكن مع ذلك، يميّز الثقافات عندما تنقل قصصًا حول أشكال السلوك التي تقدرها وأيها لا تقدرها. فعلى سبيل المثال، تمتعت مُثُل المساعدة الذاتية والاكتفاء الذاتي خلال معظم القرنين التاسع عشر والعشرين بتأكيد ثقافي. اليوم، البحث عن المساعدة هو الذي يستفيد من المصادقة الثقافية. على عكس الاحتفاء بالمخاطرة في العصور السابقة، حول المجتمع اليوم السلامة إلى دين حقيقي. تم استبعاد المثل الأعلى للتجريب من خلال تبني الحذر الممتثل للعادات والتقاليد والذي أضفي عليه الطابع المؤسسي من خلال المبدأ الاحترازي. القيم المرتبطة بالنموذج الإنساني للشخصية ليست غائبة تمامًا في هذا النموذج ولكنها أصبحت تابعة لتلك التي تعزز حساسية الضعف.

إن الأفكار المتضاربة حول نموذج الشخصية تعادل اليوم الاشتباكات السابقة بين الأيديولوجيات والبدائل السياسية.[18] وهي تتناول أسئلة أساسية مثل ما يعنيه أن تكون إنسانًا، ومعنى الطبيعة البشرية والعلاقة بين الفرد والمؤسسات العامة. تشكل الأفكار حول نموذج الشخصية نقطة انطلاق لصياغة السياسة ووضع معايير - غير رسمية وشكلية - تنظم علاقة الناس وسلوكهم الفردي. لمعنى الشخصية آثار مهمة على كيفية نظرتنا إلى علاقة الناس بالتاريخ وإمكانية تغيير الظروف وتحورها. إن موقفنا تجاه الشخصية يوضح كيف نفهم ممارسة الاختيار والمسؤولية الفردية وقدرتنا على المعرفة والعقل واكتساب الأفكار حول الحقيقة. في نهاية المطاف، تؤدي الأفكار المختلفة حول الشخصية إلى أفكار متضاربة حول الحياة العامة. يعتمد ما إذا كان يُنظر إلى الناس على أنهم المشكلة أو كمقدمين لحلول للمشاكل على النموذج الذي يشترك فيه المرء.

**تقدّم مسار الخوف**

تزدهر سياسات الخوف على أرض الكراهية والسخرية تجاه سعي الناس لتغيير وتحسين ظروفهم. من هذا المنظور، فإن الاستجابة الغريزية لمثل هذه الجهود - سواء كانت اختراعًا أو منتجًا جديدًا أو إصلاحًا مؤسسيًا - هي شعور واسع بالشك يفسح المجال بسهولة للقلق والخوف وهذه المواقف تقف على أهبة الاستعداد لشطب الادعاءات بالتقدم البشري في الحاضر وفي الماضي. في الواقع، هناك اقتناع واسع النطاق بأن تطوير الحضارة الإنسانية، لا سيما تقدم العلم والتكنولوجيا، وما ينتج عن ذلك من إخضاع النظام الطبيعي لمطالب المجتمع البشري، هو مصدر

18 . هذه الصراعات ترتكز على بعض الخلافات والمشاكل التي تسمى أو تعرف بالحرب الثقافية

العديد من مشاكل اليوم المتعلقة بالتدمير البيئي والتفكك الاجتماعي. وتميل التطورات الأخرى في مجال العلم والتكنولوجيا إلى الترحيب بالخوف بدلا من الاحتفاء بها. لذا فإن التقدم الأخير في علم الوراثة أو تكنولوجيا النانو، على سبيل المثال، يُنظر إليه على أنه يخلق مشاكل أكثر من الفوائد للمجتمع.

يعني الشك تجاه إمكانية إحراز تقدم أن التقدم الكبير في حالة الإنسان يتم إعادة تفسيره بانتظام على أنه أخبار سيئة. إن حقيقة أن المجتمع الغربي أصبح قلقًا بشأن شيخوخة سكانه تعكس التقدم الهائل الذي تم إحرازه في السنوات الأخيرة في كفاح البشرية ضد المرض. ومنذ عام 1950 حدثت زيادة بنسبة 17 في المائة في متوسط العمر المتوقع في جميع أنحاء العالم: وكانت هذه الزيادة مذهلة للغاية في الدول الأفقر في آسيا حيث بلغت 20 في المائة ومع ذلك، قيل لنا مرارًا وتكرارًا أن الكفاح من أجل احتواء المرض كان فاشلاً وأننا نواجه الآن أنواعًا جديدة من الأوبئة والحشرات المقاومة للمبيدات. نشعر بشكل متزايد كما لو أن الخطر على صحتنا أكبر من ذي قبل.

على الرغم من الشعور السائد بخيبة الأمل تجاه الموضوع البشري، يمتلك الأفراد إمكانات غير مسبوقة للتأثير على الطريقة التي يعيشون بها حياتهم. الآن فقط اكتسب الوعد بالاختيار والسيطرة معنى لقطاع كبير من الجمهور. لا يزال الاستقلال الذاتي وتقرير المصير أكثر قليلاً من مجرد مُثُل يمكن أن تلهم. لكننا ابتعدنا عن العصر الحجري للأيديولوجيات إلى وقت اكتسبت فيه الإمكانات التحويلية للناس قوة ملحوظة. كما علمنا أن التاريخ لا يصدر أي ضمانات إذا أنّ التغيير الهادف هو بالفعل مشروع محفوف بالمخاطر ولكن سواء أحببنا ذلك أم لا، فإن المخاطرة من أجل تغيير حياتنا وتحويل أنفسنا هي واحدة من أكثر صفاتنا الإنسانية تميزًا. يعتبر صنع التاريخ أيضًا أحد تلك التجارب التحويلية التي تساعدنا على إدراك وتعريف إنسانيتنا.

لدينا خياران في هذه الظروف. يمكننا التخلي عن الصفات الإنسانية المتميزة التي ساعدت في تحويل العالم وأنسنته والاستسلام لثقافة القدرية السائدة اليوم. أو يمكننا أن نفعل العكس وبدلاً من الاحتفال بالسلبية والضعف يمكننا الشروع في أنسنة وجودنا. بدلاً من العمل كجمهور لأداء آخر لسياسات الخوف، يمكننا محاولة تغيير الظروف التي تؤدي إلى ذلك.

## المراجع

Ashton, Jennifer, The New Normal, [edition missing], HarperCollins, 2021. Available at: https://www.perlego.com/book/2100434/the-new-normal-pdf

Bauman, Zygmunt, *Liquid Modernity,* Polity Press, Cambridge, 2000, p.133.

Bronner, Stephen Eric, *Reclaiming The Enlightenment: Towards a Politics of Radical Engagement,* Columbia University Press, 2004.

Gamble, Andrew, *Politics and Fate,* 1st edn., Wiley, 2013. Available at: https://www.perlego.com/book/1535657/politics-and-fate-pdf (last accessed on 25 September 2021).

https://blogs.worldbank.org/psd/long-road-new-normal-economy

https://www.weforum.org/focus/the-great-reset

https://www.pewresearch.org/internet/2021/02/18/experts-say-the-new-normal-in-2025-will-be-far-more-tech-driven-presenting-more-big-challenges/

https://reliefweb.int/report/world/creating-new-normal-new-global-public-health-system

https://www.foreignaffairs.com/articles/united-states/2016-12-09/end-globalism

https://www.theatlantic.com/magazine/archive/1994/09/the-end-of-the-book/376361/

https://www.amazon.com/End-Science-Knowledge-Twilight-Scientific/dp/0465065929/

https://www.livescience.com/65633-climate-change-dooms-humans-by-2050.html

https://www.amazon.co.uk/s?k=The+End+of+the+Future%3A+The+Waning+of+the+High-Tech+World&i=stripbooks&crid=2L6MK1Q8Z54I2&sprefix=the+end+of+the+future+the+waning+of+the+high-tech+world%2Cstripbooks%2C61&ref=nb_sb_noss

https://www.amazon.com/New-Dark-Age-Technology-Future/dp/178663547X

# كوفيد-19 وردّ الفعل الإيكوفوبي[1]

سايمون س. إيستوك

من بين الدروس التي تعلمناها في رحلتنا عبر جائحة كوفيد-19 أنّ عمق العلاقة بين الإيكوفوبيا والمرض أصبح أقوى كلّما مرّ الوقت مع الوباء. لكي نستوعب هذا الأمر، علينا أوّلا فهم طبيعة «الإيكوفوبيا.» في كتاب *فرضيّة الإيكوفوبيا*، كتبت عن الإيكوفوبيا بوصفها شرطا طيفيا يمكن أن يتمظهر في عدة أشكال مختلفة - متراوحا بين الخوف وقلة اليقظة والازدراء الصريح واللامبالاة المتعجرفة. على الطرف الآخر من الطيف توجد فكرة البيوفيليا التي يعرّفها إريك فروم بأنها «حبّ عاطفي لكلّ ما هو حي» (365).[2] إنّه مصطلح اقترحه إدوارد أوسبورن ويلسون وفسّره أكثر في كتابه المؤثّر *فرضية البيوفيليا* والتي كان كتابي ردّا مباشرا عليه. تكمن مشكلة فكرة أننّا بيوفيليون أو محبّون للطّبيعة والفكرة القائلة بـ»حبّ الطبيعة» في أنها لا تقدّم تفسيرا للأفعال السيئة التي نقترفها بحقّ البيئة والأمور السّلبية التي أفرزتها أزمة المناخ المستمرّة والجائحة الحالية. من الواضح أنه من الضروري هنا معالجة هذه المسألة الثانية - الجائحة بوصفها قضيّة بيئية - قبل المضي قدمًا.

بيّن التركيز المبكر على مصادر المرض بصورة واضحة أنّ علاقاتنا الاستغلالية المزمنة بالحيوانات تحتاج إلى اهتمام فوري. هذا المرض هو حيوانيّ المنشأ في نهاية المطاف. "المرض حيواني المنشأ" هو مصطلح يصف الطفرة المرضيّة للأمراض المنتقلة بين جسمين من فصيلتين مختلفتين. لقد كان التاريخ واضحا فيما يتعلق بمسألة الأمراض حيوانية المنشأ. يشرح جاريد دايموند بإيجاز أنّ «الأسئلة المتعلقة بالأصول الحيوانية للأمراض البشرية تكمُن وراء النمط الأوسع لتاريخ البشرية وخلف بعض أهم القضايا المتعلّقة بصحّة الإنسان في أيّامنا هذه».[3] (بالنسبة إلى دايموند، تعدّ الأمراض من بين المحركات الرئيسية للمجتمع البشري فضلا عن الحرب والتصنيع التي يرتبط بهما

---

1 تظهـر بعـض أجـزاء الاقسـام التاليـة فـي هـذه المقالـة : "The Global Poltergeist," "Merchandizing Veganism," "Painful Material Realities," "Ecophobia and Covid-19."و

2 Erich Fromm, *The Anatomy of Human Destructiveness*, Toronto, Holt, Rinehart and Winston, 1973, p.365.

3 Jared Diamond, *Guns, Germs, and Steel: the Fate of Human Societies*, New York, Norton, 1997, p.197.

المرض أيضا ارتباطًا وثيقًا. يذكرنا دايموند بأنّ «أهمّ الأمراض التي فتكت بالبشرية عبر تاريخنا الحديث - الجدري والإنفلونزا والسلّ والملاريا والطاعون والحصبة والكوليرا - هي أمراض معدية تطوّرت أساسا من أمراض أخرى أصابت الحيوانات». لكن هناك العديد من الأمراض الأخرى التي لم يذكرها دايموند (انتشر بعضها بعد ظهور كتابه):[4] إنفلونزا الطيور (2013) والسارس (2002) وإنفلونزا الخنازير (2009) وجنون البقر (1996) والإيبولا (1976) وما إلى ذلك. تقوم علاقتنا الاستغلالية المزمنة مع الحيوانات على الإيكوفوبيا مثلما يقوم الاستغلال الأبوي للمرأة على كراهية النساء أو النازية على معاداة السامية. سأعود مرة أخرى إلى الأمراض حيوانية المنشأ لاحقًا في هذا الفصل ولكني أودّ أن أسهب بعض اللّحظات في الحديث على الإيكوفوبيا وعلى *مبرّرات* الحاجة إلى مثل هذا المصطلح. عندما يكون الرجال متحيّزين ضدّ النساء ويخافون من وكالتهم فإنّ هذا يسمى التمييز على أساس الجنس. عندما يكون الناس متحيّزين ضدّ الأعراق الأخرى ويخافون من وكالتهم فإن ذلك يسمّى العنصرية. عندما يتحيّز الأشخاص المغايرون ضد المثليين ويخافون من وكالتهم فإن هذا التصرّف يدعى رهاب المثلية. أمّا عندما يتحيّز الناس على أساس الأنواع ويخافون من وكالة الحيوانات الأخرى فإنّ هذا يسمى بالعنصريّة النّوعيّة. إلى وقت قريب، كان التمييز ضد البيئة يفتقر إلى مصطلح خاص به وعلى هذا الأساس تمّ اقتراح مصطلح إيكوفوبيا. من أجل تبسيط الأمر، قد نجادل أنه عندما يكون الناس متحيّزين ضد الطبيعة ويخافون من فاعليتها فإنّ هذا السّلوك يطلق عليه مصطلح الإيكوفوبيا. يتجلّى ذلك في عبارات مثل الطبيعة الأمّ وفي الأفكار القائلة بأنّ الطبيعة عدوّتنا.

يمثّل جانب الإيكوفوبيا الذي يثير قلقنا بشكل مباشر في ما يخصّ الأوبئة والجوائح في ما أسميته العلاقة الاستغلالية المزمنة التي تربطنا بالحيوانات. بدلاً من الاهتمام بعلاقتنا الاستغلالية المزمنة بالحيوانات الذي يمثّل الأصل الحقيقي للمشكل، استغلّ أقوى «زعيم» في العالم في ذلك الوقت الوباء كفرصة لوضع تصوّر للمرض بناء على أسس قومية وذلك باستخدام عبارات مثل «كونغ فلو» و "الفيروس الصيني." من المؤكد أن ترامب لم يكن الوحيد الذي كان يفعل ذلك، بل يوجد تاريخ طويل لمثل ذلك السّلوك على مدى العصور. في الواقع، كما أوضحت بريسيلا والد في كتابها المميّز والاستشرافيّ الذي صدر سنة 2008 بعنوان *معدي: الثقافات والناقلون وسرديّة التفشي* "يظهر (هذا الأمر) بشكل روتيني في الإفادات المتعلّقة بالتفشي، إذ يعتبر [الخطاب الوبائي] تفشي الأمراض عواملا "خارجيّة" أو "أجنبيّة" التي من شأنها أن تشكّل تهديدًا وطنيًا".[5] ولكن مهما

4 *نفس المصدر صفحة* 691-791

5 Priscilla Wald, *Contagious: Cultures, Carriers, and T\the Outbreak Narrative,* Durham, Duke UP, 2008, p.27.

كانت التشكيلات السياسية لدولة معينة مع الصين، فنحن بحاجة إلى أن نكون واضحين كلّيا في تصريحاتنا بأنّ المرض لم يأت من الصينيين بل من الحيوانات. كما هو الحال مع 75 ٪ من الأمراض الأخرى التي نعاني منها، فإن الحيوانات (واللحم الذي نتناوله منها) هي المصدر الأساسي لوباء كوفيد-19 وهو *شرط لا غنى* عنه لتعرض الإنسان للموت والتغيرات غير المسبوقة التي تطرأ بفضل العامل الممرض .

علينا أن نكون واضحين في اعتبارنا أنّ كوفيد -19 حدث بيئي مثله مثل «الطّاعون الأسود» الذي سبقه. يوضح ريتشارد هوفمان في كتابه «*التاريخ البيئي لأوروبا في العصور الوسطى*" أنّ الطاعون الأسود كان "أكبر حدث بيئي وديموغرافي في التاريخ الأوروبي لما قبل الحداثة".[6] نقلاً عن هوفمان، يجادل شون نورماندين المختصّ في تاريخ القرون الوسطى بأن الآثار الاجتماعية للوباء - اختفاء القرى وانهيار الاقتصادات والتغيرات في الممارسات الزراعية وما إلى ذلك - كان لها آثار عميقة يمكننا رسمها إلى حد ما في كتابات ومؤلّفات تلك الفترة الزّمنية (راجع نورماندين، لا سيما الصّفحات 50-1). إن جائحة كوفيد-19 لهي كارثة بيئية أسفرت بدورها عن فائزين وخاسرين.

تحوّل الأوبئة الحذر إلى خوف والخوف إلى أشكال مختلفة من الرّهاب ويظهر كوفيد-19 هذا الأمر جيّدًا مع مسألة التّعقيم برمّتها وهذا ليس انتقادًا للحاجة إلى التعقيم على أيّ مستوى بل ضرورة من أجل فهم أساسيّة عالم الميكروبات في وجودنا ذاته إذ يهدّده التعقيم القهري تهديدا عظيما. نحن بحاجة إلى تعليم أطفالنا جيدًا. من المحتمل جدًا أن تؤدي جهودنا إلى جانب حدود الفيروس نفسه إلى نهاية كوفيد-19 أو ترويضه على الأقلّ. لكن هذه ليست نهاية القصة إذ سنحتاج حقًا في مرحلة ما إلى التفكير فيما خلّفته كلّ عمليات التّعقيم وكيف ستعود علينا آثارها لمطاردتنا. أنا لا أشير إلى اقتراح ترامب بشرب المعقّمات ولكنّني مهتمّ بالأحرى بعالم الميكروبات داخل أجسامنا التي سأتحدّث عنها بإسهاب أكثر في ما يلي.

ولكن يجدر الإشارة أوّلا إلى أن الكثير مما نمرّ به *ليس* بالأمر الجديد وأنّ الروائيين قد كتبوا عن مثل هذه التجارب التي بدت مؤخرًا وكأنّها فريدة من نوعها في تاريخنا. على سبيل المثال ومنذ عقود ذكر ألبرت كامو في روايته «*الطاعون*" شيئًا قد يبدو وكأنّه اعترافا *شعبيًا* أكثر معاصرة: «ما هو طبيعي هو الميكروب».[7] تعدّ الميكروبات جزءًا أساسيًا من الطبيعة بالفعل ولكن هذا الاعتراف كان ولا يزال *باعثا عن الاستياء* بشدة ومن الصعب العثور على التّعبير الصّحيح الذي يصفه.

6 Richard C. Hoffmann, *An Environmental History of Medieval Europe*, Cambridge, Cambridge UP, 2014, p.289.

7 Albert Camus, *The Plague,* (trans.) Robin Buss, Tony Judt, Penguin, 2013, p.195.

إنّ العوالم التي تخلقها الميكروبات تمثّل الأعداء المتخيّلين للأوبئة بلا شكّ. إنّهم العدو اللدود، إذ تستفيد جائحة كوفيد-19 من مخاوفنا من نواحٍ عديدة حيث يسلّط الضوء أولاً على كيفية التقاء الاستراتيجيات التكيفية التي يمكنها أن تعمل جميعها ضدّ مصالحنا الفضلى طويلة المدى وثانيًا إثارة أسئلة حيوية حول كيفية الاستجابة للتهديدات الفتّاكة ولا سيما كيفية الاستجابة عندما نكون تحت الحصار لمّا يتملّكنا الرعب. كان ردّ جورج دبليو بوش على الهجمات الإرهابية في الحادي عشر من سبتمبر منعكس يتمثّل في ردّ الهجوم بمثله عبر خلق عدوّ (الإرهاب) وشنّ الحرب عليه (الحرب على الإرهاب). لقد كان رد فعل قومياً وعنصريًا بطبيعته. إذا كان هناك شيء واحد يميّز جائحة كوفيد-19 أكثر بكثير من الفيروس نفسه، فلا بدّ أن يكون الخوف وردّ الفعل الإيكوفوبي (في هذه الحالة) الذي يعكس شيطنة مصدر الخوف نفسه.

تشير سوزان سونتاغ في كتابها الشهير *المرض كاستعارة* إلى كيف «تنعكس مشاعر الشرّ على المرض. والمرض (الغني بالمعاني) يُسقط إسقاط على العالم ".[8] وتنطوي هذه الملاحظة على علاقات معقدة بين عالم الموضوع وعالم الأشياء وبين المتخيل والواقعي وبين قدراتنا على استيعاب الجوانب العاطفيّة واللامبالية منها. ومن المؤكد أن الطبيعة غير مبالية تمامًا. تذكرنا بريسيلا والد أن «الطبيعة بعيدة كل البعد عن كونها حميدة أو هي على الأقل تفتقر لأيّ شعور خاصّ يميّز الإنسان ورفاهه وعافيته عن الأنواع الأخرى».[9] ومع ذلك، لا يمكن اعتبار الطبيعة شرّيرة ولكن، كما تتابع والد، فإنّ من بين الباحثين من يعتقدون بأنّ «الميكروبات ليست شريرة فحسب إذ تبيّن إفادات تفشي المرض احترام الباحثين لخصمهم لا بل الخوف منه حتّى».[10] ورغم ذلك، يجدر بنا أن تكرار الفكرة القائلة بأنّ الطبيعة غير مبالية التي تمثّل مفهوما يجد المرء صعوبة في استيعابه. لا يمكن الميكروب والفيروس أن يفكّرا أو يشعرا بقدر عجز الصّخرة عن التفكير عند سقوطها «حذار، سوف أسقط.» إنّها تقع فحسب. لقد قام جارید دایموند بمجرد مزحة بالطبع عندما وصف الميكروبات بأنّها «ذكية لعينة» من ناحية كيفية تعديلها «لأجسامنا أو سلوكنا من أجل تجنيدنا بغاية نشر المزيد من الميكروبات».[11] لكنه هو يعلم ونحن نعلم بأنّ ذلك ليس ذكاء بقدر ما هو منطق الطفرة الجينية في كثافة سكّانية كبيرة بوقت توليد قصير. إنها صدفة بحتة وليست ذكاء، ورغم ما نمتلكه من نباهة وذكاء لا يمكن للصّدفة الجينية أن تكون في صالحنا خاصّة مع

8 Susan Sontag, *AIDS and Its Metaphors*, New York, Farrar, Straus and Giroux, 1989, p.58.

9 Wald, 2008. p.40.

10 *نفس المصدر ص* 34

11 Diamond, 1997, p.198.

انتظارنا الطويل «للترددات الجينية من جيل إلى جيل».[12]في حين أن الميكروبات لها ميزة وراثية لا نملكها، يظلّ ذكاءنا استجابة قوية لها. أكتب اليوم ومادة محوّرة وراثيًا (لقاح الحمض النووي الرّسول mRNA) تتجول داخل نظامي. ومع ذلك، يمكن للفيروسات أن تتحوّر بشكل أسرع من قدرتنا على تطوير الاستجابات. هي تتحوّر بمحض (ولديها الكثير من الفرص للقيام بذلك) من أجل إدامة ذاتها حيثما وعندما يكون ذلك ممكنًا دون أيّة عاطفة. إن القوة التي تمتلكها أشكال الحياة متناهية الصغر وغير الذكية وتسيطر بها علينا هي التي تثير رد الفعل الإيكوفوبي لدينا.

يعتبر التفكير في أنّ شيئا غير عاقل لامتناهي الصغر يمكنه التغلّب علينا أمرا سالبا للقوّة أو "مهينا لكبريائنا" إذا ما استخدمنا عبارة دايموند. (197). ربما لا يوجد عبارة أكثر بلاغة أو إيجازًا من قولة شخصية سام دانيلز في فيلم التفشّي *Outbreak*: "عليك أن تحبّ بساطته. إنّ أصغر منّا بمليار مرّة ولكنّه يتفوّق علينا." نظرًا لأنّه أمر مبهم وغير مفهوم وغير مقبول من نواحٍ عدّة، فإننا نسقط مفاهيم مماثلة لتلك التي تصفها سونتاغ. من أو ما الذي يمكنه تفكيك عن نسيجنا المصنوع بعناية وشبكتنا العالمية المعقدة للإنتاج والتوزيع فضلا عن دوائرنا وسلاسلنا المالية الدقيقة؟ نحن محجمون على اعتبار الطبيعة بأنّها كيان لا يبالي بنا. تجادل والد بأنه «لا يوجد أمر أفضل من الميل الذي لا يقاوم، على ما يبدو، لتحريك عدو ميكروبي ما يمكنه توضيح الإحجام عن تقبّل لامبالاة الطبيعة بالبشر والابتعاد عن التحليل البيئي لسرديّات حالات العدوى الناشئة لدى جميع الأنواع الحيّة».[13] أليس من الأفضل في نهاية المطاف أن يتخّيل المرء ميكروبا شريرا ينتقم زاحفا مثل الشيطان اللطيف واضعا أفضل الخطط المحكمة بدلاً من التفكير في شيء بلا عقل وغير مرئي تقريبًا يقوم بتفكيك كلّ شيء؟ أمّا حقيقة أننا لا نستطيع طردها بعيدا فهي أمر أكثر سخريّة من عقلياتنا الاستثنائية المثيرة للاهتمام. ندرك أنّ الأمر لا يقل الأمر عن كونه مطاردة دائمة عندما وعد كامو في نهاية روايته بأنّ "قُصيمة الطاعون لا تموت ولا تختفي أبدا".[14]

ومع ذلك وبالعودة إلى مسألة الفائزين والخاسرين، فإن الميكروبات هي الخاسرة البيولوجية على المدى الطويل عندما يتعلّق الأمر بأنظمة التعقيم التي نعتمدها حاليّا. يجب أن نتذكر أن الجهود المبذولة للقضاء على الميكروبات الخطرة سيكون لها عواقب طويلة المدى. تثير الفيروسات التي تعتبر أصغر الميكروبات استجابات انتقامية منا ممّا يمكنه أن يفرز نتائج أسوأ بكثير من الفيروس نفسه. وبغض النظر عن الأسئلة المتعلقة بالمسؤوليات الاجتماعية مقابل الحريات الفردية، وعلى

12 *نفس المصدر ص* 102

13 Wald, 2008, p.42.

14 Camus, 2013, p.237.

الرغم من جدية هذه الأسئلة، فإنها تتضاءل أمام المسائل البيولوجية التي تعتبر بوضوح أكثر أهمية ولكنّ لم يتمّ تناولها إلى حدّ الآن في وسائل الإعلام السائدة أو في الأبحاث العلمية الشائعة الخاضعة لمراجعة النّظراء . تحتاج هذه المسائل إلى اهتمام فوري. في عام 2019، قبل وقت قصير من انتشار جائحة كوفيد-19، كتبت في *مجلّة الدراسات المتعددة التخصصات بشأن الأدب والبيئة ISLE* على النحو التالي (وقد تلقيت بعض الردود العدائية حيال ذلك):

واليوم، كما يلاحظ مايكل بولان في نقاش حول عمليّة التخمير، «يعتبر عالم الميكروبات تهديدًا مميتًا في المقام الأول».[15] لقد شرح إرث لويس باستور،

هي حرب دامت قرنًا على البكتيريا حرب تطوّع فيها معظمنا أو تمّ تجنيدنا لخوض غمارها. ها نحن ننشر المضادات الحيوية ومعقمات اليدين ومزيلات العرق والماء المغلي و «البسترة» واللوائح الفيدرالية لصدّ الأعفان والبكتيريا وبالتالي فنحن نأمل صدّ المرض والموت.[16]

لقد أطلق عليها بولان تسمية «رهاب الجراثيم»[17] ولكنّها تُعرف أيضًا بـ»رهاب الميكروبات» و»رهاب الفطريات» و»رهاب الطفيليات» و»رهاب العُصيات» و»رهاب البكتيريا» التي تندرج كلّها بوضوح تحت عنوان الإيكوفوبيا التي، كما اقترحت في مكان آخر، يتم تطبيقها في العديد من المجالات بما في ذلك صناعات مواد النظافة الشخصية ومستحضرات التجميل.[18]

إنّ هذه الكلمات صحيحة الآن كما كانت كذلك قبل الوباء على الرغم من الردود العدائية التي أثارتها. يعدّ الاستخدام القهري لمعقّمات الأيدي في الأماكن العامة مثالًا حديثًا على خوفنا الهوسي من الأوساخ والبكتيريا. ومع ذلك، فإن الحقيقة هي أن جسم الإنسان يتكون من حمض نووي غير بشري أكثر من الحمض النووي البشري وأن تعقيم اليدين *الهوسي* أكثر ضررًا على المدى الطويل مما هو مفيد لأننا نقتل جراءه الكائنات الحية الدقيقة التي تفيدنا في بقائنا على قيد الحياة. على سبيل المثال، فنحن نحتاج إلى البكتيريا المعويّة من أجل هضم طعامنا وتنظيم جهاز المناعة لدينا وتقليل الالتهاب. ينتج هذا النّبيت المعوي (البكتيريا) مواد مضادة للميكروبات تفوق العدد الإجمالي للخلايا في جسم الإنسان بنسبة 1000٪ - بنسبة عشرة إلى واحد بمعنى آخر. تحتاج المسائل البيولوجية المتعلّقة بما نفعله للأجيال القادمة من خلال التعقيم القهري اهتماما كبيرا

15 Michael Pollan, *Cooked: A Natural History of Transformation*, New York, Penguin, 2013, p.296.

16 *نفس المصدر*

17 *نفس المصدر ص* 792

18 Simon C. Estok, “Ecophobia, the Agony of Water, and Misogyny.” *ISLE: Interdisciplinary Studies in Literature and Environment,* Vol. 26, No. 2, Spring 2019, p.473-474.

منّا. لا يحتاج إحساسنا بالمحاصرة من كلّ جانب من رفاقنا المجهريّين وتفوّقهم العدديّ وهجومهم المتواصل علينا الاهتمام الكثير كما لا يساعد تخيّل الحرب معهم بدل من التعايش مع الميكروبات على المدى الطويل فيما تظلّ حقيقة أننا «ميكروبات أكثر من بشر» (مارغريت ماكفول نغاي صفحة M52)[19] قائمة إلى الأبد. ستراق الدماء جرّاء هجومنا على النظم البيئية الميكروبية.

نحن نواجه خسارة فادحة لا علاقة لها بالحريات الشخصية أو الحريات الاجتماعية: قبل تفشّي جائحة كوفيد-19 ومع تنامي الأنثروبوسين، كنا قد بدأنا بالفعل في مواجهة «الخسارة» كما تشرح مارغريت ماكفول نغاي «خسارة العوالم الميكروبية المعقّدة داخل وخارج الأجسام العضوية، تلك العوالم التي تجعل الحياة كلّها تقريبًا ممكنة «.[20] تعتبر هذه العوالم الميكروبية أساسيّة للغاية بالنسبة لنا ومع ذلك فإننا نقدم على مهاجمتها بصورة عشوائية من خلال أنظمة التعقيم التي نعتمدها. ولكي نكون واضحين مرّة أخرى، هذا لا يعني الجدال على أيّ مستوى ضد الحاجة إلى النّظافة الصّحّية الجيّدة في عصر كوفيد-19، لكنّنا نحتاج إلى أن ندرك بأنّ هذا الأمر سيدفعنا إلى إراقة الدّماء. وتلخيصًا لعمل كارل ووز، تصف ماكفول نغاي كيف أنه بحلول أوائل التسعينيات أصبح من الواضح أنّ «التنوع البيولوجي للأرض كان ذا طبيعة مكروبيّة بشكل يفوق الخيال أكثر بكثير»[21] وأن «الميكروبات لا «تحكم» العالم فقط: بل أنّها تجعل كل أشكال الحياة ممكنة أيضا وهذا ما فعلته منذ بداية الزمن التطوّري».[22] تحوصل مارغريت ماكفول نغاي الحجج المهمّة حول «أهمية البكتيريا ليس فقط لنفسها ولكن أيضًا للكائنات الحيّة الأخرى التي تعتمد عليها في عمليات أساسية مثل النّموّ الجسدي» .[23] إنها توضح ذلك حتى يتمكن القرّاء من ذوي التّخصّصات غير العلميّة بدورهم من فهم ما يلي بشكل جليّ:

لا تعمل البكتيريا على تغيير الطريقة سلوك أمعائنا فحسب بل تتفاعل منتجاتها الأيضية مع أجسامنا بأسرها بطرق معقدة بدأنا لتوّنا في استكشافها. على سبيل المثال، ها نحن نكتشف أنّ بكتيريا الأمعاء لها تأثيرات كبيرة على أدمغتنا ممّا يؤثر على طريقة تفكيرنا وشعورنا.[24]

19 Margaret McFall-Ngai, "Noticing microbial worlds: the postmodern synthesis in biology", *Arts of Living on a Damaged Planet,* (eds.) Elaine Gan, Anna Tsing, Heather Swanson, and Nils Bubandt. Minneapolis, U of Minnesota P, 2017, M52.

20 *نفس المصدر*، M51.

21 *نفس المصدر*، M54.

22 *نفس المصدر*، M59.

23 *نفس المصدر*.

24 *نفس المصدر*، M64.

وبالإشارة إلى أعمال يانج وانج ولويد هـ كاسبار، تؤكد ماكفول نغاي أنّ «هناك أدلة متزايدة على أن وجود سلالات مكروبيّة معيّنة أو عدمها مرتبط ارتباطا وثيقا بالاكتئاب والقلق والتوحّد».[25] فلماذا لا يوجد في العالم أيّ اهتمام إعلامي بالضّرر المحتمل الذي قد يتسبب فيه التعقيم القهري والمضادات الحيوية والمطهّرات في مستقبلنا؟ جزء من الإجابة على الأقل هو ببساطة أننا نعاني بالفعل من هذا الفرع من الإيكوفوبيا الذي أطلق عليه بولان تسمية «رهاب الجراثيم.» لقد كانت كلماته مناسبة جدّا للوقت في خضم جائحة كوفيد-19.

يجب أن نكون على ثقة بأنّ ردود أفعالنا كانت رهابيّة أكثر من كونها عقلانية ويجب أن نكون واضحين بنفس القدر معترفين بأنّ ردود الفعل الرهابية هذه قد أنقذت أرواحًا لا تحصى ولا تعدّ. قد يبدو هذا متناقضًا نظرًا لأنّ استجابات غريزة البقاء لا يمكن اعتبارها ضربا من ضروب الإيكوفوبيا ولكنّنا نحتاج هنا إلى توصيف مهم للغاية: نحتاج إلى فهم أنه حتى استجابات البقاء على قيد الحياة يمكنها أن تكون إيكوفوبيّة عندما تكون مجرد ردود *أفعال* واستجابات لا تستند إلى أي حقائق مادية أو تجريبية بينما تقوم على الخوف فحسب دون أيّ أساس عقلانيّ أو منطقيّ. عندما تهرب الحيوانات من النّاس فعادةً ما يكون ذلك لأننا أظهرنا أنفسنا لها على أنّنا نشكّل خطرا ما ممّا جعلها تتعلّم الخوف منّا. لقد تعلمنا أيضًا أن نخاف كثيرًا عبر تاريخنا التطوري. ومع ذلك، فإنّ الكثير مما كان علينا أن نخاف منه خلال تاريخنا التطوري صار اليوم مجرد جزء من التاريخ. عندما يكون الأطفال صغارًا فإنّهم يخافون من الظلام ليخبرهم الكبار بأنه ليس هناك ما يدعو إلى الخوف. إنه درس تعلمناه جميعًا بوصفنا أطفالا (أي أنه لا بأس من إطفاء الأنوار والذهاب إلى النوم) وهذا ما يجعل شعور الخوف من الظلام الذي مررنا في طفولتنا كامنا في أغلب البالغين منّا. ومع ذلك، فإنّ الأماكن المظلمة كانت في الواقع مصدر خطر على الحيوانات النهارية خلال تاريخها التطوري بما في ذلك نحن. يعتبر إيقاظ المخاوف الكامنة أمرا ممكنا دائما. ما قامت به جائحة كوفيد-19 هو إيقاظ الكثير من المخاوف الكامنة وبشكل أساسي الخوف من الميكروبات ومن الحيوانات كما سأفسّر لاحقًا.

كما نعلم جميعًا، فقد أثار الوباء أسئلة حول أمن حريّتنا ووكالتنا وحياتنا الشّخصية جدّا. تتلاشى الحريات الشخصية والأسرار أيضا في السّرديات التي تروّجها الميكروبات كما في قصص تفشي الجوائح التي يختلقها البشر:

25 *نفس المصدر.*

تسرد الميكروبات غالبًا القصة الخفية لمن كان في مكان وزمان وما فعله في ذلك الإطار الزّمكاني المحدّد. تُصبح العدوى هي التي ترسم التفاعلات الاجتماعية التي غالبًا ما تكون غير مرئية ومظاهر تلك الاحتكاكات والروابط التي تعتبر سمة مهمة أخرى لسرديّات التفشّي.[26]

تكمن فيما نعتبره بمثابة تهديد لفرديتنا من خلال فهم ردّ الفعل الإيكوفوبية فرصة لإعادة تصوّر أنفسنا وعلاقاتنا مع العالم. وبالعودة إلى أعمال مارغريت ماكفول نغاي، قد يكون من الأفضل لنا الانصات إلى الحجّة التي تدعم حاجتنا إلى رؤية «البكتيريا بوصفها جمعا من الغزاة المسبّبة للأمراض [بصورة أقلّ] . . . من [اعتبارها] شركاء تكافليين محتملين «،[27] وهو أمر *لا* يقع في دوائر علم الأحياء الدقيقة: «لم يعد من الممكن النظر إلى أجساد البشر على أنها حصون للدفاع ضد هجوم الميكروبات ولكن يجب إعادة تصورها على أنها أنظمة بيئية متداخلة» (المرجع نفسه). علاوة على ذلك ونظرًا لأن «الأفراد هم بمثابة أنظمة بيئية»، يصبح من الجليّ «أنّ فقدان نوع واحد ربما يؤدي إلى فقدان أنواع عديدة وليس نوعًا واحدًا فحسب. يثير الانتباه إلى الحياة الميكروبية شبح أزمة الانقراض التي ربّما تكون أكثر خطورة علينا ممّا كنا نعتقده».[28] واستنتجت ماكفول نغاي بقوة أنّ «ملاحظة العوالم الميكروبية تبدو في عصر الأنثروبوسين أكثر أهمية من أي وقت مضى».[29] يجب أن يحلّ الشّعور بالاندماج محلّ إحساسنا بالامتياز الفردي والاستثنائية - وسأعود إلى موضوع الاستثنائية لاحقا.

وبالعودة إلى مسألة كيفية تحويل الأوبئة الحذر إلى خوف والخوف إلى رهاب وهي ديناميكية كشفت عليها جائحة كوفيد-19 بصورة جيّدة، فإنّ التّعقيم القهري يعتبر مثيرا للقلق ليس فقط بسبب إيحاءاته الإيكوفوبية بل لأنه يعالج الأعراض لا الأسباب. إنه فعل انعكاسي يخفق ببساطة في الوصول إلى ما وراء ظواهر الأشياء ليكون بمثابة ضمادة جروح بالنسبة لمرضى السرطان. كما يعالج التّشديد على التعقيم في الوسائط الإعلامية لكوفيد-19 الأعراض (المرض) دون علاج السّبب (علاقتنا الإيكوفوبية المزمنة بالحيوانات). يصيبنا الوباء في أكثر نقاط ضعفنا الإيكوفوبية: ألا وهي خوفنا من الحيوانات نفسها. تعمل الأوبئة بطريقة ما على فرض تكافؤ الفرص وذلك بتذكيرنا بأنّنا لا نختلف كثيرًا عن بقيّة الحيوانات في العالم.

26 Wald, 2008, p.37.

27 McFall-Ngai, 2017, M65.

28 *نفس المصدر*.

29 *نفس المصدر*، M66.

ومن بين الأشياء المثيرة للاهتمام حول جائحة كوفيد-19 هي الطريقة التي كشفت بها عن ردود أفعالنا «الحيوانية» ممّا جعلنا نشكّ في إحساسنا بالاستثنائية رغم كون استجاباتنا للخطر *طبيعية*. عندما يظهر الخطر يحلّق سرب من الطيور وتهرب كوكبة من الأسماك وتتراجع مجموعة من نطّاط الطّين إلى جحورها فيما يقبع النّاس في منازلهم - إذن، لسنا مختلفين عن الحيوانات الأخرى إلى حدّ كبير إذ تكشف نقاط ضعفنا عن الصّلات والوشائج التي تجمعنا. فنحن عرضة للإصابة بالأمراض - حتى الانقراض مثل الحيوانات الأخرى ،. يتعلق جزء كبير من هذه القضية برمتها بإحساسنا المتضخّم بتفوّق فرديّتنا.

في الواقع، فإنّ العديد من الأزمات التي نواجهها حاليًا هي الآثار البيئية الخطيرة الناتجة عن تصوّراتنا بخصوص فردانيّتنا إذ يمثّل جزء من الرعب الذي تعكسه جائحة كوفيد-19 تحديًا لمثل هذه التّصوّرات. وقد قارب إد يونغ القضية مقاربة جيّدة: «بغضّ النظر عن مدى تركيزنا في الإشكالية، فمن الواضح أنّ الميكروبات تدمّر تصوّراتنا بخصوص الفردانيّة».[30] وهذه الميكروبات هي حيوانية المنشأ. ويحيل عدم الاعتراف بالأصول الحيوانية المنشأ للمرض إلى تجاهل التشابكات البشرية/ غير البشرية والتغافل عليها وهنا استشهد بنيكول شوكين «*التّوق* الليبرالي للألفة بين الأنواع [التي] تنتشر بشكل متزامن [،]. . . مع الحنين إلى القرابة ما بعد الإنسانيّة «(188، *ورد التّشديد في النّص الأصلي*)[31] ولكن يمكن لذلك، كما لاحظ شوكين، أن يؤدي أيضًا إلى ظهور عنصريّة قائمة على الأنواع إيكوفوبيا استثنائية.[32] علّق كيث توماس ذات مرة بأسلوب شهير بأنه «من المستحيل فصل ما كان يعتقده الناس في الماضي عن النباتات والحيوانات عمّا كانوا يعتقدونه بخصوص أنفسهم» . كانت هذه التشابكات هرمية في التفكير الغربي. فيما تعتبر الفلسفات والأديان الشرقية (الهندوسية والجاينية والبوذية والطاوية وغيرها) موضوعا آخر ولكنّها ليست موضوع هذا الفصل. في الواقع، من المثير للسخرية أنه في حين أن «المجتمع الغربي قد عزّز ثقافة رعاية الحيوانات. . . محافظا على حقّ البشرية في قتلهم وأكلهم «(ستيوارت السابع عشر).[33] أتذكر هنا تعليق مايكل بولان بأن «نصف الكلاب في أمريكا ستتلقى هدايا عيد الميلاد كل عام لكنّ القليل منا يتوقف للتفكير في

30 Ed Yong, *I Contain Multitudes: the Microbes Within us and a Grander View of Life,* Harper Collins, New York, 2016, p.24.

31 Keith Thomas, *Man and the Natural World: Changing Attitudes in England,* 1500–1800*,* Allen Lane, New York, 1983, p.16.

32 Nicole Shukin, *Animal Capital: Rendering Life in Biopolitical Terms,* Minneapolis, U of Minnesota P, 2009, p.188.

33 Tristram Stuart, *The Bloodless Revolution: A Cultural History of Vegetarianism from* 1600 *to the Present*, Norton, New York, 2006, p.8.

حياة الخنزير البائسة - وهو حيوان لا يقلّ ذكائه عن ذكاء الكلب ولكنه بالرغم من ذلك فإنه يتحول إلى لحم مدخن في أعياد الميلاد» (بولان «من أجل مكان للحيوان»). ما يسمح بهذا هذا التناقض هو الشعور بالسلطة المفوّضة من إله متخيّل يمنح الرجال السّيطرة على الحيوانات والنساء. من الواضح أنّ استغلال الحيوانات في العمل والترفيه وصنع الملابس والطعام يمثل شيئًا متناقضًا. لا يقتصر الأمر على الخنازير والكلاب التي ذكرها مايكل بولان: فعلاقاتنا مع الحيوانات التي تُفهم على أنها حق منحه لنا الرّب لنا في التاريخ الثقافي الغربي تتعارض مع الوصية (من نفس الإله) بعدم التسبب في معاناة الحيوانات: في اللغة العبرية Tzaar ba ‘alei Chayim (צער בעלי חיים) والتي تشير حرفياً إلى عدم التسبب في «*معاناة لأصحاب الحياة*» - ويفهم التقليد التلمودي عمومًا «أصحاب الحياة» (ba’alei، בעלי חיים) على أنها تشير إلى الحيوانات. بغض النظر عن السلوكيات المتناقضة مع الحيوانات في الفكر اليهودي المسيحي، لطالما كانت الحياة البشرية وغير البشرية دائمًا متشابكة وستظلّ دائما كذلك وسوف يكرر التاريخ نفسه ويطارد البشرية حتى تتلقّى الدّروس الضروريّة.

وتعرب نيكول شوكين عن قلقها من الإخفاق في التعرف على هذه التشابكات وتقول إنّ «التخلي عن الأمل في التعايش المادي المتبادل المنفعة مع الأنواع الأخرى ربما يكون أكثر الاحتمالات رعباً على الإطلاق».[34] إنّ عدم الاعتراف بالعلاقة الماديّة المستمرة بين البشر والحيوانات (حركة المواد داخل الأجسام ومن خلالها التي أطلقت عليها ستايسي ألايمو «العبور بين الأجساد البشرية والحيوانية») يؤكد ضمنيًا على استثنائية الإنسان ويضع غير البشر في مساحة مهملة. إنّ إعادة التّأكيد هذه تحقّق نظريّا فهمًا منحرفًا للعلاقات بين الإنسان والحيوان حيث يصبح غير البشريّ هو الخصم والعامل الشيطاني الذي يسعى إلى إيذاء الإنسان. على حد تعبير شوكين، في حين أن التنقل الأحيائي *biomobility* يشير إلى انهيار وجودي جذري للاختلافات بين الأنواع والمسافة بينهم في ظلّ الظروف الحالية للرأسمالية العالمية، فإنه يقدّم أيضًا خطابات وتقنيات جديدة تسعى إلى تأمين صحة الإنسان من خلال الفصل بين حياة الإنسان والحيوان والعثور على مبرّر عالمي في شبح الوباء من أجل مأسسة عنصرية الأنواع على نطاق غير مسبوق حتى الآن.[35]

إنّ تجاهل التشابكات البشرية/غير البشرية ونقل المواد الجينية بين الأنواع أو التقليل من أهمية له أسباب وتداعيات معقّدة.

34 Shukin, 2009, p.220.

35 Shukin, 2009, p.183-184.

هناك العديد من القضايا التي تستدعي التقليد في هذه المرحلة. أولاً، من الواضح أنّ الجينات (مثل الميكروبات) ليس لها دوافع من الناحية العاطفية أو النفسية ولكن لا ينبغي أن نرتكب أيّ خطإ بهذا الصّدد بما أنّها تحرص على التكاثر، وهي فكرة نعتبرها مزعجة للغاية إلى حدّ كبير لأنها تهدّد شعورنا بالفردانيّة. لكن ريتشارد دوكينز يوضّح أنّ الأفراد ليسوا أشياء مستقرة بل زائلة عابرة. أماّ الصّبغيّات، فهي أيضًا تمّ خلطها في طيّ النسيان مثل خلط الأيدي في لعبة الورق بعد وقت قصير من توزيعها. لكن البطاقات نفسها تنجو من الخلط وهذه البطاقات هي الجينات. لا يتم تدمير الجينات بالعبور فهي تغيّر الشّركاء فحسب ثم تمضي قدما. بالطبع فهي تواصل الزّحف فذلك هو عملهم. هم النّاسخون ونحن آلاتهم من أجل البقاء على قيد الحياة ثمّ نتنحى جانبا عندما ينتهي دورنا. بيد أنّ الجينات تمثّل سكّان الزمن الجيولوجي: الجينات هناك إلى الأبد.[36]

الجينات التي تدير الميكروبات إذن هي التي لديها دوافع تطارد البشرية بحقّ. وتتمثّل المسألة الأخرى (التي رأيناها في ملاحظة دايموند حول الميكروبات «الذكية اللعينة» وفي شيطنة الميكروبات التي ناقشتها كلّ من والد وسونتاغ) في التّضادّ الذي غالبًا ما يكون مضمنا في التعليقات حول فهم فيروس متخيّل والتغلّب عليه مع اعتبار أنّه هو "العدو." ويتمثّل إدراك الخطر الكامن في وكالة المادة الجينومية جزءا من الأشياء التي الخوف أثناء الجائحة. كتب أستاذ الطب بجامعة كولومبيا سيدهارتا موخيرجي أن «واحدة من أقوى الأفكار وأكثرها خطورة في تاريخ العلم [هي]» الجين» الذي يمثّل الوحدة الأساسية للوراثة ولجميع المعلومات البيولوجية» .[37] لقد حدّد فكرتين خطرتين أخرتين: الذرة والبايت بحجة أن «كل واحدة تمثل الوحدة غير القابلة للاختزال - اللبنة والوحدة التنظيمية الأساسية لكلّ أكبر: الذرة للمادة والبايت (أو بت) للمعلومات المرقمنة والجين للوراثة والمعلومات البيولوجية «.[38] ويتابع ليصرح بما نعرفه عقليّا فيما نجهله غريزيّا: «من المستحيل فهم علم الأحياء أو التطور الخلوي والكائن - أو علم الأمراض البشري أو السلوك أو المزاج أو المرض أو العرق أو الهوية أو المضير دون الاعتماد على مفهوم الجين أوّلاً».[39] هذا بالطبع يدفعنا إلى التّساؤل عن الوكالة خارج حدود الجينات: هل لدينا أي إرادة حرة أو فردية؟

يتحدّث عالم الحشرات الشهير إدوارد أوسبورن ويلسون - الذي التقينا به بالفعل بوصفه أب فرضية البيوفيليا - مباشرة عن السؤال حول العلاقات التي تربط بين الجينات والوكالة:

36 Richard Dawkins, *The Selfish Gene*- 40*th Anniversary Edition*, Oxford, 2016, p.44.

37 Siddhartha Mukherjee, *The Gene: An Intimate History*, Scribner, 2017, New York, p.9.

38 *نفس المصدر ص*11

39 *نفس المصدر صفحة* 9-01

[...] الجينات هي التي تمسك الثقافة بوثاق. إن الوثاق طويل جدًا لكن القيم حتمًا ستكون مقيدة وفقًا لتأثيراتها على مجموعة الجينات البشرية. الدّماغ هو نتاج التطور. السلوك البشري - مثل أعمق القدرات للاستجابة العاطفية التي تحركه وتوجهه - هو التقنية الملتوية التي من خلالها ظلّت المادة الوراثية البشرية وستظل دائما سليمة. ليس للأخلاق وظيفة نهائية أخرى يمكن إثباتها.[40]

يضعها هاروكي موراكامي بقوة أكبر في روايته الملحمية 1Q84:

البشر ليسوا سوى حاملات وممرّات للجينات في نهاية المطاف. فهم يمتطوننا على الأرض مثل خيول السباق من جيل إلى جيل. لا تفكر الجينات فيما يشكل الخير أو الشر. إنهم لا يهتمون بما إذا كنا سعداء أو تعساء. نحن مجرد وسيلة لتحقيق غاية لهم. الشيء الوحيد الذي يفكّرون فيه هو الوسائل الأكثر فعالية بالنسبة لهم.[41]

تتناغم قوافي دوكينز بشكل أكثر إيجازًا: «هم يدعون الجينات، ونحن آلاتهم من أجل بقائهم على قيد الحياة».[42] بغض النظر عن طريقة نطقنا لها فإن الفكرة مرعبة: إن إحساسنا بالوكالة مبالغ فيه. ربّما تكون هذه هي الفكرة الوحيدة والأكثر أهمية في التفكير المادي الجديد ولها آثار عميقة على كيفية تفكيرنا في المواد ومدى أهميتها. إن تطور الاهتمام بالجينات على مدار المائة عام الماضية أمر مشجع للغاية لأنه قد يساعد بشكل جيدا على إزاحتنا من إحساسنا المدمر بالاستثنائية والعمل على التشكيك في غطرستنا في وكالتنا والتغلب على التحيزات ضد الكائنات الحية الأقل تعقيدًا بما في ذلك الأشياء التي تطاردنا وتسبّب أوبئة مميتة.

أحد الأمور الحاسمة هنا هو تحديدا معرفة كيف يمكن للتّحيز ضد الكائنات الحية الأقل تعقيدًا أن يكون أمرا خطير. إلى أيّ درجة تمنعنا المسائل الثقافية مثل التفكير الطبقي والهرمي من تناول مسألة وكالة مسببات الأمراض (على الأقل لحين بداية تفشّي الوباء) بنفس القوة والحيوية التي نتعامل بها مع تهديدات الأمن القومي المتصورة؟ ماذا نفهم من أوجه الشّبه بين الإرهاب والأوبئة التي لا يمكنها أن تعود إلى التمويل المتساوي بوضوح لأنّ الإنفاق العسكري يفوق بكثير الإنفاق على الرعاية الصّحية على مستوى العالم. تتمثل إحدى طرق الوصول إلى هذه القضايا في إدراك وجود مفاهيم خاطئة شائعة حول التطور وكيفية عمله وهي النقطة التي أوضحها أستاذ البيولوجيا

40 Edward O. Wilson, “Biophilia and the Conservation Ethic”, *The Biophilia Hypothesis,* (ed.) Stephen R. Kellert and Edward O. Wilson, Island Press, Washington, DC, 1993, p.167.

41 Haruki Murakami, 1*Q*84*: a novel,* Alfred Knopf, New York, 2011, p.269.

42 Dawkins, 2016, p.25.

الجزيئية النرويجي أندرياس هاينول بشكل جيّد. يجادل هاينول هذه المفاهيم الخاطئة كفكرة أنّ التطور ينتقل من البسيط إلى المعقد وأنّ مجموعات الحيوانات الأقلّ تعقيدًا يتم استبدالها في النهاية لا فقط في الكتب المدرسية ولكن أيضًا بين علماء الحيوان. إنّها يستحقّون اهتمامنا لأنها مواضيع جوهريّة بما أنّها تشكّل طريقة تفكيرنا حول بيولوجيا الحياة ولها من العواقب ما يجعلنا نعتبر التّحرّي من صحّتها أمرا ضروريّا.[43]

يوضح هاينول أن الاستعارات العلوية/السفلية (البشر في أعلى الشجرة أو السلم بينما البكتيريا والفيروسات في أسفلها) «أثبتت أنها محبطة بصفة خاص» لبعض أشكال الاستقصاء.[44] أكثر من ذلك، فإن مثل هذه الاستعارات تهيئنا للاستخفاف بمسببات الأمراض. وبالنظر إلى أن أحد الاستعارات لفهم العلاقات بين الإنسان ومسببات الأمراض هي ذات طابع عسكري (نحن في حرب ضدهم)، فإن مثل هذا النّزعة تعتبر خطيرة على وجه خاصّ. لن يقلل أحد من تقدير الإمكانات المميتة للمطرقة عندما تكون في يد قاتل متسلسل مختل عقليًا على الرغم من أن المطارق غير متطورة تمامًا وهي من بين أقدم الأدوات البشرية. المطرقة ليست مولد تدفق مغناطيسي يطلق مقذوفات دون أيّ نوع من المتفجرات الكيميائية لكنها يمكن أن تقتل - والموت سيان في نهاية المطاف.[45] نحن كائنات حية متطورة بشكل لا يصدق ونتخيل مع ذلك بأنّنا *أسمى* من مسبّبات الأمراض *الأقل* تعقيدًا التي تهددنا وتطارد وجودنا. سوف ننتصر في الحرب لأننا أفضل - أو هذا ما نعتقده. لكن الحقيقة هي أن بقائنا لم يكن يوما مضمونًا على الإطلاق. بسبب مفاهيمنا الخاطئة حول التطور وإيكوفوبيتنا وشعورنا باستثنائيتنا، ننسى طوعا نقاط ضعفنا عندما تمرّ كل جائحة أو طاعون ونعتقد أننا انتصرنا. يحسن بنا أن نذعن للتحذير المشؤوم الذي يقدمه كامو بشأن الطاعون الذي لا يختفي أبدًا.

إنّ رفضنا التعامل مع مسبّبات الأمراض بوصفها شركاءنا الدائمين في العالم هو نتيجة جزئية لأخلاقياتنا النفعية وفهمنا لبقية العالم على أنّها سلع للاستخدام بدل كونهم شركاء. إنها نظرة عالمية أدّت إلى الخروج عن السيطرة. يتحوّز التنقل الأحيائي بوصفه أحد الآثار المترتبة على رأسمالية الشركات العالمية على جميع أنواع الاحتمالات الفريدة من نوعها في تاريخنا. في الواقع، يوضح

43 Andreas Hejnol, "Ladders, Trees, Complexity, and Other Metaphors in Evolutionary Thinking", *Arts of Living on a Damaged Planet, (*ed.) Elaine Gan, Anna Tsing, Heather Swanson, and Nils Bubandt. Minneapolis, U of Minnesota P, 2017, G97.

44 *نفس المصدر*، G100.

45 نفس المصدر: إنّ هذا المثال يطرح إشكاليّة، لأنه في حين أن أسلحة مولد التدفق المغناطيسي هي نتيجة لتطور انتقل من البساطة إلى التعقيد، فإنّ التطور البيولوجي لا يجري بتلك الكيفية تماما.

شوكين أنه «نظرًا لأن العولمة توفّر عن غير قصد الظروف التي تسمح للمرض بالسفر بسرعة ولأنّ أيّ وباء مستقبلي سيكون بكل المقاييس حيواني المنشأ (حيواني)، يظهر خط الأنواع بوصفه خطّ ضغط مادي بارز في الثقافة الليبرالية الجديدة".[46] تعتبر هذه الكلمات المكتوبة في سنة 2009 مؤرقة اليوم. وتوضّح شوكين أيضًا أن «الخطاب الوبائي يتكهن بقدوم حدث يهدد بالتعجيل بانهيار الاقتصاد العالمي وحساب عسير مع الجوهريّة»[47] وأن «التبادلات بين الأنواع التي كانت ذات يوم محلية أو "خاصة بمكان ما" ستكون عالميّة في آثارها المحتملة».[48] تحن نجري حاليًا تلك الحسابات الصعبة ونجد أن التأثيرات العالمية لجائحة كوفيد-19 أكبر ممّا يمكن تصوّرها. كما تطارد الأوبئة والأمراض خطواتنا فإنّ الإشكاليات التمثيلية التي تقدّمها تلاحقنا بينما يمكن للحلول أن تجعل الأمور أسوأ في الواقع.

هناك بعض التداعيات البغيضة للغاية للطريقة التي نتخيل بها «التغلب» على «العدو» الوبائي. أحد هذه الأمور له علاقة بالاستعارات العنيفة للسيطرة. فيما يتعلّق آخر بأعمال السيطرة العنيفة. كلاهما يتطلب الاهتمام.

الأوبئة والطّواعين تتحدى السيطرة أو القدرة على التنبؤ وهذا ما يجعلها مخيفة وعاجلة. هناك أمراض أخرى مميتة للغاية: السرطان وأمراض القلب، على سبيل المثال، لكنها لا تثير الإحساس بالاستعجالية التي تسببه جائحة كوفيد-19. من بين الأسباب التي أدت إلى ذلك هي حداثة جائحة كوفيد-19، ومن المفارقات أنّ كلاهما يولد إحساسًا عميقًا بعدم القدرة على التنبؤ أكثر من السرطان أو أمراض القلب بينما يثير أيضًا شعورًا بأنه يمكن «التغلّب عليه» بينما أثبت كل من السرطان وأمراض القلب أنّها لا تهزم باستمرار. ينتج عن وباء كوفيد-19 ردود فعل انعكاسية مثله مثل الإرهاب . تشبه الأوبئة الهجمات الإرهابية والتغيير المناخي بشكل مماثل في حقيقة الأمر (لذلك نتخيل) بأنّها تحاصرنا وتدعونا إلى النّزال ممّا يستدعي ردودًا نارية ممزوجة بالاستعارات العسكرية التي تقطر فحولة. وتشير شوكين إلى «أوجه الشّبه المرعبة بين خطاب التأهب للجائحة والخطاب الإمبراطوري وآلية الحرب ضد الإرهاب»،[49] وتلاحظ بصراحة أن «الخطاب الوبائي يعدّنا. . . إلى حرب إمبريالية جديدة ضد الطبيعة «(المرجع نفسه). لكن أوجه التشابه لا تتوقف عند هذا الحد. في الواقع، لطالما رافق كلّ من الحرب والمرض الإنسانية منذ زمن سحيق ومع ذلك لا زال حدوثهما

46 Shukin, 2009, p.184.

47 *نفس المصدر* ص581

48 *نفس المصدر* ص381

49 *نفس المصدر* ص912

أمرا مفاجئا. وهذا هو أحد الموضوعات الرئيسية لكامو في *الطاعون*. على الرغم من تاريخنا الطويل مع الأوبئة والطواعين، كما هو الحال مع الحروب والاضطرابات الاجتماعية، فإننا لا نكون مستعدين لها حقًا عندما تأتي: «إن الطاعون شائع جدًا في الواقع، لكننا نجد صعوبة في تصديق الطّاعون عندما يسلّط على رقابنا. كانت هناك العديد من الأوبئة في العالم بقدر ما كانت هناك حروب، ومع ذلك فإنك دائمًا ما تجد الناس غير مستعدين للأوبئة والحروب بنفس القدر» (كامو 30).[50] علاوة على ذلك، تقدم الأوبئة مثل الحرب فرصة لتخيّل عدوّ شيطاني وهي فرصة نغتنمها دائمًا. غالبًا ما تكون شيطنة الناس عنصرية فيما تكون شيطنة البيئة إيكوفوبيا. إنّ الأوبئة تشجع على الإيكوفوبيا.

يوجد تأثير آخر في الاستعارة حول ضرب العدو وهو مادي أكثر بكثير من كونه مجازيًا. لقد سمعنا جميعًا عن الذبح بالجملة للدجاج والخنازير والأبقار والذي وصف بشكل ملطّف بأنه مجرّد "إعدام." تعتبر اللامبالاة الأخلاقية هنا (بحكم التعريف، الإيكوفوبيا) بحياة الحيوانات مزعجة ومدمرة على المدى الطويل. ستطلب منا الحياة بعد كوفيد-19 إعادة النظر في سلوكيات إنكار الطبيعة التي تمدّ لنا الآن يد المساعدة. أحد الدروس التي يعلمنا إياها كوفيد-19 هو أن الإيكوفوبيا في وقت ومكان ما تعني البقاء على قيد الحياة في زمن ومكان آخر. لا بدّ من تحديد السّياق. لا تعتبر استجابات البقاء على قيد الحياة إيكوفوبيا (تعليق أشرت إليه سابقًا) لكن يجدر بنا أن نذكّر بأنّ استجابة البقاء على قيد الحياة يمكن أن تكون إيكوفوبيا خالصة في سياق آخر. بعد جولة جبليّة في أحد أيام الصيف الحارة، سأغمر رأسي بالكامل في المياه الجليدية للين فالي ستريم في شمال فانكوفر ثمّ أفتح فمي وأشرب إلى أن يتجمّد دماغي. لا أعتقد أنني سأقدم على مثل هذا الشيء في نهر هان في سيول أو نهر تامشوي في تايبيه أو نهر الغانج الذي يمر عبر الهند وبنغلاديش. مع ذلك، عندما تصبح استجابة البقاء على قيد الحياة في هان أو تامشوي أو نهر الغانج خوفًا من كلّ المياه المتدفقة في العالم، فإننا نعاني من الإيكوفوبيا. الإيكوفوبيا هي غريزة البقاء التي جنّ جنونها. من السهل أن نرى كيف يمكن لهذا أن يحدث ونحن محاطون بالتهديدات. الحقيقة أننا منغمسون في الجراثيم والفيروسات والبكتيريا والحشرات. في حين أنه ربما يكون صحيحًا أننا «لا نستطيع المبالغة في تقدير الشر الذي يفعله الذباب»، كما يشرح فيليب روث في رواية *العدوّ التي* تتحدّث عن شلل الأطفال[51] إذ لا يمكننا أن نمضي حياتنا في الخوف من كل حشرة تأتي في طريقنا ومن كلّ سطح قذر نلمسه وكل رائحة ليست طبيعيّة.

50 Camus, 2013, p.30.

51 Philip Roth, *Nemesis,* Vintage, Toronto, 2010, p.92.

ومع ذلك، فإنّ الجملة السابقة تبدو مخادعة بعض الشيء بوصفها بيانا عامّا على الأقل. من البديهيّ أنّ ردود أفعال السكان تجاه البيئة تختلف بين المدينة والأرياف. إذا ما وجدت حشرة في منزلي في فانكوفر فقد أتساءل كيف وصلت إلى الدّاخل قبل إعادتها للخارج. أما إذا وجدت حشرة أخرى في شقتي العلوية في سيول، فإنّ أوّل ما أفكرّ به هو أنها قد تكون قد شيّدت عشّا في مكان ما. لا بدّ من تحديد السّياق. الحشرات ليست متشابهة في مومباي وفي ساسكاتون. فكلّما اختلفت المدينة اختلف مناخها وثقافتها واستجاباتها. وهنا نعيد مجدّدا بأنّ حبّ البقاء على قيد الحياة في مكان ما يمكنه أن يكون إيكوفوبيا في مكان آخر.

هناك أيضًا عدد من الأشياء الأخرى التي تتشابك مع رد الفعل الإيكوفوبي تجاه جائحة كوفيد-19: التمييز على أساس الجنس والنزعة الفردية والعنصرية. لقد طالب المنتقدون والعلماء من غير ذوي النوايا الحسنة الذين يشعرون بالتهديد من فكرة الإيكوفوبيا مثالا عليها (عدم الحصول على مثال عليها يعني استبعاد الإيكوفوبيا كفرضيّة) - نعلم جميعًا تلك رغبة الجميع في الحصول على تعريف ملخّص للإيكوفوبيا في جملة أو جملتين. ربما يكون كافيا ما يلي:

توجد الحالة الإيكوفوبية على نطاق واسع ويمكنها أن نتجسّد في الخوف أو الازدراء أو اللامبالاة أو عدم اليقظة (أو مزيج من كلّ ما سبق) تجاه البيئة الطبيعية. في حين أن أصولها الجينية عملت جزئيًا على الحفاظ على جنسنا البشري (على سبيل المثال، الاستجابة المواجهة أو الهروب) فقد خدمت حالة الإيكوفوبيا أيضًا اقتصادات النمو والمصالح الأيديولوجية بشكل كبير. غالبًا ما تكون نتاجًا لسلوكيّات صالحة للاستخدام في الماضي في حين أنّها مدمّرة في الوقت الحاضر كما تكون أحيانا نتيجة المتطلبات المتصورة لنمونا الهائل على ما يبدو. . . . تنتشر الإيكوفوبيا عالميًا على المستويين الكلي والجزئي وتكون واضحة وجليّة في بعض الأحيان ولكنها غالبًا ما تكون محجوبة بشدّة بسبب فوضى العادة والجهل. (إيستوك - فرضيّة الإيكوفوبيا، 1)[52]

إنه تعريف عمليّ إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أهميّة تحديد السّياق.

كانت استجابات كوفيد-19 مثل استجابات الإيكوفوبيا بعيدة كل البعد عن التنسيق والتنظيم على مستوى العالم ولكنّ كبت ردّ الفعل الإيكوفوبي لم يكن ممكنا. على الصعيد العالمي، يتم الترويج للخطاب الوبائي على أنه شكل من أشكال الترفيه بما أنّه موضوع يمكننا التعامل معه إذ يعتبر مليئا بالأمور المهدّدة والمطاردة التي تتطلب استجابة. يغطي الخطاب الوبائي أمورًا لا نرغب في التفكير فيها كثيرًا حقًّا مثل تشابكاتنا المادية مع الحيوانات أو المادية الجينية أو الماضي. إنّ

52 Simon Estok, *The Ecophobia Hypothesis,* Routledge, New York, 2018, p.1.

شبح فقدان الذاكرة يخيّم البشرية على نطاق واسع. من قرن إلى آخر، يلعب فقدان الذاكرة دوره الكامل واليوم يبدو أننا نسينا كل ما حدث في عام 1918 مع الكمّامات والحجر الصحي والفردانية والرعاية الاجتماعية والإرهاق الوبائي وما إلى ذلك. من المؤكد أنني لم أدرّس في المدرسة عن إنفلونزا عام 1918 على الرغم من أنها عادت إلى التاريخ مع الوباء الحالي. أين كانت حتى الآن؟ أين؟ لقد كانت منسيّة.

لقد نسينا أشياء أخرى أيضًا. في نفس اللحظة التي يعلن فيها عن أزمات بيئية، يُسكت كوفيد-19 كلّ نقاش حول الأزمات البيئية التي أدّت إلى ظهوره. لقد كانت التغطية الإعلامية لتغير المناخ (إلى حدود الدورة السادسة والعشرين لمؤتمر الأطراف COP26) شبه غائبة. لاحظت سي إن إن CNN في إحدى المرّات كيف تفوّقت تغطية أحداث 11 سبتمبر على تغير المناخ في نشرات الأخبار: «بعد الحادي عشر من سبتمبر، تحول انتباه العالم إلى مكافحة الإرهاب الدولي. واحتلت قضايا المناخ المراتب الأخيرة. في حين استمرت انبعاثات غازات الاحتباس الحراري في الارتفاع طوال الوقت» (ديوان وآخرون، مقطع فيديو). ها نحن نشهد نفس الشيء مع كوفيد-19، قبل COP26 على الأقل، مع تحول معظم انتباه العالم إلى مكافحة الفيروس بينما تراجع الاهتمام بالقضايا البيئية. لقد تحدّث الكثير من النّاس عن سمائنا الصافية وكيف انخفضت انبعاثات الاحتباس الحراري أثناء الوباء، لكن ذلك لن يحدث فرقًا كبيرًا: تقول عالمة المناخ الكندية الشهيرة كاثرين هايهو: «فكّر في الأمر بهذه الطريقة». "لقد شرعنا في وضع لبنة على كومة من الطّوب كل شهر منذ بداية الثورة الصناعية. في العام الماضي، وضعنا 20 في المائة من الطوب الأصغر حجمًا على تلك الكومة التي تحتوي بالفعل على آلاف وآلاف من الطوب. تلك الـ 12 أو 24 قطعة من الطوب الأصغر حجمًا لن تحدث فرقًا كبيرًا» (الإنجليزية). تقول كورين لو كيري، أحدى مؤلفي دراسة في مجلة*نايتشر Nature* العام الماضي:»حتى مع انخفاض بنسبة سبعة في المائة، فإن الانبعاثات لعام 2020 ستكون تقريبًا مماثلة لانبعاثات عام 2011» (المرجع نفسه).[53] من الجليّ أننا بحاجة إلى توخي الحذر عند التّعامل مع الأخبار المتعلّقة بمدى روعة عمليات الإغلاق بالنّسبة للبيئة.

ومع ذلك، فقد أظهر لنا كوفيد-19 أنه بإمكاننا إجراء تغييرات فورية وأنه يمكننا إغلاق صنابير الوقود الأحفوري بين عشية وضحاها تقريبًا وأننا في الحقيقة نماطل من أجل منع المشاكل المالية فقط. تبدو العواقب المالية قصيرة المدى (لأنها فورية للغاية) أكثر إثارة للرّعب من العواقب البيئية طويلة المدى. الوعي التام. الاحتراس. ربما نحتاج فقط إلى التغاضي عن الأمر وتحمل

53 *نفس المصدر.*

الألم الآن. تكمن المشكلة في أن الطابع الغالب على كيفية رؤيتنا للعالم يتم الوساطة فيه من خلال أصوات أخرى وسرديّات تخدم المصالح التي يحتمل ألّا تكون في مصلحة الكوكب. ودعونا لا نخطئ في الأمر: نحن كائنات ساذجة للغاية. نعم نحن ساذجون لأنّنا نصدّق كلّ ما نجده على الإنترنت أو ما يذكر في نشرات الأخبار وحتى «الحقائق البديلة». هل من الصعب أن ننسى السيد ترامب ومستشاره الكاذب الدنيء الذي قال أن الأكاذيب هي «حقائق بديلة»؟ أمّا المزاعم الملفقة حول الفضائل البيئية للوسائط الرقمية فهي تستحقّ منّا الاحتراس والحذر أيضًا. بطبيعة الحال اجتماعات تطبق زوم Zoom هي أفضل بكثير من الطّيران بين المدن والدّول، ولكن ماذا عن التخزين السحابي؟ في حين أنه من الأفضل توخي الحذر والاحتراس في التّعامل مع الأخبار، فإن المشكلة تكمن في أن الأخبار هي مصدر المعلومات الوحيدة التي يمتلكه معظمنا لأننا لسنا كلّنا باحثين في مجال الانبعاثات في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. نحتاج حقًّا إلى أن نكون واعين وعيا كاملا بما نستهلكه - لا أعني الطعام فحسب بل الرّوايات والسّرديّات أيضا.

فغالبًا ما تكون الطريقة التي نعرف بها ما يجب علينا ألا نخافه هي نتاج الروايات والسّرديّات التي نستهلكها. من الواضح أنّ أسلوب سرد وسائل الإعلام للمادة أمر مهم لأنها تحدد كلاً من الملامح المتخيلة والمسارات المحتملة التي يمكن أن تتخذها الإيكوفوبيا والفيروسات على حدّ السّواء. غالبًا ما يعمل الإعلام البيئي بوصفه باثّا للإيكوفوبيّا من خلال اندماجه مع السلوكيات الأخرى التي تغضّ النّظر عن الحقوق وتنكرها. ويعتبر التداخل بين الإعلام البيئي والأيديولوجيات التي لها سجل مثبت من قابلية التسويق والاستهلاك إشكالية فعليّة. نحن نعلم على سبيل المثال أنّ التمييز على أساس الجنس يباع جيدًا ويروّج لكلّ كل ما يرتبط به، ومن ثمة انتشرت عبارة «الطبيعة الأم» حتى في المصادر التي من الجليّ أنها تحاول معالجة المشكلة (وإن كانت تكررها وتعززها) . يتميّز أغلب أشكال الخطاب الوبائي بطابع سينمائي ويمكن لمعظمها أن تكون مواد سينمائية لأفلام الخيال العلمي (*I am Legend ,World War Z ,28 Days Later* وما إلى ذلك) ويجب على المرء أن يتساءل عن مدى فعالية هذا النّوع من الترفيه في تحريك العقول والقلوب . وتنغمس الأخبار مثل الترفيه في نفس الأشياء التي تبدو أنها تنتقدها. لقد كتبت هذا من قبل ولكني أود أن أكرّره هنا أن الاستعارات المجسمة القائمة على التمييز بين الأجناس والإيكوفوبية ذات الطبيعة الحاقدة تؤدي إلى نتائج عكسية لن تساعد ببساطة في تحسين أزماتنا البيئية. على العكس من ذلك، فإن مثل هذه المشاعر (على الرغم من أنها قد تروّج بشكل جيد) تعمل ببساطة على إدامة فكرة وجوب السيطرة على الطبيعة (والنساء). هذا هو النوع ذاته من الإيكوفوبيا

المتحيّزة جنسيًا الذي أنتج أمثال المشاكل التي نواجهها حاليًا. لكن يروّج لها بشكل جيد وهناك تقبل لتأييد المواقف التي تحرم الآخرين من الحرية. في نهاية المطاف، فقد سمحت هذه المواقف ذاتها لمالكي العبيد وكارهي المرأة المستعمرين (مؤسسو الولايات المتحدة) بالازدهار. من المثير للدهشة أن الفيلم الأكثر نجاحًا تجاريًا عن النّباتيّة حتى الآن هو فيلم شوارزنيجر وآخرون بعنوان *The Game Changers* وهو مثال صادم لعالم ما بعد الحقيقة وعالم الواقع البديل. إنه فيلم لمنصّة Netflix يقف وراءه مجموعة من المجانين (مارتن سكورسيزي وجيمس كاميرون وأرنولد شوارزنيجر وجاكي شان، ومجموعة من الرياضيين المحترفين والممثلين والمخرجين المشهورين والأطباء) الذين يزعمون أنهم اكتشفوا الطبيعة النباتية على أنها نظام غذائي صحي «جديد». لكن هذا مجرد خداع. كانت النسويات الإيكولوجيات قد بدأن الترويج لذلك قبل وقت طويل من ظهور هؤلاء الرجال على مسرح الأحداث. تكمن المشكلة في أن الأشخاص العاديين يبتلعون هذا الهراء معتقدين أنه حقيقي تمامًا كما يفعلون مع الأكاذيب حول كوفيد-19.

يبدو أن وسائل الإعلام السائدة تستمتع بالتظاهر بأن تنبؤ ما حدث وتصوّره وتجنّبه لم يكن متاحا. "غير قابل للتصوّر." هذه هي الكلمة التي استخدمها نيك روبرتسون من سي إن إن CNN لوصف شوارع لندن في 23 مارس 2020 بعد أمر «البقاء في المنزل» الذي أصدره رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون. لكنّ ذلك قد تمّ تصوّر من قبل. صور داني بويل عام 2002 فيلم رعب يصوّر لندن بعد نهاية العالم *28 Days Later* يتضمّن مشاهد لشوارع مقفرة وطرق عامة في لندن أحدها ميدان بيكاديللي وهو بالضبط المكان الذي كان نيك روبرتسون يتفحصه عندما قال إن صور الدّمار عصيّة عن التّصوّر. هل ذكرت أننا كائنات ساذجة؟ القول بأنه لا يمكن تصوره يدلّ على انعدام النّزاهة ببساطة كما هو الحال بالنسبة إلى إهمال أكل اللحوم بسبب لهذا الخراب فهو سلوك كاذب. ستحدد كيفيّة استهلاكنا السّرديّات (والطعام) تصرفاتنا وكيف يمكننا أن نتصرّف في العالم.

يعدّ الإعلام البيئي موضوعًا ضخمًا ومتزايدًا ولا ينبغي التقليل من أهميته دورها في كيفية إنشاء رد الفعل الإيكولوجي. يجد العديد من الناس الخطاب العلمي مملًا تمامًا و لوصول مثل هذا الخطاب إلى العامّة، يحتاج الوساطة أي أن يتم تنفيذه من خلال وسائل الإعلام الرئيسية وإحدى الطرق التي تجعل بها وسائل الإعلام المواد أيسر وصولا هي استخدام الاستعارات المقبولة والمفهومة من قبل العامّة التي تعتمد على التمييز على أساس الجنس والإيكوفوبيا. كما تظهر سرديّات التفشي ونهاية العالم في الأفلام في وسائل الإعلام المطبوعة (الكتب والمجلات والصحف) وفي الأوراق الأكاديمية ومناقشات العلوم الإنسانية والعلوم الصّعبة وعلى شاشة التلفزيون وفي

ألعاب الفيديو وفي الموسيقى وعبر الهواتف المحمولة ومختلف أنواع البرمجيّات وفي وسائل التواصل الاجتماعي وعبر الإنترنت. باختصار، ما نشهده هو نهاية العالم الوسيطة متعدّدة الوسائط فيما يكون لكلّ وسيلة مختلفة تأثيرها الخاصّ. يعني المضي قدمًا فهم أنه لا يوجد أيّ نموذج مضمون وأن الوسيط والسياق ضروريان لفهم كيفية تأثير رد الفعل الإيكوفوبي. هناك شيء واحد مؤكد وهو أنّ له تأثير وهذا التأثير ذو طابع عالمي. كيف؟ أما هذا الأمر فلا يدخل في حيّز العالميّة.

أثناء كتابتي لهذا الكتاب، أصيب ما يقرب من 600 مليون بفيروس كوفيد-19وتوفي 6.4 مليون جراء هذه الإصابة. إن رؤية آثار حجم الاستجابات لـجائحة كوفيد-19: المطارات الفارغة ومضيّفي ومضيفات الطّيران بملابس التعامل مع المواد الخطرة والملاعب الفارغة وساحات المدارس المخيفة والإفلاس وقرب الاضطرابات الاجتماعية والفوضى تجعل المرء يشعر بالذّعر والذّهول في آن. من السهل أن ننظر إلى الوراء ونقول "أوه، كان علينا التّصرّف بصورة أفضل." يملي علينا كوفيد-19 أن ننظر إلى سلوكياتنا *خلال الرحلة*، في قلب الحكاية كما هي من أجل التأمّل في سلوكياتنا ونحن نقوم بها وأن نكون منتبهين إلى ردود الفعل الإيكوفوبية كما تتشكّل لأن سقف رهاناتنا عال بما أنّه لم يتبقّ لدينا ما يكفي من الوقت من أجل المرور إلى «الخطة ب» بعد الآن. إنّ رؤية ردود الفعل المعادية الإيكوفوبية تجاه جائحة كوفيد-19 آملين في تغيير بعض سلوكياتنا أو على الأقل أن نكون مدركين لتأثيراتها هو حقًا أفضل أمل لنا في مستقبل أحسن من المستقبل الذي تمضي إليه مسيرتنا الحالية.

## المراجع

Camus, Albert. *The Plague*. Trans. Robin Buss, with an Afterword by Tony Judt. Penguin ,2013.

Dawkins, Richard. *The Selfish Gene* ,40*th Anniversary Edition*. Oxford ,2016.

Dewan, Angela, Ivana Kottasová, Amy Cassidy, and Ingrid Formanek. "Reality check: Here's what the COP26 deals actually mean for our future climate". *CNN*. November 7, 2021. https://edition.cnn.com/2021/11/07/world/cop26-climate-agreements-reality-check-intl/index.html

Diamond, Jared. *Guns, Germs, and Steel: the Fate of Human Societies*. New York: Norton ,1997.

English, Jill. "Why your reduced carbon footprint from lockdown won't slow climate change ".*CBC News*. May 23, 2020. https://www.cbc.ca/news/science/pandemic-climate-change-covid-emissions-1.5579232

Estok, Simon C. *The Ecophobia Hypothesis*. New York: Routledge ,2018.

Estok, Simon C. "Ecophobia, the Agony of Water, and Misogyny ".*ISLE: Interdisciplinary Studies in Literature and Environment* ,vol. 26, no. 2, Spring 2019, pp. 473-85.

Estok, Simon C. "Ecophobia and Covid-19 ".*International Journal of Fear Studies* ,vol. 3, no. 2, 2021, pp. 90–99.

Estok, Simon C. "Merchandizing veganism ".*The Routledge Handbook of Vegan Studies* ,edited by Laura Wright. New York: Routledge ,2021 :333–342.

Estok, Simon C. "The Global Poltergeist: Covid-19 Hauntings ".*Haunted Nature: Entanglements of the Human and the Nonhuman* ,edited by Sladja Blazan. New York: Palgrave Macmillan ,2021 :195-181.

Estok, Simon C. "Painful Material Realities, Tragedy, Ecophobia ".*Material Ecocriticism* ,edited by Serpil Opperman and Serenella Iovino. Bloomington: Indiana UP ,2014 :130-40.

Fromm, Erich. *The Anatomy of Human Destructiveness*. Toronto: Holt, Rinehart, and Winston ,1973.

Hejnol, Andreas. "Ladders, Trees, Complexity, and Other Metaphors in Evolutionary Thinking ".*Arts of Living on a Damaged Planet* ,edited by Elaine Gan, Anna Tsing, Heather Swanson, and Nils Bubandt. Minneapolis: U of Minnesota P, 2017: G87-G102.

Hoffmann, Richard C. *An Environmental History of Medieval Europe*. Cambridge: Cambridge UP ,2014.

Cambridge UP, 2014. "Noticing microbial worlds: the postmodern synthesis in biology ".*Arts of Living on a Damaged Planet* ,edited by Elaine Gan, Anna Tsing, Heather Swanson, and Nils Bubandt. Minneapolis: U of Minnesota P, 2017: M51–M69(.

Mukherjee, Siddhartha. *The Gene: An Intimate History*. New York: Scribner, 2017.

Murakami, Haruki. 1Q84*: a novel*. New York: Alfred Knopf ,2011.

Normandin, Shawn. Chaucerian Ecopoetics: Deconstructing Anthropocentrism in the Canterbury Tales. Palgrave Macmillan ,2018:

*Outbreak*. Directed by Wolfgang Petersen, Warner Bros ,1995.

Pollan, Michael. *Cooked: a Natural History of Transformation*. New York: Penguin ,2013.

Pollan, Michael. "An Animal's Place ".*New York Times Magazine*. November 10, 2002. https://michaelpollan.com/articles-archive/an-animals-place/

Roth, Philip. *Nemesis*. Toronto: Vintage ,2010.

Shukin, Nicole. *Animal Capital: Rendering Life in Biopolitical Terms*. Minneapolis: U of Minnesota P ,2009:

Sontag, Susan. *AIDS and Its Metaphors*. New York: Farrar, Straus and Giroux, 1989.

Stuart, Tristram. *The Bloodless Revolution: A Cultural History of Vegetarianism from* 1600 *to the Present*. New York: Norton ,2006.

Thomas, Keith. *Man and the Natural World: Changing Attitudes in England,* 1500–1800. New York: Allen Lane ,1983.

Wald, Priscilla. *Contagious: Cultures, Carriers, and T\the Outbreak Narrative*. Durham: Duke UP ,2008.

Wang, Yan, and Kaspar, Lloyd H. "The role of the microbiome in central nervous system disorders ".*Brain, Behavior, and Immunity* ,vol. 38, May 2014, pp. 1–12. https://doi.org/10.1016/j.bbi.2013.12.015

Wilson, Edward O. "Biophilia and the Conservation Ethic ".*The Biophilia Hypothesis* ,edited by Stephen R. Kellert and Edward O. Wilson. Washington, DC: Island Press ,1993 :32–41.

Wilson, Edward O. *On Human Nature*. Cambridge: Harvard UP ,1978.

Yong, Ed. I Contain Multitudes: the Microbes Within us and a Grander View of Life. New York: Harper Collins 2016,

# حدود النمو الاقتصادي في ظل القحط والندرة والتبرير المالثي

جيورجوس كاليس

## المقدّمة: مالتوس وطبيعيّة التوسّع اللّامحدود

*زعم مالتوس في نص مقالة حول مبدأ السكان أن النموّ السّكان من شأنه أن يقلّل في النّهاية من قدرة العالم على توفير الغذاء لسكّانه. واستند في استنتاجه إلى النظرية القائلة بأن السكان يميلون إلى التّكاثر بسرعة تفوق بكثير الإنتاج الغذائي. لم تتحقق توقعاته لأنه فشل في التنبؤ بالثورات الزراعية والصناعية التي من شأنها زيادة المحاصيل بشكل كبير وتمكين كميات أكبر من الناس من الحصول على الغذاء. ومع ذلك، تشير قضايا مثل النمو السكاني المستمر وزيادة الاستهلاك الفردي واستنفاد الموارد الطبيعية وتغيّر المناخ في أيّامنا هذه إلى أن مالتوس ربما كان على المسار الصحيح في نهاية المطاف.*

"لماذا لا يزال فكر مالتوس ذا أهمّية إلى اليوم"، لمنظّمة Population Matters لسنة (2016)[1]

وتشغل شخصيّة مالتوس حيّزا كبيرا من أيّ نقاش يتمحور حول حدود النمو علاوة عن الاستدامة ومستقبل الجنس البشري. كان الكاهن توماس مالتوس (1766-1834) رجل وعالم دين إنجليزيًا اشتهر بمقالته المؤثرة حول مبدأ السكان (الطبعة الأولى لسنة 1798).[2] قد يختلف الأصدقاء والأعداء على حدّ السّواء حول صحّة تنبؤاته أو خطئها المفترض بشأن النّمو السكاني في النهاية ولكنّهم يتفقون جميعا بشأن ما قاله مالتوس فضلا عن مكانته في التاريخ الفكري. يعتبر مالتوس الرسول المفترض لحدود النمو أو نبيّ الكارثة الذي وضع علامة استفهام على الوعد المتمثّل في تحقيق تقدم غير محدود.

---

1 ليست الاقتباسات دائما تأييدات بل هي حجج أتفاعل معها أو أنتقدها في القسم الموالي.

2 Thomas Malthus, An Essay on the Principle of Population, As It Affects the Future Improvement of Society with Remarks on the Speculations of Mr. Godwin, M. Condorcet and Other Writers, printed for J. Johnson, in St Paul's Church-yard, St. Paul's Church-yard, London, 1798.

في هذا الفصل، أتبع خطى ديل (2012) مقدما على صياغة قراءة بديلة لمالتوس.[3] وهنا أنا أزعم بأن مساهمة مالتوس الفكرية الطويلة الأمد لا تكمن في اكتشاف الحدود الطبيعية بل افتراض التوسع اللامحدود كحالة طبيعية ومرغوبة للشؤون الإنسانية وإن لم يكن من الممكن تحقيقها دائمًا. في الواقع، لم يكن مالتوس رسولًا للحدود بل كان رسولًا للنمو ومساهمًا مبكرًا في أيديولوجية "نموذج النمو" (ديل، 2012)[4] وهي الفكرة القائلة بأن التوسيع اللامحدود لنطاق وسائل الإنتاج لهو أمر مرغوب فيه بما أنّه يشكّل النداء الطبيعي للإنسانية. لم يكن مالتوس نبيًا للكارثة والهلاك إذ لم «يتنبأ» بأي شيء ولم يكن أيضا قلقا بشأن نقص الموارد أو الزيادة السكانية (إيلوال،2001).[5] قبل اكتشاف الاقتصاد الحديث، أنشأ قانونًا طبيعيًا للندرة الشاملة (زينوس، 1989)[6] واستخدمه مثل الاقتصاديين الآخرين الذين تلوه من أجل لإضفاء الشرعية على اللامساواة والتطبيع معها والسعي الدؤوب للنمو.

استهللت هذا الفصل مقترحا قراءة مالتوس بصفته منظّرا اجتماعيا لا على اعتباره مالتوس كما يراه مناصرو النظريّة المالتوسية ومنتقديهم (إيلوال، 2001)[7] كما أبيّن بأنّ النموّ السّكاني لم يكن يمثّل لدى مالتوس مشكلا بل هدفا إذ يعتبر مالتوس أن الأمّة السّعيدة هي تلك التي تتزايد أعداد سكّانها بأكبر قدر ممكن. وعلى إثر ذلك، قمت بتحليل البنية التشريحية لأطروحة مالتوس في مقاله حول السكان وإظهار الكيفيّة التي يخلق بها افتراض حالة طبيعية مرغوبة للنمو السكاني ندرة عالمية تناهض إعادة التوزيع. مالتوس هو خبير اقتصادي نموذجي وأحد المخترعين الأوائل لمفهوم الندرة (زينوس، 1989)[8] ومدافع عن التراكم اللانهائي (ديل، 2012).[9]

إنّ اهتمامي بمالتوس ليس اهتماما تأريخيًا. لا يعتبر الهدف الأساسيّ هنا في "تصحيح" قراءة من بين القراءات الأكاديميّة لمجمل أعماله ومراجعة تاريخ الأفكار. أنا مهتمّ بمالتوس بحكم الأسلوب التي أطّر به الحدود والنّدرة التي لا زالت تلازمنا إلى الآن. إنّ فهم ما قام به فضلا عن

3 Gareth Dale, "Adam Smith's Green Thumb and Malthus's Three Horsemen: Cautionary Tales from Classical Political Economy", *Journal of Economic Issues,* Vol. 46, No. 4, 2012.

4 *نفس المصدر.*

5 Frank W. Elwell, *A Commentary on Malthus'* 1798 *Essay on Population as Social Theory,* Edwin Mellen Press, New York, 2001.

Malthus' Social Theory, Retrieved May 12, 2016, http://www.faculty.rsu.edu/~felwell/Theorists/Malthus/Index.htm (excerpt from Elwell, F. W. 2001.)

6 Nicholas Xenos, *Scarcity and Modernity*, Routledge, 1989.

7 Elwell, 2001.

8 Xenos, 1989.

9 Dale, 2012.

مسبّباته يفتح المجال أمامنا لكي نستوعب كيف ولماذا تتصوّر الرأسمالية الحدود وتنتجها بهذه الصّورة. وعلى خطى ديل (2012)،[10] أبيّن كيف عملت الاقتصاديات النيوكلاسيكية على تحسين نظرية النّدرة المالتوسية وجعلتها حجر أساس الاختصاص ليتم استغلالها دائما للحدّ من إعادة التوزيع والوقوف أمام تحقيق المساواة.

وفي هذا الصّدد، من الضّروريّ أن نعيد النّظر في سؤال لماذا كان مالتوس مخطئا. أرى بأنّ مالتوس لم يكن مخطئا لأنّه لم يتنبّأ النموّ الزّراعي والصّناعي. لقد أخطأ لأنّه رفض رؤية إمكانيّة وضع الجماعات والمجتمعات حدود لأنفسها. لقد رفض رؤية ذلك ولكنّه إن رآه فإنّه لم يكن قد قبل بإمكانية وجود مجتمعي غير طبقيّ. ومع ذلك وعلى عكس نية مالتوس، يمكن لعناصر من عمله أن تصاغ وقد تم إعادة صياغتها فعلا في شكل سياسات مختلفة تمامًا عن الأفكار التي كانت تدور في خلده. ومن المفارقات التي سأطرحها هنا هو أنّ مالتوس يقدّم ذخيرة تحليلية لفائدة أولئك الذين يريدون التشكيك في وعد الرأسمالية بالتقدم والرّقيّ وسعيها إلى التّوسع بلا هوادة فضلا عن وضعه لأساس يمكّن من إعادة التفكير في الحدود بوصفها ممارسات ثورية.

**إعادة لقراءة مالتوس**

*لقد دفن مالتوس عديد المرّات وكذلك دفنت معه الندرة المالتوسية. ولكن كما لاحظ غاريت هاردين، فإنّ أي شخص ينبغي إعادة دفنه لا يمكن أن يكون قد غادر الحياة بشكل كامل في كثير من الأحيان.* (دالي، 43 ،1991).[11]

إنّ مالتوس حيّ تماما بيننا، ولكن هذا الأمر لا يعتبر دليلًا على صحة وجهات نظره حول السكان والندرة، كما يعتقد كلّ من دالي أو هاردين. وهذا يعتبر شهادة على تأثيره على التطور اللاحق الذي شهده الاقتصاد وعرفته الحكومات الليبرالية على حدّ السواء (دين، 2015).[12] إن كان سطوا فكريّا من كتاب بوركه (1795)[13] أم لم يكن كذلك (انظر بيرلمان، 1979)،[14] فإنّ مقال مالتوس قد لاقى نجاحًا فوريًا هائلاً ولهذا فلا يمكن الاستخفاف بتأثيره الدائم (المرجع نفسه).[15]

10 Dale, 2012.

11 Herman E. Daly, *Steady-State Economics: With New Essays,* Island Press, 1991, p.43.

12 Mitchell Dean, "The Malthus Effect: Population and the Liberal Government of Life", *Economy and Society*, vol. 44, no. 1, 2015, p.22.

13 Edmund Burke, *Thoughts and Details on Scarcity (*1795*),* The Works*,* London, 1826, p.7.

14 Paul R. Ehrlich, L. Bilderback and A.H. Ehrlich, *The Golden Door: International Migration Mexico and the United States*, Ballantine Books, New York, 1979, p.40.

15 نفس المصدر.

من الصعب قراءة مالتوس بتجرّد وتجاهل العواقب السياسية للمقال. لم يقتصر الأمر على تأثره بالرأي العام ضد «قوانين الفقراء»، وهو نظام رعاية أوّلي للتخفيف من وطأة الفقر في عصره. كان مالتوس أيضًا أوّل رئيس لقسم الاقتصاد السياسي في بريطانيا في كلية هايلبري التي أنشأتها شركة الهند الشرقية البريطانية بغرض تدريب المسؤولين الاستعماريين (دين، 2015).[16] كان «قانون السكان» الخاصّ به ورفضه للأعمال الخيرية وراء سياسات عدم التدخّل الغذائية التي اعتمدتها السلطات البريطانية في مستعمراتها ممّا ساهم في انتشار المجاعات المدمرة وحصد ملايين الوفيات التي كان من الممكن تجنبها في أيرلندا والهند (ديل، 2012 ،ديفيس، 2001).[17] ويعتقد كلّ من بيرلمان (1979)[18] ولومان (2005)[19] بأنّ النجاح الرّاسخ للمقال لا يعود إلى مزاياه بل إلى السّرديّة التي قدّمها لخدمة الطبقة الحاكمة ممّا أعفاها من مسؤوليتها الكبيرة بشأن مكافحة الفقر (نفس المصدر: هارفي، 1974).[20] سيكون من الخطإ اعتبار محتوى المقال على هذا الأساس مجرّد «هراء» (لوهمان، 2005).[21] بالطبع، تتميّز جميع تلك الأطروحات السياسية بالقفزات المنطقية فضلا عن استدلالها الدّائري (لوهمان، 2005)، لكن لا يمكن التقليل من شأن قوتها الجدلية والنظرية والسياسية إلا مخاطرة. تعامل ماركس مع مالتوس (كما هو الحال مع جميع خصومه الفكريين) بشغف ولكن أيضًا بصرامة في مواجهة الادعاءات الموضوعية والمنطقية فضلا عن نبرته التي كانت مروعة في بعض مؤلّفاته. وهنا تقودني روح الالتزام العدائية والعقلانية في الوقت ذاته.

يعتقد لوهمان (2005) بأن مالتوس يدمج ويكمّل في آن خطاب «الظلام والرعب» الذي يقابل «نحن» بـ «هم» (الغربيون ضد البرابرة والأغنياء مقابل الفقراء)[22] مضفيا عليه تفكيرا اقتصاديّا واقعيّا باردا. ولكنّي أشكّ فيما إذا كانت هذه السّرديّة القاتمة كانت تبدو مظلمة بذات القدر في رأي معاصريه أيضا إذ لم تكن الأمراض ووفيّات الأطفال والحروب تجارب غير مألوفة لقراء مالتوس في ذلك الوقت كما هو الحال اليوم بالنسبة للأوروبيين أو الأمريكيين الشماليين. في قراءتي، فإنّي أرى أنّ المنطق الاقتصادي العقلاني والبديهي (الزائف) هو الخيط النّاظم للمقال. وعلى سبيل

16 Dean, 2015, p.25.

17 Dale, 2012; Mike Davis, *Late Victorian Holocausts: El Niño Famines and the Making of the Third World,* Verso, London, 2002, p. 529.

18 Perelman, 1979.

19 Larry Lohmann, "Malthusianism and the Terror of Scarcity", *Making Threats: Biofears and Environmental Anxieties,* (eds). B. Hartmann, B. Subramaniam, and C. Zerner, Rowman&Littlefield, 2005.

20 Lohman, 2005.

21 Lohman, 2005.

22 Lohman, 2005.

المثال، فلم يكن رفض مالتوس لإغاثة الفقراء يستند إلى رؤى الفقر السّوداوية ولا إلى الازدراء الأخلاقي للفقراء (أيلوال، 2001).[23] كما يمكن لأيّ خبير اقتصادي جيد بعده أن يفعل (كذا)، فإنّ مالتوس يرفض دعم الرعاية الاجتماعية على أساس الخير الأعظم لأكبر عدد ممكن من الناس (أيلوال، 2001)[24] على افتراض إعادة التوزيع على الفقراء ستؤدي إلى إلحاق الضرر بهم أكثر من تقديم يد المساعدة إليهم.

إثر التطرّق إلى عالم الأنثروبولوجيا فرانك إلويل (2001)، أقترح لاحقا أخذ مالتوس على محمل الجد وقراءته بوصفه منظرا اجتماعيا. يعتبر إيلوال من بين المعجبين بمالتوس (وأنا لست كذلك) فهو مهتم بأولئك الذين ينطلقون من ردّ فعل سياسيّ إيجابي أو سلبي على عمله ومن ثمّة يسيئون قراءته أو تأويل أفكاره (أو لا يقرؤون له حتّى). كما يقول على نحو ملائم: «في حين أنّ هناك من يطلقون على أنفسهم صفة المؤيدين الجدد لمالتوس ومناهضين للمالتوسيين في الأدب الشعبي لهذا الوقت، فإن النقاش يميل إلى التركيز على الوضع البيئي الحديث بدلاً من الانكباب على نظرية مالتوس» (أيلوال، 3 ،2001).[25] عندما يتمّ تناول مالتوس بشكل مباشر، كما هو الحال في وثيقة Population Matters في الاقتباس الافتتاحي للقسم التمهيدي من هذا الفصل، فإن ذلك يميل إلى كونه متعلّقا بما يفترض أن يكون مالتوس قد كتبه لا بـ«*مبدأ السكان*" نفسه. كما اقترحت أغنيس هيلر (22 ،1976) الإشارة إلى ماركس (ولكن هذا الأمر ينطبق أيضا على مالتوس)، عندما قراءة مفكّر تاريخيّ لا يجب البدء من حجة معاصرة لنعثر بعدها على اقتباس من أعماله يدعم أو يتعارض معها بل علينا أن نعمل على تمييز «الاتجاه الرئيسي (أو الاتجاهات) التي ترسم ملامح فكره».[26]

إذن ما هو الاتجاه الرئيسي لفكر مالتوس؟ ما هو مركز الثقل في *مقال السّكان*؟

لم يكن مقال مالتوس "تنبؤًا" بتجاوز السكان وانهيارهم. لم يكن أيضا يتعلق «بالانفجار السّكاني» إذ لم يستخدم هذا المصطلح أبدًا! لم يكن الأمر أيضا يتعلق بشرح مفهوم الفقر على الأقل حتى وإن لم يكن ذلك في المقام الأول. لقد كانت مثل هذه الحجج عرضية وهامشيّة في جوهرها. كان المقال شديد الإصرار بشأن غايته ألا وهي "إثبات ضرورة وجود طبقة من المالكين وطبقة من العمال" (مالتوس، 92 ،1798).[27] إنّ الرّؤية التي "تتغلغل في المقال تتمثّل في أنّه

23 Elwell, 2001.
24 Elwell, 2001.
25 Elwell, 2001, p.3.
26 Agnes Heller, *The Theory of Need in Marx (No. 5),* Allison & Busby, London, 1976, p.22.
27 Malthus, 1798, p.92.

لا وجود لشكل من أشكال التنظّم الاجتماعي التي يمكنها أن تخلق وتحافظ على مجتمع عادل ومنصف (إيلوال، 2 ،2011).[28] ولإثبات الاستحالة الطبيعية (والمنطقية) لوجود مجتمع لا طبقي ولعبثية إعادة التوزيع، يقترح مالتوس قانونًا طبيعيًا أطلق عليه تسمية «مبدأ السكان». ببساطة، هذا ينص هذا المبدأ على أن «قدرتنا على إنجاب الأطفال ستفوق دائمًا قدرتنا على توفير الطاقة اللازمة من أجل بقائهم على قيد الحياة» (إيلوال، 1 ،2001).[29]

يرى مالتوس أنّ البشرية تقوم على حاجتين أساسيتين ألا وهي الغذاء والجنس. تؤدي إحداهما إلى إنتاج الغذاء فيما تمكّن الأخرى من إنجاب الأطفال. لكن قوة التكاثر «أكبر إلى ما لا نهاية» من قوة الإنتاج (مالتوس، 4 ،1798).[30] بناءً على هاتين الفكرتين القائلتين بأنّ البشر سيرغبون دائمًا في الطعام والجنس وأنّ القدرة على إنجاب الأطفال تحل محلّ القدرة على إعالتهم، يخلص مالتوس منطقيًا إلى أنه لا يوجد، ولن يكون هناك أبدًا، ما يكفي للجميع من أجل الحصول على حصة لائقة ‹(ص 24).[31] وهذا ما أسميه مبدأ مالتوس للندرة الشاملة والذي يتأتى بدوره من مبدأ السكان. ويمثّل "الفقراء" الجزء من السكان الذي لا يمكن دعمه بالإنتاج الحالي (أيلوال، 6 ،2001).[32] ونظرًا لأن طعام شخص يعني الجوع لشخص آخر، فهنا تكمن الحاجة للملكية الخاصة من أجل حماية ما ينتجه الناس.

هذا أمر بديهيّ في نظر مالتوس ولهذا السبب فهو منطق يفرض نفسه علينا فرضا في أيامنا هذه. قبل التعمق في التوجهات والمغالطات المنطقية للحجة، اسمحوا لي أن أوضح أولاً بعض سوء الفهم فيما يتعلق بآراء مالتوس حول السكان.

### السكان لدى مالتوس

يشير بيرلمان (1979) إلى أنه على عكس المالتوسيين البيئيين المعاصرين، فإنّ مالتوس لم يقبل أبدًا بالحد من السّكان كغاية. وليس ذلك فحسب، فقد كان النموّ السّكاني في نظر مالتوس غاية اجتماعية رئيسية في حد *ذاته*.[33] لم يكن التّعبير عن ذلك بشكل أكثر وضوحا:

28 Elwell, 2011, p.2
29 Elwell, 2001, p.1.
30 Malthus, 1798, p.4.
31 *نفس المصدر ص* 42
32 Elwell, 2001, p.6.
33 Perelman, 1979.

*"إن سعادة بلد ما لا تعتمد إطلاقاً على فقره أو ثروته أو شبابه أو عمره أو عدد سكانه القليل أو الكثير بل على السرعة التي يتزايد بها وعلى الدرجة التي بها تتقارب الزيادة السنوية في مخزون الغذاء بالزيادة في عدد السكان غير المقيّد"(مالتوس، 43 ،1798).*[34]

بعبارة أخرى، السعادة هي الدرجة التي يقترب بها عدد سكان بلد ما من معدل النمو الهندسي والذي يعتبره مالتوس معدل النمو الطبيعي. يقدم الفصلان 16 و17 من المقال نقدًا وديًا لآدم سميث لخلطه بين النمو الصّناعي ("التجاري") ونمو الرفاهية. يجادل مالتوس بأنّ النّمو الصناعي لا يحقّق التقدم إلا إذا نمت معه كمّية الغذاء المنتج وإن لم يكن ذلك ما كان عليه الأمر في الأغلب الأحيان. وحده النمو في طعام الكفاف من شأنه أن يحسّن ظروف وأعداد الطبقات الدنيا كما يشير مالتوس (الصفحات 102-96).[35] إنّ إنتاج الأرض هو الثروة الحقيقية للأمم بما أنّه الشّرط الأوحد الذي بفضله ينمو عدد السّكان (الفصل 17).

هذا لا ينبغي أن يفاجئنا لأن مالتوس لم يكن الوحيد في عصره الذي كان يساوي عظمة الأمة بحجم سكانها. كتب عالم اللاهوت والمصلح البارز ويليام بالي في عام 1790، أي قبل ثماني سنوات من مالتوس، أنّ "اضمحلال السكان هو أعظم شر يمكن أن تعانيه الدولة ويتمثّل تحسينه الهدف الذي يجب ... أن يستهدف على أن يتمّ تفضيله على كل كلّ غاية سياسيّة أخرى›› (عن هايلبرونر، 76 ،1999).[36] إذن كيف وازن مالتوس بين الندرة الشاملة ومبدأ السكان؟

كما يشير إيلوال (2001) وعلى عكس التفسيرات الشائعة، فإنّ مالتوس لم يكن هو من قدّم نبوءة التجاوز والانهيار. بالنسبة لمالتوس، فإنّ القيود المفروضة على الكفاف الغذائي تنطبق باستمرار على نمو السكان.[37] وها هو الطّعام *الآن*، وليس في وقت قادم في المستقبل، يضع حدّا لعدد الأطفال الذين يمكننا إنجابهم. قال إنجلز (1844) مازحا أنه إذا كان الأمر كذلك، فإن «الأرض كانت فعلا مكتظة بالسّكان لمّا كان عليها رجل واحد فقط» (من ميك ،59 ،1953).[38] كان آدم وحواء يعتبران كثيرين لأنّهما كانا سينجبان أطفالًا يفوق عددهم قدرتهما على إعالتهم. لقد كانت هذه فكرة مالتوس تحديدا مع إضافة لمسة خاصّة. فقد زعم بأنّ "العالم لم يكن ليكون شعبًا لولا

34 Malthus, 1798, p.43.

35 Malthus, 1798, p. 96-102.

36 Robert. L. Heilbroner, *The Worldly Philosophers: The Lives, Times and Ideas of the Great Economic Thinkers,* Simon and Schuster, 1999.

37 Elwell, 2001, p.7.

38 Friedrich Engels, "The myth of overpopulation from Outlines of a critique of political economy", *Deutsch-Französische Jahrbücher,* no. 1, 1844.

تفوّق قوة السكان على سبل العيش" (ص 114)».[39] ما كان يقصده مالتوس هو أن القيود الغذائية بالتحديد هي التي جعلت آدم وحواء (إذا جاز التعبير) مجتهدين ممّا سمح لهما بإنتاج فائض فوق احتياجاتهما الخاصة وبالتالي تعمير الأرض. يكتب مالتوس: «السبب في أنّ الجزء الأكبر من أوروبا أصبح الآن أكثر اكتظاظًا بالسّكان ممّا كان عليه في الأزمنة السابقة هو أنّ صناعة السكان جعلت هذه البلدان تنتج قدرًا أكبر من الكفاف الغذائي البشري» (ص 17).[40] إنّ «استقرار قوانين الطبيعة لهو أساس الصناعة» (مالتوس، 114 ،1798).[41] بالنسبة لمالتوس، يعمل الناس بجدّ لزيادة إنتاج محاصيل الأرض وبالتالي زيادة أعدادهم. إن الجزء المتحضّر من العالم مثل أوروبا قد بلغ حضارته بفضل كدحه وجهده وبالتالي صارت أوروبا كثيفة السكان. ومع ذلك، فإن العمل الذي يسمح بتعمير الأرض و «توفير الكفاف لعدد كبير من السكان [لن] يتم إنجازه دون عبء الضرورة»، أي دون الضغط المستمر الناتج عن مبدإ السكان (ص 47).[42]

قد يكون نمو الغذاء والسكان نتيجة سعيدة لكنها لا تخلو من المعاناة من البؤس الذي يحافظ على النموّ السّكاني في حدود النموّ الغذائي. ويزعم مالتوس (1798)[43] بأنّ المعاناة تتأتّى من الضوابط الإيجابية والوقائية الحتمية التي تتحكّم في السكان. "الضّوابط الإيجابية" هي تلك التي "تقمع الزيادة التي بدأت بالفعل"[44] وتشمل الجوع والمجاعة وقتل المواليد والموت المبكر والحرب والمرض أو أيّ شيء يحدّد العمر الافتراضي. أمّا "الضّوابط الوقائية» فهي تلك التي تتدخّل فيها العقلانيّة وتشمل الامتناع عن ممارسة الجنس وتحديد النسل أي شيء يقلل من الذرّية. إنّ العفّة تخلق البؤس والمعاناة أيضًا لأنّ الشغف الجنسي لهو حاجة إنسانيّة طبيعيّة. فيما يعتبر الجنس بدون إنجاب «رذيلة» في قاموس مالتوس: إنه يحطّ من الأخلاق وقد يؤدي أيضًا إلى البؤس بسبب الأمراض المنقولة جنسيًا. يذهب مالتوس إلى أبعد من ذلك في الفصلين 18 و 19 ليشرح كيف تكون هذه المعاناة جزءا لا يتجزّأ من العناية الإلهية التي لا يمكن للعقل البشري أن يستيقظ من دونها. ولن يصبح أبدًا مبدعًا ومجتهدًا وقادرًا على الاستجابة لصعوبات الحياة بعيدا عنها. بعبارة أخرى، إنّ المعاناة شرط مسبق للحضارة

39 Meek, 1953, p.114.
40 Malthus, 1798, p.17.
41 Malthus, 1798, p.114.
42 Malthus, 1798, p.47.
43 Malthus, 1789.
44 Malthus, 1798, p.23.

إذ يتناوب البؤس والنمو في دورات متتالية. يقترح مالتوس نمطًا دوريًا متذبذبًا للنمو والانهيار السكاني ضمن مسار عام لنموّ سكّاني متوسّط حسب معدّل نموّ إنتاج الغذاء. ينجب الناس المزيد من الأطفال بمجرد زيادة إنتاجية الغذاء وإنتاجه. في مرحلة ما، يتجاوز عدد الأشخاص المخزونات الغذائية المتاحة، ثم تحدث عمليات ضبط إيجابية يقع الفقراء ضحيّتها في المقام الأول فالفقراء حسب تعريف مالتوس هم أولئك الزائدون عن الحاجة. ومع ذلك، فإن ارتفاع أسعار المواد الغذائية وانخفاض الأجور للفقراء كثيرو الإنجاب يعيد التوازن ويحفّز الإنتاجية و إنتاج المزيد من الغذاء وبالتالي إطلاق دورة جديدة من التوسع.

يمكن بالفعل ملاحظة مفارقتين. أولاً، لا يوجد في نموذج مالتوس مكان للوفرة. وعلى حد تعبيره: «لا يمكن للإنسان أن يعيش وسط الوفرة» (ص 57).[45] إن الحالة السعيدة لسكان مستقرين عدديًا (أو متراجعين في أعدادهم) يعيشون مع إمداداتهم الغذائية أمر لا يمكن تصوره بداهة بالنسبة لمالتوس، وليس فقط لأنها دعوة طبيعية للناس لإنجاب أكبر عدد ممكن من الأطفال. إنه أمر لا يمكن تصوره، لأنه غير مرغوب فيه: فقط عدد السكان المتزايد هو علامة على السعادة (الدورية) والصحة السّليمة. لا يمكن أن يكون تعداد السكان المستقر أو المتراجع، وهو الأسوأ، إلا نتيجة للمعاناة الشديدة وسيطرة البؤس والرذيلة. فلا يمكن أن يكون ينتج عن ذلك أيّ مخرجات «وفيرة» من وجهة نظر مالتوس. سأعود إلى فرضية مالتوس المقترنة بالقيم الأخلاقية لاحقا في الفقرة 2.6.

ثانيًا، لا يمكن إثبات خطإ مالتوس دون بلوغ المعيار الذي يقوم عليه مقياس السعادة لديه. ما الّذي أعنيه بهذا؟ يزعم إيلوال (2001)[46] في دفاعه عن مالتوس بأنّ حقيقة تنامي إنتاجية الغذاء وعدد السكان المطّرد منذ زمن لا يعتبر دليلاً على أنّه كان مخطئًا. لقد افترض مالتوس بأنّه من الحتميّ على عدد السّكان أن ينمو وفق معدّل نموّ إنتاج الغذاء أو أقلّ من ذلك. وكما ذكر ذلك آخرون، فإنّ «التنبؤ» بأنّ عدد السكان لا يمكن أن ينمو أسرع من نموّ أغذية الكفاف المتوفّرة لهو حقيقة بديهية فرضية غير قابلة للدحض (ديل، 2012، هارفي، 1974).[47] ومع هذا، فإنّ إيلوال يقول بأنّ مالتوس يقدّم فرضية غير قابلة للدّحض فعلا. ويتمثّل هذا الافتراض في أنّه من غير المرجّح أن ينمو عدد السكان بمعدله *الطبيعي* لفترة طويلة من الزّمن. وإذا كان مالتوس مخطئا، فهذا يعني افتراض أنّ "مليار شخص في وقت كتابة المقال سيكون عددهم 256 مليارا اليوم إثر مرور 25 سنة

45 Malthus, 1798, p.57.
46 Elwell, 2001.
47 Dale, 2012; Harvey, 1974.

من تضاعف عدد السّكان دون ضوابط أو قيود" (إيلوال، 7 ،2001).[48] وبما أنّ عدد السّكان الآن ليس مرتفعا بذلك القدر اليوم فهذا يعني حتما وجود قيود وضوابط صارمة على نموّ السّكان. وهذا دليل على أنّ مالتوس كان على صواب حسب ما استخلصه إيلوال.

بالطبع لن يدّعي أيّ شخص بعقل سليم، حتى أشد المدافعين عن التقدّم، أن نموّا هندسيًا غير محدود للسكان أمر مرغوب فيه أو ممكن التّحقيق. الشخص الوحيد الذي ادّعى هذا وساوى ذلك بثروة الأمم وسعادتها كان مالتوس نفسه. إذا تحققت السعادة، أي المعدّل «الطّبيعي» للنمو السكاني، فسيتبين أن مالتوس كان على خطأ وأنّ أطروحته عن الندرة الأبدية والمعاناة المرحليّة مجانبة للصّواب. و لكن الجميع سيكونون سعداء، أو على الأقلّ سعداء حسب شروط مالتوس الغريبة التي تقول بإنجاب أكبر عدد ممكن من الأطفال بصورة طبيعيّة.

**النموّ لا إعادة التّوزيع أو جوهر حجّة مالتوس**

*لا يوجد في الوقت الحاضر ما يكفي للجميع ليكون لهم حصّة كريمة... عليكم زيادة الطلب على المزارعين من خلال تشجيع الزراعة، وبالتالي ينبغي أن تزيدوا في إنتاج البلاد وتحسين وضعيّة العامل ولن يكون من الضّروريّ التخوّف من الزيادة النسبية لعدد السّكان. إن محاولة تحقيق هذا الغرض بأيّ أسلوب آخر لهو أمر شرير وقاس واستبداديّ وبالتالي لا يمكن لهذا الأمر أن ينجح في أيّ بلد يتمتّع سكانه بشيء مقبول من الحرّية.*[49]

لدينا الآن العناصر اللازمة لإعادة تشكيل الحجّة السّببيّة لمالتوس. أولاً، نجد مبدأ السّكان هذا: إنّ إنجاب الأطفال لهو أيسر من إعالتهم. يعتبر مالتوس هذا الأمر حقيقة طبيعيّة لا يمكن القيام بشيء حيالها. وعلى إثر ذلك، يأتي مبدأ الندرة الشاملة: ليس هنالك ما يكفي الجميع. وفي النهاية، هذه الندرة هي ما يسبّب كلّ الآفات الاجتماعية من الجوع إلى المرض وصولا إلى العنف والحرب. إن محاولتنا تجاوز هذه النّدرة بواسطة العقلانيّة يخلق معاناة أكثر: إمّا مأساة الامتناع أو رذيلة الجنس غير الإنجابي. ما الذي يمكننا فعله إذن؟

لم يكتب مالتوس المقال بوصفه تمرينا فلسفيّا بل بمثابة مانيفستو ضدّ الذي كان يحدث في زمنه، وتحديدا قوانين الفقراء التي كانت خطّة لإغاثة الفقراء تلبّي في إطاره الأبرشيات حاجيات الغذاء الأساسية لمن لا عمل لهم. لقد كان هدف مالتوس دحض التّبرير النظري لقوانين الفقراء

48 Elwell, 2001, p.7.

49 Malthus, 1798, p. 24, 42.

(بيريلمان، 1979، هارفي، 1974).[50] كتب مالتوس منشوره حادّ اللهجة كرد فعل لروح المساواة التي أتت بها الثورة الفرنسية التي تم التعبير عنها في كتب غودوين وكوندورسيه المشهورة آنذاك. وكان مصدر إلهامه بعد مشادة بينه وبين والده («الصديق» المذكور في الجملة الأولى من المقال)، وهو أحد معارف هيوم وروسو ومؤيدين للمثقفين التقدميين الذين كتب مالتوس مقالته ضدهم مثل جودوين. كان هناك أشخاص من أمثال جودوين يجادلون بأن الفقر هو نتاج لعمل المؤسسات البشرية وأنّه يمكن التخفيف من حدته عبر إعادة التوزيع. كان جودوين يزعم بأنّ لا أحد يمكن أن يكون فقيرًا في مجتمع أفراد متساوين. وقد زعم مالتوس أنه قادر على إثبات العكس إذ كان يعتبر الفقر أمرا حتميّا وطبيعيّا. إن المؤسسات البشرية غير مثالية ولكنّ تحسينها لا يمكنه أن يقضي على الفقر. سيكون الجميع فقراء إن تساووا كلّهم في المجتمع. سينتشر البؤس بقدر متساو على الجميع بدل أن يكون حكرا على قلّة قليلة من غير المحظوظين الذين أصبحوا فقراء.

من حيث المبدأ، لا حرج في توزيع الطعام (أو حتى البؤس) بالتساوي على الجميع بدلاً من وجود أقلية صغيرة لديها فائض في الطعام والثراء في حين أنّ الكثيرين ليس لديهم أي شيء. ولتبرير دفاعه عن المجتمع الطبقي، طوّر مالتوس حجة معقدة ضد إعادة التوزيع والمساواة. تتمثّل حجّته في أن إعادة التوزيع من شأنها أن تجعل الظروف أسوأ *للجميع*. وهنا أذكّركم بأنّه زعم بأنّه لا يمكن الحفاظ على زيادة عدد السّكان إذا لم يكن هناك وسائل لاكتساب العيش. بيد أنّ مالتوس يدّعي بأنّ إعادة التوزيع *تعرقل* هذا النموّ. توفّر مؤسسات إعادة التوزيع مثل قوانين الفقراء التي تضمن دخلاً أساسياً للفقراء حافزاً لقضاء وقت الفراغ وضد روح المثابرة (ص 27-25)[51] مقلّلة بالتالي من رغبة الفقراء في الادخار والتراكم لأن احتياجاتهم مكفولة ( ص 27)[52] وتضخميّة لأنها تزيد الدخل دون زيادة الإمدادات الغذائية ممّا يؤدّي إلى ارتفاع التكلفة الحقيقية للغذاء للفقراء وللبقية على حدّ السّواء (ص 25).[53] وإذا حصل الفقراء على المزيد من الغذاء دون إنتاج المزيد، فإنّه «لا يمكنهم الحصول على هذه الحصة الأكبر دون التقليص من حصص الآخرين» (ص 25)[54] وهذا ما بجعل المجتمع ككلّ في حالة أسوأ.

علاوة على ذلك، فإن الأمن الزائف الذي توفره قوانين الفقراء "يعمل على منع ارتفاع أسعار العمالة" عندما ينخفض عدد السكان ممّا يبقي الناس في فقر أكبر ممّا ينبغي في حين أنّه "يبقيها

50 Perelman, 1979; Harvey, 1974.
51 Malthus, 1798, p.25-27.
52 Malthus, 1798, p.27.
53 Malthus, 1798, p.25.
54 *نفس المصدر*.

منخفضة لفترة أطول" عندما ينمو السكان ممّا يعيق النموّ في الإنتاج الغذائي (ص 11).[55] تعد مقترحات مالتوس إذن «محاولة لربط النمو السكاني نفسه بالزيادة في إنتاج الأرض» (إيلوال، 14 ،2001).[56] أولًا وقبل كل شيء، يقترح «الإلغاء التام لجميع قوانين الأبرشية الحالية» ... من أجل «منح الحرية وحرية العمل للفلاحين في إنجلترا ... ليكونوا قادرين على الاستقرار دون انقطاع كلّما كان هناك احتمال لوفرة أكبر في فرص العمل وسعر أعلى للعمالة. لقد أبقت إغاثة الفقراء الناس مقيدين بالأبرشيات التي وفرتها لهم في حين أنها قلّلت من الحوافز المقدّمة لهم لكي يتنقّلوا للتنقل ويبحثوا عن شغل. "سيكون سوق العمل حينئذٍ حرّا وستزول تلك العقبات التي غالبًا ما تمنع السعر من الارتفاع وفقًا للطلب لفترة طويلة" (مالتوس، 30 ،1798).[57] قد يكون مقال مالتوس هو الرّفض الأوّل لإعادة التوزيع ودعم الرفاهية على أساس فوائد النمو للسوق الحرة.

ويطوّر مالتوس أيضًا خطًا ثانيًا من التفكير يزعم أنه يُظهر الاستحالة الطبيعية والمنطقية لمجتمع متساوٍ. إنه يدعو قراءه إلى تجربة فكرية تفترض تحقّق يوتوبيا جودوين: لا توجد ملكية وكل شخص لديه احتياجاته التي يتم تلبيتها مع تأمين حصة متساوية من الطعام. ومع تأمين سبل العيش لأنفسهم ولأحفادهم، سيكون لدى الناس أكبر عدد ممكن من الأطفال بشكل طبيعي. نظرًا لأن معدل السكان سيتجاوز معدل نموّ الغذاء، فإن الحصّة الإجمالية المتاحة لكلّ منهما ستنخفض تدريجياً: سيتعين على شخص ما أن يعيش بأقلّ قدر ممكن من سبل العيش. أولئك الأكثر حظًا في حصادهم سيرغبون في حماية طعامهم من أولئك الأقل حظًا وبالتالي يصبح لزاما عليهم اختراع الملكية الخاصة من أجل حماية محصولهم من الدخلاء. وبمجرد أن تكون هناك طبقة مالكة لديها ما يكفي من الغذاء ومجموعات جائعة لا تملك أي شيء للبيع سوى عملهم، سيكون من غير الإنساني منع هذه الأخيرة من القيام بعمل من أجل الطبقة الأولى. أيّ شيء آخر سيكون مرادفا للطغيان. "سيتمّ إنشاء إدارة للممتلكات التي لا تختلف كثيرًا عن تلك السائدة في الدول المتحضرة حاليًا" (مالتوس، 62 ،1798).[58] مجتمع غودوين المتكافئ «[سوف] يتحوّل في فترة قصيرة جدّا إلى مجتمع مبني على خطة لا تختلف جوهريًا عمّا نشهده ... في الوقت الحاضر، ... مجتمع مقسم إلى طبقة مالكين وطبقة عمال" (65-64).[59] هذه هي النتيجة الطّبيعة وليس هناك ما يمكن فعله حيال ذلك.

55 Malthus, 1798, p.11.
56 Elwell, 2001, p.14.
57 Malthus, 1798, p.30.
58 Malthus, 1798, p.62.
59 Malthus, 1798, p.64-65.

يجادل مالتوس بأن عدم المساواة أمر لا مفر منه ولحسن الحظ فهي ليست أمرا سيئا كثير لأنها محرّك من محرّكات النّمو. لا يمكن للمجتمع بأسره أن يصبح طبقة وسطى لأنه: « لا يمكن تقليص الفئات على الأطراف في المجتمع إلى ما يتجاوز درجة معينة دون التقليل من الجهد المتحرك حول الفئات الوسطى ... إذا لم يكن بإمكان أي شخص أن يأمل في الصعود أو الخوف من السقوط في المجتمع وإذا لم تأت المثابرة بمكافأتها والخمول بعقابها، فلن تكون الفئات الوسطى على ما هي عليه الآن بالتأكيد" (ص 116).[60] ويفرض «حب الذات» أو ما يسميه الاقتصاديون اليوم بالمصلحة الذاتية (راجع نالي، 2016)[61] في ظل ظروف عدم المساواة والمنافسة غير المحمية على الجميع العمل بجدية قدر الإمكان لمجاراة الطبقات الأعلى التغلب الطبقات السفلى. بالنسبة لمالتوس والاقتصاديين بعده، فإنّ النتيجة النهائية هي أن ينهض الجميع معا. أختتم بأنّ مالتوس رسول أو مدافع مبكر إذا كنتم من مناصري إيديولوجية النمو.

كما يلاحظ ديل (2012)، فمن المفارقة إذن أن ينظر علماء مثل هيرمان دالي إلى مالتوس ومقاله على أنهما مقدمة للاقتصاد البيئي ولأطروحة "حدود النمو".[62] يصر مالتوس على أن الموارد الطبيعية غير محدودة. "هناك فرق جوهري" كما يدعي "بين الطّعام و ... السلع الأساسيّة والمواد الخام التي تمتاز بوفرة كبيرة. إن الطلب على هذه الأخيرة لن يؤدّي العجز في إنتاجها بكمية كبيرة كما هو مطلوب «(ص 28).[63] لأن الطّعام أيضًا «لا حدود لإنتاجه في أيّ مكان في الأرض إذ يمكن أن يتزايد إلى الأبد ليكون أكبر من أي كمية قابلة للتخصيص (ص 8).[64] كما يدافع إيلوال (2001)،[65] فإن المقال "لم يكن لكاتب عنيد لا يهدأ من تشاؤمه ... إنه في الواقع مفعم بالحيويّة ومتفائل عمومًا فيما يتعلق بمستقبل المجتمعات البشرية (ص 2)[66] ... [بما أن مالتوس كان لديه] احترام صحي لقوى التكنولوجيا (ص 6) ". في الواقع، في الإصدار الثاني من مقال مالتوس يذهب إلى حد الادعاء بأن الأمة يمكن أن «تستمر في الزيادة في الثروات والسكان لمئات بل لما يقارب آلاف السنين» (مقتبس عن ديل،870 ،2012).[67]

60 Malthus, 1798, p.116.
61 David Nally, "Imagine All the People: Rockefeller Philanthropy, Malthusian Thinking and the "Peasant Problem" in Asia", *New Perspectives on Malthus:* 250*th Anniversary Essays*, (ed.) R. Mayhew, Cambridge University Press, 2016.
62 Dale, 2012.
63 Dale, 2012, p.28.
64 Dale, 2012, p.8.
65 Elwell, 2001, p.2.
66 Elwell, 2001, p.6.
67 Dale, 2012, p.870.

من ناحية أخرى، صحيح أن مالتوس قد ادعى أن نموّ الغذاء يمكن أن يكون أمرا حسابيًا في أحسن الأحوال. كان هذا افتراضًا *ارتجاليّا*، ليس فقط بناءً على أدلته التجريبية المشكوك فيها، بل أيضا أيضًا لأنّه لا يمكن الدفاع عنه بأسلوب منطقيّ بحكم أنّه يتعارض مع بقية مقالته. ليس فقط لأن المزيد من الناس يستطيعون حرث المزيد من الأراضي وزراعتها، ولكن أيضًا لأنه إذا أصبح نمو الغذاء في مرحلة ما أمرًا حسابيًا، فمن المفترض أنه قد وصل إلى حالة ثابتة من النمو تقريبًا بنسبة 0٪ في زمن مالتوس. لم يكن هذا هو الحال بالتأكيد ولم يكن أيضًا ما كان يفكر فيه مالتوس لأنّ هناك مقاطع مختلفة يتوقع فيها بوضوح نموًا مستمرًا في إنتاج الغذاء، وإن كان محدودًا، في تناقض تام مع مثاله الحسابيّ.

كان ريكاردو (1891) هو من طوّر النّمو الحسابي لمالتوس إلى فرضية أكثر صلابة تتمثل في تناقص العائدات في الزراعة على أساس أن الأراضي الأكثر إنتاجية يتم تطويرها أولاً بينما تميل العائدات من الأراضي المطورة بالفعل إلى التناقص مع بذل الجهد.[68] ومع ذلك، فإن نظرية ريكاردو سلطت الضوء على احتمال نظري فقط وليس حقيقة تجريبية حتمية. لقد سمح ريكاردو بالديناميكية المضادة لرأس المال بجعل الأرض أكثر إنتاجية. استعاد علماء البيئة في السبعينيات من الاقتصاديين الكلاسيكيين فكرة محدوديّة الموارد وتناقص عوائد النمو. كان بعضهم فخورين بأن يطلقوا على أنفسهم تسمية المالتوسيين (البيئيين) (روبرتسون، 2012).[69] لا تكمن المشكلة في أنهم أخطؤوا في تتبع فكرة حدود النمو وصولا إلى مالتوس في حين أنّه هو نفسه لم يكن يؤمن بالحدود وكان على عكس ذلك مهتمّا بكيفية زيادة الإنتاج بحيث يناسب عدد السّكان على الأرض. تكمن المشكلة في أنهم صاغوا نقدهم للنمو ضمن الشروط التي وضعها مالتوس وصقلها الاقتصاديون من بعده وهي مصطلحات مصممة لتبرير الحاجة إلى التراكم والنمو الأبدي وهو بالضبط ما كان يدمر الكوكب وكان العديد منهم ضده.

**لماذا كان مالتوس مخطئا؟**

تقول الحجة الشائعة أن مالتوس كان مخطئًا لأنه لم يتنبأ بالثورات الزراعية والصناعية. لقد خدعه تشاؤمه التكنولوجي. ومع ذلك، كما قلت وكما أوضح (إيلوال 2001)، فقد كان مالتوس إيجابيًا بشأن احتمالات التغيير التكنولوجي وتوقع خطوات غير محدودة في النمو الصناعي

68 David Ricardo, *Principles of Political Economy and Taxation*, G. Bell and Sons, 1891.

69 Thomas Robertson, *The Malthusian Moment: Global Population Growth and the Birth of American Environmentalism*, Rutgers University Press, 2012.

واستخراج الموارد وكان أيضا مهتمًا بالجهود المبذولة لزيادة إنتاج الغذاء وداعما لها أيضا.[70] ويعتبر الاقتصاديون الكلاسيكيون الجدد محقون في أنه لم يتوقع زيادة في توافر الغذاء واستهلاكه للفرد معتقدًا أن إنتاج الغذاء سوف يتجاوزه عدد السّكان بكثير. لكن هذا لا يجعل من مالتوس متشائمًا يعتقد باستحالة الإفلات من الركود. هذا هي قراءة مالتوس من وجهة نظر الحاضر كما لو كان اقتصاديًا كلاسيكيًا جديدًا مهتمًا بركود الدّخل الفردي. بالنسبة لمالتوس، كان النمو السكاني المرادف للرّفاهيّة وقد كان متفائلًا بأن الرفاهية يمكن أن تنمو بشكل متواضع وبالقدر المناسب من الانضباط.

يدّعي البعض بأنّ مالتوس كان مخطئًا لأنه لم يتنبأ بأنّ نمو الإنتاج يمكنه أن يمكن أن ينتج عليه إعادة إنتاج الإطار الذي وضعه هو نفسه. ولقد أجاب كلّ من ميل وكينز أو حتى ماركس بشكل صريح أو ضمني على مخاوف مالتوس بالتنبؤ بأنه سيكون هناك ما يكفي للجميع إذا انتظرنا ما انتظرنا الغد. شعر إنجلز (1884)[71] بالقلق من أنه إذا كان مالتوس على حق فلن تتمكن الاشتراكية من القضاء على الفقر ولكن فقط تعميمه، ممّا جعله يعتبر أن «الإنتاج القليل يقف وراء كلّ شيء» ولكن هذا بسبب القيود التي يضعها الإنتاج الرأسمالي على القوى المنتجة التي سوف يتم تجاوزها في ظل الاشتراكية في المستقبل. ويتشارك ميل (1848)[72] بحالته الثابتة وماركس وإنجلز وأطروحتهما في التطوّر غير المقيد لقوى الإنتاج أو كينز ومستقبله ما بعد الصناعي (1933)[73] - حيث ستسمح عقود من نمو الإنتاجية لأحفاده بالاستمتاع بالعمل في أوقات الفراغ لساعات قليلة فقط كل أسبوع - في الرؤية القائلة بالتغلب على الندرة من خلال زيادة الإنتاج وتوزيع المكافأة بحيث يكون لدى الجميع ما يكفي. إنهم جميعًا يقبلون تشخيص مالتوس للندرة ولكنّهم على عكسه يعتقدون أن إعادة التوزيع ستكون مفيدة للنمو.

ولكن كما يعبّر زينوس (239 ،1987) بأسلوب مثالي «إن كينز وماركس وميل من قبلهم ينتظرون غودو من خلال اعتمادهم على القوى الاقتصادية لتجاوز أنفسهم». إن القوى الاقتصادية التي تعد بتجاوز الندرة هي القوى ذاتها التي تزيد الاحتياجات جنبًا إلى جنب مع الإنتاج مؤكّدة بأنّه لا ولن يكون هناك ما يكفي الجميع. لكي يعيش المرء حياة كريمة ويموت ميتة كريمة، يحتاج الشخص

70 Elwell, 2001.

71 Engels, 1844.

72 John Stuart Mill, "Of the stationary state*", Principles of Political Economy Book IV: Influence of the Progress of Society,* London, 1848.

73 John Maynard Keynes, *Economic Possibilities For Our Grandchildren (Essays in Persuasion),* W.W.Norton & Co., New York, 1963.

العادي اليوم إلى تعبئة موارد لا يمكن لأفراد العائلة المالكة في العصور الغابرة تصوّرها واستيعابها. إن التركيز على مسألة الإنتاج يقبل أسطورة الندرة والسّردية الكبرى الشرعية لمؤسسات الرأسمالية والحداثة التي تنصّب نفسها على أنها الوحيدة القادرة على مواجهة الندرة (زينوس، 239 ،1987).[74] إن انتقاد هذه المؤسسات ممكن «ولكن فقط على أساس نقطة زمنية تكون دائمًا في المستقبل بسبب عمل الحاجة الاجتماعية وبالتالي فإن النقد ينتهي بشكل غريب بتأييد مؤسسات الندرة مع افتراض مستقبل مختلف لأن هذه المؤسسات تجعل هذا المستقبل ممكناً «(نفس المصدر).

لا يمكن وضع ماركس وإنجلز في نفس السلة مع ميل وكينز، لكنني أعتقد أن القبول غير المقصود من قبل أول قاعدتين من قواعد اللعبة التي وضعها مالتوس، قد يقطع شوطًا طويلاً في تفسير تسامحهما، على الأقل إلى حد ما، لبعض مؤسسات وتقنيات الحداثة (إن لم يكن الرأسمالية) على أساس أنها تطلق العنان لقوى الإنتاج التي ستحل محل الندرة.

يمكن للمرء أن يتحدى الفرضيّة ليس فقط من خلال اقتراح استنتاجات بديلة بل أيضا عبر الكشف عن منطلقاته اللامنطقية بدلاً من المنطق فيها (لوهمان، 2005)[75] مع تبيين كيفية اعتماد الخلاصة النهائية على هذه المنطلقات غير المنطقية بشكل حاسم. ويتمثّل الافتراض الأساسي في فكر مالتوس وأساس مبدأ الندرة الشاملة في لامحدودية الطبيعة البشرية التي تواجه حدود الحياة المحدودة. من المؤكد أن الحياة مقيدة بالموت ولكن يمكننا التساؤل ما إذا كانت الحالة الطبيعية للبشر يقودها الهوس بفعل أكبر قدر ممكن في كل جزء من الثانية قبل موتهم. يرتكز صرح مالتوس على سبيل المثال على الافتراض الغريب بأن الطبيعة البشرية تملي علينا أننا بحاجة إلى أكبر عدد ممكن من الأطفال جسديًا. تشير «الطبيعة» هنا إلى الغريزة الجنسية والمطالب النهمة التي تولدها. وهذا يتعارض مع الأدلة على أن البشر غالبا ما يتحكمون في عدد الأطفال من خلال توقّع العواقب. إذا كان البشر كائنات من الطبيعة، فإن هذا التحديد الذاتي الاستباقي أمر طبيعي أيضًا ولكن مالتوس كان يعتبرها «أفعال غير طبيعية» (ص 48).[76]

هناك حقيقة تاريخية مثيرة للاهتمام وهي أنه في الوقت الذي سبق مقال مالتوس كان الشاغل الرئيسي هو انخفاض عدد السكان وليس النمو السكاني (هايلبرونر، 1999).[77] لم يكن هذا

74 Nicholas Xenos, “IV. Liberalism and the Postulate of Scarcity”, *Political Theory*, vol.15, no. 2, 1987, p.239.

75 Xenos, 1987, p.239.

76 *نفس المصدر.*

77 Silvia Federici, “The Devaluation of Women’s Labor*”, Eco-sufficiency And Global Justice: Women Write Political Ecology*, (ed). Ariel Salleh, Pluto Press, 2009.

الانخفاض في عدد السكان نتيجة الأوبئة والحروب والأمراض فحسب بل كان أيضًا نتيجة سيطرة النساء بصمت على أجسادهن وحياتهن ومقاومة الرجال والكنيسة (فيديرتشي، 2009). لكن النمو السكاني المنخفض قد وضع حدّا للرأسمالية المبكرة ممّا أبقى تكاليف العمالة مرتفعة. كما نوضح فيدرتشي (2009)، فإن سياسات الدولة الإنجابية و «مطاردة الساحرات» للنساء اللائي ليس لديهن أطفال كانت جزءًا من الهجوم المضاد لتراكم رأس المال لنزع سيطرة النساء على أجسادهن وكسر تحكّمهن في عمليّة الإنجاب.[78]

كان مالتوس يدرك بالتأكيد إمكانية الحدّ من الإنجاب والممارسات الفعلية التي يمكنها بلوغ تلك الغاية. هو نفسه يدرك في جزء متقدّم من المقال أنّ زملائه البرجوازيين كانوا يحتسبون عدد الأطفال الذين سيكون لديهم من أجل منع النتائج غير المرغوب فيها مثل خفض رتبهم أو عيش حياة كدح وعمل شاق (مالتوس، 8 ،1798-9).[79] وفضلًا عن تأخير الزواج والامتناع عنه، فإنه يشير إلى «المعاشرة غير الزوجية الفاسدة» إذا كان من الممكن ممارسة الجنس دون إنجاب أطفال، كما كان الحال بالطبع، فكيف حافظ مالتوس على تماسك فرضيّته؟

إحدى الإجابات المحتملة هو أنه لم يفعل. لقد كان ببساطة طبقيًا بطريقة لاقت صدى لدى جمهوره البرجوازي (لوهمان، 2005).[80] وكما يلاحظ هارفي، لقد كان مالتوس يخصّص قانونًا للفقراء وقانونًا آخر للأثرياء. في حين يتم التحكم في أعداد الفقراء في الغالب من خلال عمليات الضّبط الإيجابي، يمكن للأغنياء ممارسة التفكير وضبط أعدادهم بشكل وقائي (إيلوال، 2001).[81] لاحظ سيلبي وهوفمان (2016) نمطًا طبقيًا وعنصريًا أوسع في الفكر المالتوسي والمالتوسي الجديد، حيث يكون الأوروبيون والأغنياء متحضّرون ويعملون العقل في أفعالهم في حين أن الفقراء و «البرابرة» يعيشون مثل الحيوانات تحت رحمة الغرائز وطأة قوى الطبيعة.[82]

في المقال، قدم مالتوس ملاحظة عرضية مفادها أن هذه هي الطريقة التي تسير بها الأمور وأن الفقراء هم الذين يموتون من الجوع أو يفقدون أطفالهم بسبب المرض. لكنه لم يذهب إلى أبعد من أن يؤسس فرضيّته بناء على هذا الفرق بين الفقراء والأغنياء. يتمثّل ادعاءه المنطقي في أنّكم إذا قمتم بتأمين بقاء الفقراء وأطفالهم على قيد الحياة بغض النظر عن الجهود التي يبذلونها، فإنكم

78 Federici, 2009.
79 Malthus, 1798, p.8-9.
80 Lohman, 2005.
81 Elwell, 2001.
82 Jan Selby, Clemens Hoffman, *Divided Environments: Water wars and Climate Conflict revisited*, I B Tauris, London, 2016.

تمنحونهم الحافز الخاطئ لإنجاب أكبر عدد من الأطفال كما يحلو لهم والعمل بأقل قدر ممكن وفقا لرغبتهم (ص. 62).[83] إن الاختلاف في قانون السكان بين الطبقات اقتصادي وليس جينيّا أو وراثيًا (لا يوجد بالفعل في أعمال مالتوس ما يشير إلى أنه كان يقدم حجة اجتماعية بيولوجية ضد الفقراء. (راجع إيلوال، 2001).[84] يتحكّم الأثرياء في إنجابهم لأنهم يعانون من العواقب المالية في حين أن أولئك الذين يعيشون على الرّعاية لا يتحكّمون في ولاداتهم. المشكلة المنطقية هنا (التي لم يستطع مالتوس قبولها لأنها ستتعارض مع مصالح فئته) هي أنه عندئذٍ لا ينبغي ترك المجال للأثرياء ليكونوا موسرين وآمنين لأن هذا سيجعلهم كسالى ومنجبين؛ وإذا كانوا سيشعرون بالأمان كما شعر أكبر الأغنياء منهم بلا شك، فكيف يعقل ألّا يتكاثروا وفقا للمعدل «الطبيعي»؟ وإذا فعلوا ذلك، ألن يكون هذا كافيًا لاستنفاد طعام البقية بالنظر إلى المعدل الهندسي الأسي للزيادة في أعدادهم؟

لم يكن مالتوس بحاجة لبلوغ ذلك المستوى لأنه افترض أن الضوابط الوقائية للأثرياء كانت أقل قسوة بقليل من الضوابط الإيجابية التي تقع على الفقراء. زعم مالتوس بأن تأخير الزواج وإشباع غريزة الجنس خارج كان أمرا قاسيا والذي يعتبر زعما جريئا بالنسبة لرجل دين. ربما كان يتحدث هنا انطلاقا من تجربة مباشرة حيث مارس العزوبة حتى زواجه وهو في سن 38. لماذا لا يتم ممارسة الجنس الترفيهي غير الإنجابي؟ من الواضح أنه كان كاهنًا. على الرغم من ذلك، فإن السؤال المثير للاهتمام هو دائمًا كيف يقدم مالتوس الحجة المنطقية في الدفاع عن وجهات نظره الكهنوتية والطبقية إذ لا يعود ذلك إلى طبيعتها في حدّ ذاتها. وانتقد كوندورسيه ووافقه الرأي القائل بأنّ الناس يمكنهم في مرحلة ما في المستقبل أن يحدوا من أعدادهم ويشبعوا غرائزهم الجنسية ولكن فقط باللجوء إلى «علاقات جنسية مختلطة خارج إطار الزواج" والتي من شأنها أن تمنع التكاثر أو إلى وسائل أخرى غير طبيعية» (مالتوس، 1798، ص 48).[85] المصطلح العمليّ هنا هو «غير طبيعي». إذا خلق الله العالم الطبيعي، فعندئذٍ يعتبر غير طبيعي كلّما يتعارض مع إرادته. وتتمثّل إرادته في أن يعمّر الناس الأرض لا أن يجلسوا مكتوفي الأيدي ويتمتعوا بثمارها. إن قدسية العمل هذه هي جوهر الأخلاق البروتستانتية وأصول تراكم رأس المال (ويبر، [1934] 2002).[86] يقدم مالتوس أيضًا حججًا مفيدة أخرى ضد «رذيلة» الجنس غير الإنجابي مثل أنه يحط من الأخلاق

83 Malthus, 1798, p.62.

84 Elwell, 2001.

85 Malthus, 1798, p. 48.

86 Max Weber, *The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism: And Other Writings,* Penguin, 2002.

أو يسبب المرض مما يزيد في ضروب التعاسة (ص 48).[87] لكن نقطته الرئيسية هي أن الجنس غير الإنجابي يتعارض مع الطبيعة والإرادة الإلهية. يُلبس الدين لبوس العلم طبيعي وتوفر الأيديولوجيا العمود الفقري لمنطقه دائري.

من هذا المنظور فقط يمكن للمرء أن يفهم معارضة مالتوس الشديدة لتحديد النسل. إذا كان مهتمًا بالفعل بخطر الاكتظاظ السكاني، فإنه سيدافع أو على الأقل يعاقب على استخدام وسائل منع الحمل والطرق الأخرى لممارسة الجنس دون انجاب. ولكنه لم يفعل وتجاهل توسلات معاصريه للقيام بذلك (وينش، 1987).[88] في الطبعة الخامسة من المقال، ذهب إلى أبعد من إدانة «الأنماط الاصطناعية وغير الطبيعية لضبط عدد السكان»، بسبب «ميلهم لإزالة الحافز الضروري للصناعة» (مالتوس، 1817، ص. 393، عن بيريلمان، 1979).[89] وعلى وجه التحديد: أراد مالتوس نموًا سكانيًا بلا رادع لأن هذا ما أراده الله وهذا ما تحتاجه طبقته: عمال مجتهدون بأجر زهيد.

لا أجادل هنا في أن مالتوس كان مخطئًا لأنه فشل في التنبؤ بتحديد النسل. كان مالتوس مخطئًا لأنه اختار تكتيكيًا تجاهل قدرة البشر على الحد من أعدادهم وهي قدرة كانت جليّة في كل مكان من حوله. تثبت الأدلة التي قدمتها من المقال أنه كان مدركًا تمامًا لهذه الاحتمالية، لكنه رفض الاعتراف بذلك، لأنه ذلك كان يمكنه على الأرجح أن ينسف حجته بأكملها ويدحض أيديولوجيته وقناعاته الأخلاقية. تذكروا بأنّ مالتوس لم يكن ديموغرافيًا ولم يكن إلا فيلسوفًا يدافع عن استحالة وجود مجتمع بلا طبقات. إنّ السماح للبشر بالحد من أعدادهم يلغي الندرة طبيعية والأسوأ من ذلك أن يكون هناك بالفعل ما يكفي للجميع للحصول على حصّة جيّدة. تتمثّل الملاحظة الأكثر شيوعا في أنّه يمكن للبشر، أن يحدوا من غرائزهم الإنجابية أو الترفيهية بشكل فردي وجماعي، وغالبا ما يفعلون ذلك، في مواجهة عواقب عدم الإقدام على ذلك، وهذه الفكرة هي على وجد التحديد التي تدمر «أسطورة الندرة» (زينوس،1987) .[90]

يعتبر مالتوس متشائمًا قصير النظر لما سبق وليس لأنه لم يتوقع التقدم التكنولوجي. إنه كذلك لأنه *لم* يكن يرغب في رؤية حقيقة الابتكار والتغيير الإجتماعيين. لم يرغب مالتوس في تخيل مستقبل تتمتع فيه النساء بعلاقات جنسية حرة دون أن تنجب أطفالًا دون أن تكنّ عاهرات ودون أن يعاني أيّ شخص نتيجة ذلك الخيار. لم يستطع مالتوس تخيل حركة نسوية أو حركة لحقوق

87 Malthus, 1798, p. 48.

88 Donald Winch, *Malthus (Past Masters Series),* Oxford University Press, Oxford, 1987.

89 Thomas Malthus, *Essay on Population*, 5th Edition, Johnson, London, 1817, p.393; Perelman, 1979.

90 Xenos, 1987.

مجتمع الميم. لم يستطع تخيل الحوافز الحكومية للحد من النمو السكاني. ومن المؤكد أنه سيفزع إذا ما عرف أن مجموعة من النسويات والأناركيين والاشتراكيين سوف يجتمعون في عام 1900، بعد 66 عامًا من وفاته متحدين تحت اسمه في مؤتمر المالتوسيين الجدد الأوّل (مارتينز-آلبير وماسجوان، 2005)[91] للمطالبة بحق المرأة في تحديد النسل كجزء من استراتيجية ثورية للإطاحة بالطبقة الحاكمة التي عمل مالتوس على رعايتها. ما لم يستطع مالتوس تخيّله هو أن العلوم الاجتماعية تغيّر العالم الذي تدعي وصفه ولحسن الحظ أنّ ذلك لا يكون دائما بنفس الأساليب التي تفترضها.

91 Joan Martinez-Alier, "Neo-Malthusians*", Degrowth. A vocabulary for a new paradigm,* (eds.) G. D'Alisa, G. Demaria, F. and G. Kallis, Routledge-Earthscan, 2015.

## المراجع

Bookchin, M., 1971. Post-scarcity anarchism. San Francisco: Ramparts Press.

Burke, E., 1826. Thoughts and Details on Scarcity (1795). The Works, London, 7.

Costanza, R., Cumberland, J.H., Daly, H., Goodland, R., Norgaard, R.B., Kubiszewski, I. and Franco, C., 2014. An introduction to ecological economics. CRC Press.

D'Alisa, G. Demaria, F. and G. Kallis (eds), 2015. Degrowth. A vocabulary for a new paradigm, Routledge-Earthscan.

Dale, G., 2012. Adam Smith's Green Thumb and Malthus's Three Horsemen: Cautionary Tales from Classical Political Economy. Journal of Economic Issues, 46(4), pp.859-880.

Daly, H., 2015. Mass migration and border policy. real-world economics review, p.130.

Daly, H., 1971. A Marxian-Malthusian view of poverty and development. Population Studies, 25(1), pp.25-37.

Daly, H.E., 1991. Steady-state economics: with new essays. Island Press.

Daoud, A., 2010. Robbins and Malthus on scarcity, abundance, and sufficiency. American Journal of Economics and Sociology, 69(4), pp.1206-1229.

Davis, M., 2002. Late Victorian holocausts: El Niño famines and the making of the third world (p. 529). London: Verso.

Dean, M., 2015. The Malthus effect: Population and the liberal government of life. Economy and Society, 44(1), pp.18-39.

Ehrlich Paul, R., 1968. The population bomb. Ballantine, New York.

Ehrlich, P.R., Bilderback, L. and Ehrlich, A.H., 1979. The golden door: international migration Mexico and the United States.

Ehrlich, P.R., Ehrlich, A.H. and Holdren, J.P., 1977. Ecoscience: population resources environment.

Elwell, F.W., 2001, Malthus' Social Theory, Retrieved May 12, 2016, http://www.faculty.rsu.edu/~felwell/Theorists/Malthus/Index.htm (excerpt from Elwell, F. W. 2001. A Commentary on Malthus' 1798 Essay on Population as Social Theory. Lewiston, NY: Edwin Mellen Press, 2001.)

Engels, F., 1844. The myth of overpopulation, from Outlines of a critique of political economy.

Federici, S. (2009) The devaluation of women's labor, In Salleh, A (ed), Eco-sufficiency and global justice. Women write political ecology, Pluto Press

Foucault, M., 1970. The order of things: An archaeology of the human sciences. Psychology Press.

Frank, R.H., 1999. Luxury fever: Money and happiness in an era of excess. Princeton University Press.

Galbraith, J.K., 1998. The affluent society. Houghton Mifflin Harcourt.

Galor, O. and Weil, D.N., 1999. From Malthusian stagnation to modern growth. The American Economic Review, 89(2), pp.150-154.

Glassgold, P., 2012. Anarchy!: An Anthology of Emma Goldman's Mother Earth. Counterpoint Press.

Goldman, E. 1916, The Social Aspects of Birth Control, Mother Earth, XI (2). reprinted In Glassgold, P., 2012. Anarchy!: An Anthology of Emma Goldman's Mother Earth. Counterpoint Press.

Gordon, S. (1980). The economics of the afterlife, Journal of Political Economy, 88(1): 213-214

Gramsci, A., 1971. Selections from the Prison Notebooks, ed. and trans. Quintin Hoare and Geoffrey Nowell Smith. New York: International.

Hardin, G., 1968. The tragedy of the commons. science, 162(3859), pp.1243-1248.

Hardin, G., 1971. The survival of nations and civilization. Science, 172(3990), p.1297.

Harris, M., 1989. Cows, pigs, wars, & witches: the riddles of culture. Vintage.

Hartmann, B., 2014. Converging on disaster: Climate security and the Malthusian anticipatory regime for Africa. Geopolitics, 19(4), pp.757-783.

Harvey, D., 1979. Population, resources, and the ideology of science (pp. 155-185). Springer Netherlands.

Heilbroner, R.L., 1999. The worldly philosophers: The lives, times and ideas of the great economic thinkers. Simon and Schuster.

Heller, A., 1976. The theory of need in Marx (No. 5). Allison & Busby.

Hirsh, F. 1976, Social limits to growth, Routledge and Kegan Paul

Hodgson, G.M., 1993. Economics and evolution: bringing life back into economics. University of Michigan Press.

Homer-Dixon, T.F., 2010. Environment, scarcity, and violence. Princeton University Press.

Kallis, G. and H. March, 2015. Imaginaries of Hope: the dialectical utopianism of degrowth. Annals of the Association of the American Geographers. 105 (2): 360-368

Kallis, G., 2015. Social limits of growth. In D'Alisa, G. Demaria, F. and G. Kallis (eds), Degrowth. A vocabulary for a new paradigm, Routledge-Earthscan.

Kaplan, R.D., 1994. The coming anarchy. Globalization and the Challenges of a New Century: A Reader (Bloomington: Indiana University Press, 2000), pp.34-60.

Keynes, J.M., 1933. Economic possibilities for our grandchildren. Essays in persuasion, pp.358-73.

Krugman, P. (2008), Malthus was right!, The conscience of a Liberal, New York Times, March 25 2008.

Lohmann, L., 2005. Malthusianism and the Terror of Scarcity. Making threats: Biofears and environmental anxieties, pp.81-98.

Malthus, T. 1817, Essay on Population, 5th Edition, London: Johnson

Malthus, T., 1798. An Essay on the Principle of Population, as it affects the future improvement of society with remarks on the speculations of Mr. Godwin, M. Condorcet and other writers. London: printed for J. Johnson, in St Paul's Church-yard, St. Paul's Church-yard, London.

Martinez-Alier, J. (2015), Neo-Malthusians, In D'Alisa, G. Demaria, F. and G. Kallis (eds), 2015. Degrowth. A vocabulary for a new paradigm, Routledge-Earthscan, pp. 125-128

Martinez-Alier, J. and Masjuan, E., 2005. Neomalthusianism in the early 20th Century. Encyclopedia of Ecological Economics. Available at Isecoeco.org

Meadows, D.H., Meadows, D.L., Randers, J. and Behrens, W.W., 1972. The limits to growth. New York

Meek, R.L., 1953. Marx and Engels on Malthus. London: Lawrence and Wishart.

Mill, J.S., 1848. Of the stationary state. Principles of political economy Book IV: Influence of the progress of society.

Mitchell, T., 2011. Carbon democracy: Political power in the age of oil. Verso Books.

Nally, D. 2016, Imagine all the people: Rockefeller philanthropy, Malthusian thinking and the "peasant problem" in Asia, In citation missing.

Nelson, R.R., 1995. Recent evolutionary theorizing about economic change. Journal of economic literature, 33(1), pp.48-90.

Paley, W., 1790. The principles of moral and political philosophy. B. and S. Collins.

Phillips, L. 2015, Austerity ecology and the collapse-porn addicts, Zero Books.

Population Matters (2016), Why Malthus is still relevant today, available at http://populationmatters.org/documents/why_malthus_is_still_relevant_today.pdf (accessed 12 May 2016)

Ricardo, D., 1891. Principles of political economy and taxation. G. Bell and sons.

Robbins, L., 2016. Essay on the nature and significance of economic science. Springer.

Robertson, T., 2012. The Malthusian moment: global population growth and the birth of American environmentalism. Rutgers University Press.

Rockström, J., Steffen, W., Noone, K., Persson, Å., Chapin, F.S., Lambin, E.F., Lenton, T.M., Scheffer, M., Folke, C., Schellnhuber, H.J. and Nykvist, B., 2009. A safe operating space for humanity. Nature, 461(7263), pp.472-475.

Ronsin, Francis, 1980. La grève des ventres. Propagande neo-malthusienne et baisse de la natalite en France 19-20 siècles. Aubier-Montaigne. Paris.

Sassower, R., 1990. Scarcity and setting the boundaries of political economy. Social epistemology: a journal of knowledge, culture and policy. 4(1): 75-91

Sayre, N.F., 2008. The genesis, history, and limits of carrying capacity. Annals of the Association of American Geographers, 98(1), pp.120-134.

Selby, J. and C. Hoffman (2016), Divided Environments: Water wars and Climate conflict revisited

Skidelsky, R.J.A. and Skidelsky, E., 2012. How Much is Enough?: The Love of Money and the Case for the Good Life. Penguin UK.

Vogt, W., 1948. Road to survival.

Weber, M., 2002. The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism: and other writings. Penguin.

Weisskopf, W.A., 1971. Alienation and economics. New York: Dutton.

Winch, D., 1987. Malthus. Past Masters Series. Oxford: Oxford University Press

Xenos, N., 1987. IV. Liberalism and the Postulate of Scarcity. Political theory, 15(2), pp.225-243.

Xenos, N., 1989. Scarcity and modernity. Routledge

# الأزمة الاقتصادية العالمية المعاصرة: نهج النظام العالمي

رسلان دزاراسوف

ان الأزمة الاقتصادية العالمية الحالية استمرت على مدى السنوات الخمس عشرة الماضية. بعد الانهيار المالي العالمي الكبير في الفترة 2008-2010 - عصر التوقعات المتضائلة - كما يقول بعض الاقتصاديين، بدأ عصر ما يسمى بـ «الركود العظيم»، وما زلنا نعيشه. ومع ذلك، فإن المشاكل الحالية للاقتصاد العالمي ترتبط عادة بتأثير التدابير الوبائية الناجمة عن كوفيد-19، والصراع العسكري الروسي الأوكراني. بالطبع، تسبب كلا الحدثين باضطرابات كبيرة وأضرار بالاقتصاد العالمي. ومع ذلك، في الواقع، بدأ الركود العظيم قبل فترة طويلة من عشرينيات القرن الحادي والعشرين. أود أن أؤكد أنه في السنوات الماضية، كانت حصة الاقتصادات التي احتضنها الركود هي الأعلى في المائة وخمسين (150) عامًا الماضية (البنك الدولي...، 2020، ص 5).[1] وهكذا، في الفترة 2020-2021، أي عشية أزمة الوباء وبضع سنوات قبل اندلاع الأزمة الأوكرانية، عانى عدد أكبر من البلدان من الركود أكثر من فترة الكساد الكبير في الثلاثينيات. تُظهر البيانات المتعلقة بالمتوسط المرجح لمعدل الربح في قطاع الشركات العالمي انخفاضًا ثابتًا في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين وانخفاضًا حادًا في الفترة 2017-2020 (روبرتس، 2020).[2] وهذا يعني أن الشروط المسبقة لموجة ثانية جديدة من الركود العالمي عادت إلى الظهور في الاقتصاد العالمي قبل فترة طويلة من الاضطراب الحالي، تمامًا كما حدث في وقت سابق في 2008-2010. يترتب على ذلك أن الاقتصاد العالمي يطارده بعض الأمراض العميقة. إن هذا هو موضوع الفصل الحالي.

### نهج النظام العالمي

يمكن تناول هذه المشكلة في إطار ما يسمى بتحليل النظام العالمي، والذي تطور بعد الحرب العالمية الثانية من قبل مثقفين مشهورين مثل إيمانويل والرشتاين (2004)، سمير أمين (2010)،

1 World Bank Group, "Global Economic Prospects: A World Bank Group Flagship Report-June 2020", p. 5.

2 Michael Roberts, "More on the World Rate of Profit", Michael Roberts Blog, 20 September 2020, https://thenextrecession.wordpress.com/2020/09/20/more-on-a-world-rate-of-profit/, last accessed on 14 January 2023.

أندريه جوندر فرانك (1978)، جيوفاني الريجهي (2010) وعدد من الباحثين المتميزين الآخرين. فعلى الرغم من الاختلافات الأخرى، فإنهم يركزون على التبادل غير المتكافئ بين جوهر الاقتصاد العالمي، الذي تمثله البلدان الرأسمالية المتقدمة، والمحيط الذي تمثله البلدان النامية. يركز الباحثون مثل واليرستين أيضًا على ما يسمى بالدول شبه المحيطية، والتي تقع في مكان ما بين القلب والمحيط، والتي أعتقد أن كل من تركيا وروسيا تنتمي إليها. هذه هي العوامل النظامية التي تميز الرأسمالية العالمية منذ البداية. يعتقد المؤرخون أن الرأسمالية ظهرت في مكان ما حوالي 1500 في البحر الأبيض المتوسط. منذ البداية، منذ صعود دول المدن التجارية الإيطالية، راكمت الاقتصادات الرأسمالية رأس المال على المستوى العالمي من خلال العلاقات غير المتكافئة بين القلب والمحيط. وطورت الرأسمالية العالمية عددًا من الطرق حول كيفية التحكم في الأطراف وكيفية الحصول على دخل إضافي من الأطراف.

اقترح خبير اقتصادي لامع من أمريكا اللاتينية راؤول بريبيش (1901-1986) فكرة «التنمية التابعة"، وشرح (دوسمان، 2008)[3] هذه الظاهرة بأنه ركز على ما يسمى بتفاوت الأسعار. تحت هذا المصطلح كان يقصد حقيقة أن مؤشر أسعار المواد الخام والمنتجات الزراعية في الاقتصاد العالمي في المتوسط يتراجع بشكل منهجي عن مؤشر أسعار المنتجات المصنعة. وأعرب عن اعتقاده أن هذا يعني أنه يتعين على البلدان النامية كل عام بيع المزيد والمزيد من منتجاتها من أجل شراء نفس الكمية من المنتجات التي تقترحها الشركات عبر الوطنية من البلدان الأساسية كل عام. بالطبع، هذا يسبب التنمية التابعة للأمم. ومع ذلك، فقد اعتقد أن هذه مجرد مشكلة فنية، يمكن حلها عن طريق ما يسمى «استبدال المدخلات». في الواقع، فشلت هذه الاستراتيجية في أمريكا اللاتينية. تم الكشف عن أسباب ذلك من خلال زيادة تطوير تحليل النظام العالمي. تبنى الأخير فكرة التفاوت في الأسعار لكنه اقترح عددًا من الرؤى المهمة الأخرى حول العلاقات غير المتكافئة بين النواة والمحيط التي يقوم عليها التراكم العالمي.

من الجدير تحديد مفهوم «تطور التخلف» الذي اقترحه المفكر الأمريكي اللامع من أصل ألماني أندريه جوندر فرانك (1929-2005)، الذي كان اقتصاديًا ومؤرخًا وعالم اجتماع يفهم بعمق مشاكل التنمية. لا سيما مشاكل التنمية في أمريكا اللاتينية والدول الآسيوية كذلك. في عدد من الأعمال وصف التراكم العالمي لرأس المال مع التركيز بشكل خاص على مصير أمريكا اللاتينية

3 Edgar J. Dosman, *The Life and Times of Raul Prebish,* 1901-1986*,* Montreal & Kingston, McGill-Queen's University Press, London, 2008.

والصين والهند وأفريقيا[4] (انظر، على سبيل المثال، فرانك، 1966 ،1978). توصل إلى استنتاج مفاده أن الدول الرأسمالية المتقدمة وسعت الرأسمالية إلى البلدان النامية في محيط العالم، في البداية على شكل استعمار، وهناك عن طريق السياسة الاستعمارية الجديدة، حولت كل من الإنتاج في هذه البلدان وعلاقاتها الاجتماعية. أدى تحول إنتاج المجتمعات التابعة إلى تقليص اقتصاداتها المتنوعة نسبيًا إلى الزراعة الأحادية. وهذا يعني أن هذه البلدان تركز الآن بشكل أكبر على توريد عدد قليل من المنتجات التي يطلبها التصنيع في البلدان المتقدمة. يتبع ذلك في الوقت نفسه تحول في هياكلهم الاجتماعية، مما يحرم الفلاحين من الوصول إلى الأرض، مما يحولها إلى مجموعة من العمالة الرخيصة المتاحة للاستغلال من قبل البرجوازية الناشئة. يتم تجنيد هذا الأخير من ملاك الأراضي السابقين. هذه النخبة الجديدة تفترض شخصية محددة. في أمريكا اللاتينية، أُطلق عليها اسم «برجوازية كومبرادور»، مما يعني أنها تعمل كوكيل لرأس المال عبر الوطني للبلدان المتقدمة، وتتوسط في استغلال السكان والموارد الطبيعية في البلدان التابعة من أجل تراكم رأس المال بواسطة الشركات عبر الوطنية. على هذا الأساس، يعمل الاستعمار في الصين والهند وأمريكا اللاتينية وعدد من البلدان الأخرى.

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن هذه المشاكل كانت متوقعة من خلال الخلافات بين الشعبويين والماركسيين في روسيا في القرن التاسع عشر، حيث كانت مناقشة وجهات نظر التطور الرأسمالي هي محور المناقشات. جادل الشعبويون بأن الرأسمالية لا يمكن أن تتطور في روسيا لأن السوق العالمية قد استولت عليها بالفعل البلدان المتقدمة، في حين أن السوق المحلية الوطنية كانت ضيقة للغاية بحيث لا توفر مساحة للتراكم اللائق لرأس المال. على هذا الأساس، جادل الشعبويون بأن على روسيا أن تتجنب انتقال الرأسمالية إلى الاشتراكية بدون مرحلة التطور الرأسمالي. في البداية، انتقدهم الماركسيون وقالوا إن الرأسمالية تتطور في روسيا، تمامًا كما هو الحال في الدول الغربية، وإن كان ذلك بتأخير معين. ومع ذلك، في مطلع القرن العشرين، انقسم الماركسيون بين المناشفة والبلاشفة. أصر الأول على مرحلتين من الثورة الروسية المستقبلية، معتقدين أن التطور الرأسمالي يجب أن يعمل بكامل طاقته قبل أن تحدث الثورة الاشتراكية. على عكسهم، طور لينين نظريته الشهيرة عن «نمو الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الثورة الاشتراكية». إنها تفترض أن الرأسمالية الروسية معيبة - السلسلة الضعيفة للإمبريالية - وهذا هو السبب في أن البرجوازية

4 Andre Frank, “Dependent Accumulation and Underdevelopment”, The Macmillan Press ltd, London, 1978.; A. Frank, “The Development of Underdevelopment”, *Monthly Review,* Vol. 18, No. 4, 1966, p.21.

الروسية، المعتمدة بشكل كبير على القيصرية والرجعية للغاية، لن تكون قادرة على قيادة الثورة الديمقراطية. في غياب القيادة من جانب الدوائر البرجوازية الديمقراطية، ستنتقل الثورة حتما إلى التحول الاشتراكي. كان هذا ترقبًا لفكرة «الرأسمالية المتخلفة»، المشلولة بسبب العلاقات غير المتكافئة بين الجوهر والأطراف. وفي الواقع، تؤكد الدراسات الحالية حول كيفية تطور الرأسمالية في العصور القيصرية في روسيا (انظر، على سبيل المثال، (كاغارليتسكي، 2008) على حقيقة أن القيصرية الروسية دعت رأس المال الغربي على أساس تصدير الحبوب إلى أوروبا. دفع الفلاحون الروس ثمناً باهظاً لهذا الغرض. تم تحقيق تراكم احتياطيات الذهب والعملات الأجنبية على حساب تدهور الزراعة الروسية، مما خلق شروطًا مسبقة لمشاركة الفلاحين الروس في الثورة الروسية. لذا فإن التطور الروسي يتناسب تمامًا مع الصورة العالمية التي اقترحها تحليل النظام العالمي.

### النظام العالمي الحالي

في هذه الخلفية التاريخية، ينبغي النظر الى الرأسمالية العالمية الحالية وتقييمها. دعونا ننظر الى الشكل 1. فهو يعكس هيكل الصادرات من البلدان النامية في 1980-2003،

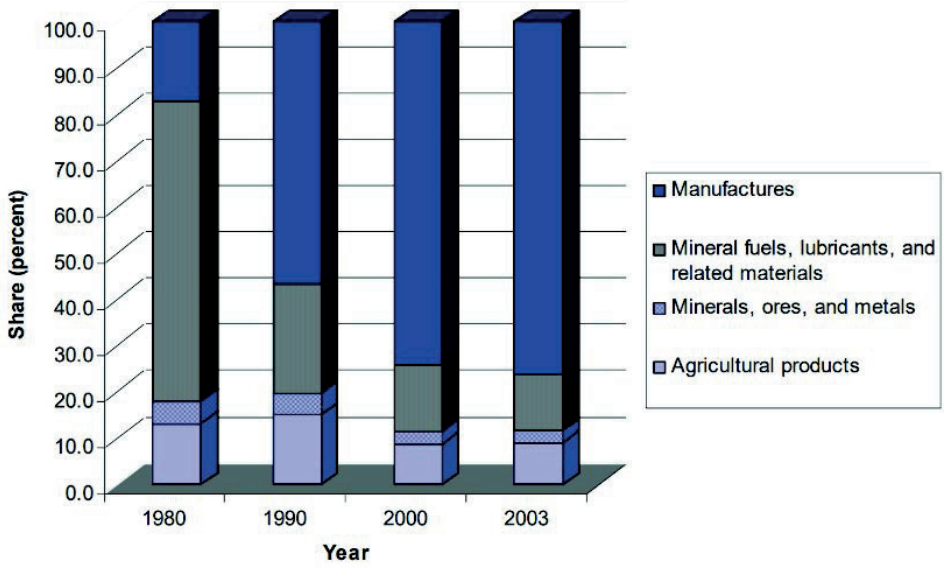


**الشكل 1:** تكوين صادرات البضائع من البلدان النامية حسب مجموعة المنتجات الرئيسية، 1980-2003.[5]

5 Arslan Razmi, Robert, Blecker, "Developing Country Exports of Manufactures: Moving Up

يوضح الشكل أعلاه كيف تغيرت العلاقات بين النواة والمحيط في العقود الأخيرة من القرن العشرين. تعكس الرسوم البيانية هيكل صادرات البلدان ذات الدخل المنخفض والمتوسط إلى البلدان ذات الدخل المرتفع. إذا أخذنا البيانات من عام 1980، فإننا نرى أن 20٪ فقط من هذا التصدير تم تمثيله بالتصنيع، بينما تم تمثيل 80٪ بمجموعات مثل المواد الخام والمعادن والمنتجات الزراعية. إذا انتقل المرء من ثمانينيات القرن الماضي إلى بيانات عام 2003، فإن المرء يرى الصورة المعاكسة. الآن، تمثل مجموعات التصنيع 80٪ من الصادرات، بينما تمثل 20٪ فقط المواد الأساسية والمنتجات الزراعية. هذا تحول هائل. إذا اعتقد المرء أن هذا يعني أن مشاكل التنمية قد تم حلها بنجاح وأن البلدان النامية قد وصلت أخيرًا إلى هدف التنمية الصناعية العالية، فإن مثل هذه الصورة المتفائلة ستكون سابقة لأوانها. التغيير المذكور أعلاه هو نتيجة التحول العالمي الهائل للإنتاج من شمال الكرة الأرضية إلى الجنوب العالمي في العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة بدءًا من الثمانينيات.

كان هذا استجابة للرأسمالية العالمية لما يسمى بأزمة «التضخم المصحوب بالركود» في أوائل السبعينيات، والتي أنهت العصر الذهبي للرأسمالية بعد الحرب العالمية الثانية. في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، تمتعت الدول الغربية بمعدلات أعلى من النمو الاقتصادي ودول الرفاهية الاجتماعية، ومعدلات عالية من التقدم التقني، وجادل بعض الناس في الاتحاد السوفيتي (ليس رسميًا، ولكن في المحادثات غير الرسمية بالطبع) بأن الرأسمالية حلت كل الجوانب الاجتماعية. المشاكل التي حاولت الاشتراكية حلها. ومع ذلك، تناقض التضخم المصحوب بالركود التضخمي مع هذا الفهم المتفائل، وانخفضت أرباح الشركات. وجد رأس المال الأساسي استجابة لهذه الأزمة بتحويل عبء الإنتاج إلى الأطراف (ديكين، 2003)،[6] في محاولة للاستفادة من العمالة المحلية الرخيصة. دعونا ننظر في الشكل 2.

the Ladder to Escape the Fallacy of Composition?", *The Journal of Development Studies,* Vol.44, No.1, 2006, p.44.

6 Peter Dicken, *Global Shift: Reshaping the Global Economic Map in the* 21-*st Century*, SAGE Publications Inc, London, 2003.

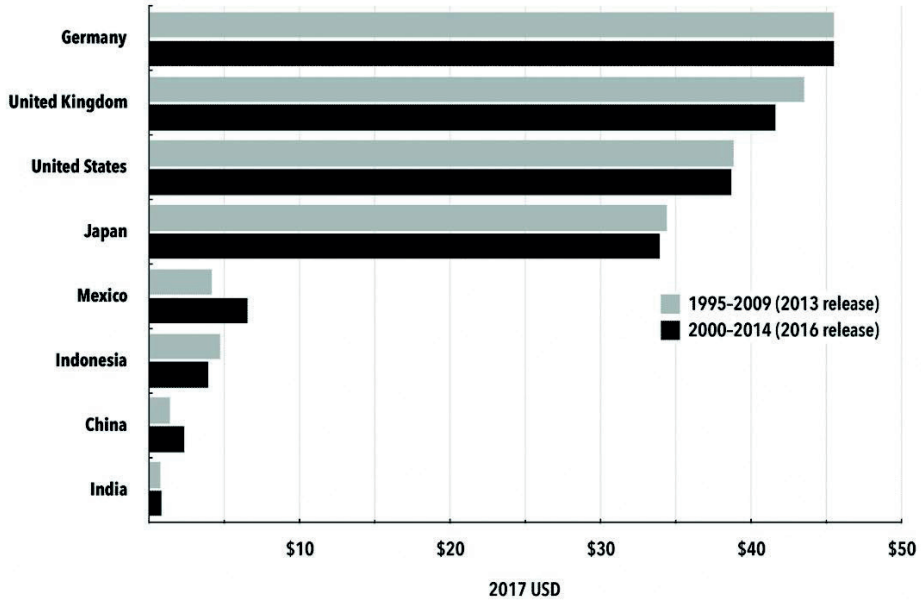


**الشكل 2. متوسط الأجر بالساعة في التصنيع، 2017 بالدولار الأمريكي** المصدر: سواندي وآخرون، 2019,[7]

يعرض الشكل بيانات معينة عن العلاقة بين معدلات الأجور في البلدان الأساسية و الأطراف. يمكن للمرء أن يرى أن الاختلاف هائل. إذا أخذنا الصين ومتوسط معدل الأجور الحقيقي في الصناعة في هذا البلد، الآن، وحتى الآن بعد أن بدأت الأجور في النمو في الصين فإنها لا تزال تمثل جزءًا بسيطًا من متوسط معدل الأجور الحقيقي في الصناعة الأمريكية. وربما هذا هو سبب فشل دونالد ترامب في الوفاء بتعهده بإعادة الإنتاج إلى أمريكا. وبالطبع، كانت هذه العمالة الرخيصة المصدر الرئيسي لنمو دخول الشركات الغربية متعددة الجنسيات في العقود الماضية. في النهاية، فإن لها عواقب وخيمة على الاقتصاد العالمي. بداية شهد الاقتصاد العالمي توسعًا مفاجئًا في القوة العاملة العالمية. في الثمانينيات، بلغت القوة العاملة العالمية ما يقرب من 1.5 مليار عامل. في غضون عقدين، عشية الألفية الجديدة، أصبح الآن أكثر من 32.3 مليار.[8] لأول مرة في التاريخ، تجاوز

7 Suwandi et al ,2019

8 David Clark, "Number of Employees Worldwide 1991-2022", Statista Internet-resource, 7 December 2022, https://www.statista.com/statistics/1258612/global-employment-figures/, last accessed on 15.01.2023.

عدد العمال في العالم نسبة الفلاحين الذين يعملون على أساس القوة اليدوية. لم يحدث هذا التوسع المفاجئ في القوة العاملة العالمية على أساس التقدم التقني وزيادة الإنتاجية، ولكن بشكل أساسي على أساس عمليات الإنتاج كثيفة العمالة.

انخفضت نسبة رأس المال / العمالة العالمية في التسعينيات من القرن الماضي بنسبة -55 60٪ (فريمان، 2010)،[9] مما يعني أن العالم سار في الاتجاه المعاكس للتقدم التقني، مما أدى إلى عدد من النتائج المهمة للغاية. يعتمد تأثير هذا التحول العالمي للإنتاج على معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي على نقص الطلب الكلي على النطاق العالمي فيما يتعلق بإجمالي العرض في الثلاثين عامًا الماضية. أدى تصنيع الصين والهند والمكسيك والعديد من البلدان الأخرى إلى نمو هائل في القدرات الإنتاجية. ومع ذلك، فإن الطلب العالمي الإجمالي يتراجع، مما أدى إلى نمو القدرات الإنتاجية العاطلة في جميع أنحاء العالم. بدوره، أدى هذا الانخفاض المشروط في الإنتاجية في اقتصاد القطاع الحقيقي، إلى انخفاض معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي (برينر، 2009، ص 8)[10] قبل الانهيار المالي العالمي.

انخفضت الاستثمارات والمدخرات العالمية كحصة من الناتج المحلي الإجمالي العالمي في الخمسين عامًا الماضية بشكل كبير (المرجع نفسه) مرة أخرى بعد هذا التحول العالمي للإنتاج من شمال الكرة الأرضية إلى جنوب الكرة الأرضية. أدى هذا إلى الانهيار المالي. لعقود من الزمان، كان السوق المحلي الأمريكي، على سبيل المثال، ينمو بسبب نمو الديون الاستهلاكية وفي حالة ركود الأجور وركود الدخل الحقيقي للعمالة المأجورة. أدى ذلك إلى أزمة الرهن العقاري الشهيرة في عام 2007، والتي عجلت بهذا الركود العالمي. في الوقت الحالي، لا تزال هذه المشاكل تؤثر على الاقتصاد العالمي. هذا الطلب الكلي غير الملائم، الناتج عن انخفاض الأجور الحقيقية في الاقتصاد العالمي، هو السبب الرئيسي وراء معاناة العالم من الركود العظيم.

يمكن أيضًا إرجاع النمو غير المسبوق للمضاربات المالية، التي أصبحت واحدة من أبرز سمات الرأسمالية الحديثة، إلى التحول العالمي للإنتاج من القلب إلى المحيط. استجابة للانحدار

9 Richard Freeman, "What really ails Europe (and America): the doubling of the global workforce", *The Globalist*, 5 March 2010, https://www.theglobalist.com/what-really-ails-europe-and-america-the-doubling-of-the-global-workforce/. Last accessed on 17.01.2023.

10 كان هذا الأمر واضحاً منذ مطلع التسعينيات. على سبيل المثال, فإن ربع إمكانيات انتاج السيارات في العالم كان مثالياً في عام 1985 , أما في العام 1995 فإن هذا المؤشر كان قد نمى بمقدار 30٪ وحتى 36٪ بنهاية العقد. والمثل ينطبق على قطاعات عالمية أُخرى كالملاحة العالميةو صناعات وانتاج الصلب والمعادن و الموصلات والكيماويات. Greider 1998, ص 111,112

الدراماتيكي لأرباح الشركات في السبعينيات، تمت إعادة هيكلة قطاع الشركات الأمريكية. مرت عبرها موجة من إعادة توزيع حقوق الملكية نتيجة عمليات الاستحواذ العدائية. تم تقليص حجم الشركات وتجريدها من الأصول غير الأساسية المزعومة، مما سمح بقطع رأس المال الدائري وصناديق الاستثمار لزيادة مدفوعات الأرباح (بلير، 1993)[11]. تم ذلك بهدف واحد - زيادة أسعار الأسهم. أدت هذه العملية، التي أطلق عليها اسم «ثورة المساهمين»، إلى تعظيم قيمة المساهمين لتحل محل النمو طويل الأجل باعتباره الهدف الرئيسي للشركات الأمريكية (لازونيك وأوسوليفان، 2000).[12] في مثل هذه الظروف، استحوذت وول ستريت (رأس المال المالي) على مين ستريت (رأس المال الصناعي)، وفرضت على هذا الأخير قصرها الداخلي (Ho، 2009).[13] سهلت عملية ما يسمى بالتمويل هذه الاستعانة بمصادر خارجية للإنتاج للشركاء في المحيط.

في الأساس، حولت الرأسمالية الحديثة تركيزها من الإنتاج إلى الأنشطة المالية، التي كانت تفترض بشكل متزايد طبيعة المضاربة. عشية الانهيار العالمي في عام 2007، تجاوز مجموع رسملة الأسهم والتزامات الديون والأصول المصرفية الناتج المحلي الإجمالي العالمي بمقدار 4،4 مرات، في حين أن سوق الظل للمشتقات سيئة السمعة بلغ 600 تريليون دولار (!)، وهو أكبر بأحد عشر مرة من الناتج المحلي الإجمالي العالمي (بيرش وميكينكو، 2010، ص 13).[14]

نظرًا لأن السبب الأعمق للركود العظيم الحالي هو عدم كفاية معدلات الأجور في الأطراف، فإن أهم شرط لبدء النمو الحقيقي للناتج المحلي الإجمالي العالمي والتنمية هو زيادة معدل الأجور على مستوى العالم. من المستحيل تحقيق ذلك في نظام العلاقات الحالي لأن الدول التي تزيد معدلات الأجور الحقيقية ستفقد التنافسية الدولية، وهو ما يحدث مع الصين في الوقت الحاضر. هناك دليل على أن المنافسين قادرون على استبدال الصين في الأسواق العالمية بعد نمو معدلات الأجور في هذا البلد (انظر، على سبيل المثال (BS، 2022). ومع ذلك، إذا ارتفعت معدلات الأجور في جميع أنحاء العالم، فسيؤدي ذلك إلى القضاء على أهم بُعد في الأزمة الاقتصادية العالمية -

11 Margaret Blair, “Financial Restructuring and the Debate about Corporate Governance”, *The Deal Decade, What Takeovers and Leveraged Buyouts Mean for the Corporate Governance*, (ed.) M. Blair, The Brookings Institution, Washington D.C., 1993.

12 William Lazonick and Mary O’Sullivan, “Maximizing Shareholder Value: A New Ideology for Corporate Governance”, *Economy and Society*, Vol. 29, No. 1, 2000.

13 Karen Ho, *Liquidated: An Ethnography of Wall Street*, Duke University Press, Durham and London, 2009.

14 Kean Birch and Vlad Mykhnenko, “Introduction”, *The Rise and Fall of Neoliberalism. The Collapse of an Economic Order*?, (eds.) K. Birch and V. Mykhnenko, Zed Books, London-New York, 2010, p.13.

هذا الطلب الإجمالي العالمي غير الملائم. ومع ذلك، فإنه أمر مؤلم للغاية بالنسبة للنخب الحاكمة، التي تسيطر على الاقتصاد العالمي اليوم لأنه، في المقام الأول، يجب التغلب على هيمنة رأس المال المضارب المالي في الاقتصاد العالمي الحديث لصالح رأس المال الصناعي. ولكن إذا تم تنفيذ ذلك فستجد الرأسمالية العالمية على الفور أن الإنتاج قد تحول من الدول الغربية إلى آسيا، على الأقل تحول إلى حد كبير. وفي ظروف هيمنة رأس المال الصناعي، ستتحول الهيمنة العالمية إلى الدول الآسيوية. لذا فإن هذا ضار جدًا بالنخب الحاكمة والدول القومية التي تهيمن على النظام العالمي الحالي. هذه هي المشكلة الأكثر أهمية. ومع ذلك، بدون مثل هذا النمو في معدلات الأجور العالمية، من المستحيل إيجاد حل طويل الأجل للأزمة الاقتصادية العالمية الحالية.

**المدى القصير للرأسمالية الروسية وموقعها في النظام العالمي**[15]

أصبح المدى القصير لرأس المال الروسي الكبير أحد أكثر السمات دلالة للرأسمالية الروسية الحالية، وهو مرتبط بمكانة روسيا في الاقتصاد العالمي. القطاعات الأكثر ربحًا في الاقتصاد الروسي هي تلك التي تصدر المنتجات وتكتسب العملات الصعبة في السوق العالمية، العملة الاحتياطية العالمية، الدولار الأمريكي. وتنتج هذه القطاعات المواد الخام والموارد الطبيعية والمعادن والأسمدة أو بعض المنتجات الأخرى بمستوى منخفض من معالجة المواد الخام. إنها مربحة أكثر بكثير من التصنيع الروسي. يؤدي مثل هذا الوضع إلى تدهور التصنيع في الاقتصاد الروسي، وجعله أكثر عرضة للصدمات الخارجية، والتي غالبًا ما تكون مدمرة للغاية في عصر الركود العالمي. مشكلة مؤسسية أخرى هي أن رأس المال الروسي الكبير يعتمد على نموذج سلطوي للغاية لحوكمة الشركات، والذي يتعلق بمصدرين رئيسيين.

أولاً، انحطاط البيروقراطية السوفيتية التي كانت تسيطر على جميع الموارد الاقتصادية في الاتحاد السوفيتي. في المراحل الأخيرة من التاريخ السوفيتي، تمتعت البيروقراطية بشكل متزايد بسيطرة غير رسمية أكبر وأكبر على الموارد الاقتصادية، واستخدمت هذه السيطرة غير الرسمية للإثراء الخاص. خلق هذا شروطًا مسبقة للتحول إلى الرأسمالية في المجتمع السوفيتي. ثانيًا، يمكن إرجاع جذور النموذج الروسي الحالي لحوكمة الشركات إلى تأثير الرأسمالية العالمية الحديثة الممولة. في أوائل التسعينيات، عندما انهار النظام السوفيتي وأدخلت إصلاحات جذرية للسوق في روسيا، تمتعت الرأسمالية العالمية، وخاصة النخبة الحاكمة الأمريكية، بتأثير هائل على مسار إصلاحات السوق، وتم تقديم مبادئ إجماع واشنطن الشهير. وكانوا أساس إصلاحات السوق الروسية،

15 . إن هذا القسم من المقالة مبني على كتاب دزراسوف 2014

تمامًا كما هو الحال في أساس إصلاحات السوق في جميع الجمهوريات السوفيتية السابقة أيضًا. عزز هذا من السيطرة غير الرسمية للبيروقراطية السوفيتية المتدهورة على الأصول الأكثر ربحًا لمؤسسات الدولة السابقة. حدد هذا الجوهر الاجتماعي للخصخصة، على سبيل المثال، والذي كان في الواقع، الاستيلاء على أفضل الأصول، الأصول الأكثر ربحًا من قبل الأشخاص المقربين من السلطة. مثلت تدابير إصلاحات يلتسين، على سبيل المثال، تحرير الأسعار، في الواقع، تحولًا في الدخل القومي لصالح الأعمال التجارية الكبيرة الناشئة في روسيا. لذلك أدى كل هذا إلى النمو الهائل لعدم المساواة الاجتماعية في المجتمع الروسي. نتيجة لكل ذلك، تم تعزيز السيطرة غير الرسمية على الأصول في الشركات الروسية الكبرى وتحديد النمط الروسي لحوكمة الشركات.

المشكلة تكمن في أن المكانة في الاقتصاد العالمي تؤثر بشكل كبير على تطور حوكمة الشركات، وإذا اتبعت نموًا تقوده الصادرات، فستظهر من هذه المشكلات المعينة. إذا كانت الشركات الكبرى مهتمة باستثمار الأموال في الخارج في الأسواق المالية العالمية أكثر من اهتمامها بالتصنيع في بلدك، فأنت تتعامل مع رأسمالية إعادة التوزيع. وإذا أخذنا شركة روسية كبيرة، فيمكن تسمية الجزء الأكبر من دخولها بأنه ليس ربحًا صناعيًا، بل ريعًا، يتم اكتسابه بسبب التحكم في التدفقات المالية للمؤسسات. وهذا هو نتيجة هذا النموذج الاستبدادي للغاية لحوكمة الشركات. وهي تقوم على مجموعة من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية إلى حد كبير، والتي يمكن تسميتها بالبنية التحتية للرقابة. يتضمن عناصر خارجية وداخلية. يفترض الأول حماية غير رسمية من جانب موظفي الدولة وهياكل الضغط وشركات الأمن الخاصة وجماعات الجريمة المنظمة. تشمل العناصر الداخلية للبنية التحتية للرقابة: الرقابة المباشرة للمالكين الاستراتيجيين على الإدارة العليا، وإجراءات متطورة للغاية لمراقبة وتدقيق جميع أنشطة الموظفين، والإدارات الموسعة للأمن الداخلي. تم إنشاء هذه المؤسسات لحماية سيطرة الجماعات المهيمنة على الشركات من منافسيها الخارجيين ومن اختلاس الأموال من جانب موظفيها.

ان السمة الرئيسية للبنية التحتية للتحكم - هي طابعها غير الرسمي إلى حد كبير. وهذا يعني استحالة إصلاحه قانونيا وتوريثه للورثة. في نفس الوقت يمكن دائمًا تحديها. وتنتشر موجات إعادة توزيع حقوق الملكية والسيطرة على الشركات بشكل منتظم على الصناعة الروسية. في التسعينيات، استندت هذه العملية في الغالب إلى العنف الإجرامي. في الوقت الحاضر، تضاءل دور الهياكل الإجرامية بشكل كبير (على الرغم من أنه لم يختف بأي حال من الأحوال). ومع ذلك، تم إدخال أشكال جديدة لإعادة توزيع السيطرة. الآن غالبا ما يتم تنفيذها من قبل جهاز الدولة.

على سبيل المثال، فإن إدخال ما يسمى بـ «الشركات الحكومية» يعني في الأساس تغيير حقوق الملكية. كل هذا يعني أن السيطرة على المؤسسات، على أساس البنية التحتية للرقابة، غير مستقرة في جوهرها. يؤدي عدم الاستقرار هذا إلى تفضيل الدخل قصير الأجل على الأرباح طويلة الأجل من جانب الشركات الروسية الكبيرة.

بالطبع، يتم استخدام البنية التحتية للتحكم لإثراء المجموعة المهيمنة. غالبًا ما لا يتخذ الدخل الذي يخصصه الملاك الاستراتيجيون للمؤسسات شكل ربح ريادة الأعمال المبين في الكتب المدرسية الاقتصادية السائدة. هذا الأخير يرقى إلى الفرق بين العوائد وتكاليف الإنتاج ويعتمد على كفاءة التقنيات وإدارة الشركات. المجموعات التي تهيمن على الشركات الروسية، تلائم نوعًا من الريع. لا يعتمد على مهارات تنظيم المشاريع في حد ذاتها، بل على قوتهم في السيطرة على الأصول. تفترض الممارسة الواسعة الانتشار للشركات الروسية الكبيرة أن المجموعات المهيمنة تبيع منتجاتها في السوق المحلية ليس بشكل مباشر، ولكن من خلال وساطة بعض الشركات التجارية المسجلة في الولايات القضائية الخارجية. هذه الهياكل التجارية مستقلة ظاهريًا، ولكن فقط من خلال المظهر. في الواقع، تم إنشاؤها من قبل نفس الأفراد الذين يتحكمون في المؤسسات. يسمح هذا النظام بتزويد المنتجات محليًا بأسعار أقل من مستوى السوق للوسطاء، مما يؤدي إلى بيعها بأسعار السوق. نتيجة لذلك، يتركز الربح على الحسابات الخارجية للوسطاء ثم يتم تحويلها لاحقًا إلى حسابات خارجية خاصة لأعضاء المجموعات المسيطرة.

تعتبر هذه البنية التحتية مكلفة للغاية، وهي في حد ذاتها تقطع أموال الاستثمار، وتخفض من أموال الأجور وتؤدي إلى السلوك الانتهازي لمديري الرتب والعاملين. في الوقت نفسه، كما ذكرنا سابقًا، فإنه يؤدي إلى توجه قصير الأجل للمستثمرين.

يعتبر عدم الاستقرار في السيطرة غير الرسمية شرط مؤسسي مهم للغاية للتوجه قصير المدى للرأسماليين الروس. لقد وضعوا معايير معينة لفترة الاسترداد للمشاريع الاستثمارية، على سبيل المثال، يقولون إننا سننظر فقط في المشاريع الاستثمارية ذات فترة الاسترداد التي لا تزيد عن ثلاث أو أربع سنوات. في كثير من الأحيان، تتعدى أهم المشاريع الاستثمارية التي تقدم أفضل التقنيات هذه الفترة، ويتم التخلي عنها وعدم النظر فيها. غالبًا ما يتم استثمار الأموال في المشاريع الاستثمارية متوسطة الأجل أو قصيرة الأجل. كما ترون، هذا سبب آخر، سبب مؤسسي، ناتج عن التاريخ وتأثير النخبة الرأسمالية العالمية على الإصلاحات الروسية التي أدت إلى مثل هذه الأنواع من المؤسسات. ونتيجة لذلك، لدينا معدلات عالية جدًا من هروب رأس المال وتدفقات صافية

لرأس المال الخاص من روسيا تصل إلى مئات المليارات من الدولارات كل عام، مما يعني أن الاقتصاد الروسي ينزف. إذا أخذت هيكل الناتج المحلي الإجمالي الروسي، فإن 42٪ من الناتج المحلي الإجمالي الروسي يمثله الربح الخاص، و 21٪ فقط من الناتج المحلي الإجمالي هو حصة الاستثمار في القدرات الإنتاجية. تخسر روسيا النصف الآخر من نصيب الناتج المحلي الإجمالي من الأرباح الخاصة من خلال صافي تدفق رأس المال. وفقًا للبنك المركزي الروسي، في حين أن صافي تدفق رأس المال الخاص من روسيا في عام 2021 بلغ 74 مليار دولار، فقد وصل في عام 2022 إلى 251 مليار دولار التي لا يمكن تصورها. (زلوبين، 2022).[16]

يجب التغلب على هذه البنية التحتية للسيطرة غير الرسمية على الأصول بسبب الجهود المشتركة للحكومات، وزيادة اللعب وزيادة مشاركة العمالة المستأجرة في الإدارة. وفي مثل هذه الحالة، عندما تزداد الشفافية المالية ويتم إدخال المزيد من الهيئات الجماعية، مثل مجالس الاستثمار، على سبيل المثال، فإن اختلاس الأموال بسبب السيطرة على التدفقات المالية سوف يتضاءل. يجب أن يكون هذا نتيجة العمل من أعلاه ومن أدناه.

تتمثل الطريقة الرئيسية لإصلاح حوكمة الشركات في روسيا في إشراك البعض، أو تطوير نوع من التخطيط الإرشادي الذي سيجمع بين القوة التنظيمية والتخطيطية للعلاقات الحكومية والسوقية من ناحية، ولكنه من ناحية أخرى مهم جدا لزيادة حقوق العمالة العليا. وهنا، ليس النمط الأمريكي لحوكمة الشركات، ولكن النمط الألماني لحوكمة الشركات، القائم على ما يسمى بنظام المشاركة. هذه أمثلة جيدة جدًا، وعلى هذا الأساس، أعتقد أنه من الممكن تقليص هذا الجانب غير الرسمي لحوكمة الشركات، لأن هذه المؤسسات غير الرسمية لحوكمة الشركات حاليًا تفترض بنى تحتية متطورة للغاية للرقابة. على سبيل المثال، العلاقات مع موظفي الدولة، من ناحية، من ناحية أخرى، نظام متطور للغاية للسيطرة على العمالة المأجورة.

**التمويل والإنتاج**

يعتبر التمويل واحداً من أكثر المشاكل أهمية في الاقتصاد العالمي الحالي، حيث يؤثر على الأطراف وشبه الأطراف بما في ذلك روسيا. تحت هذا المصطلح عادة ما يعني الاقتصاديون تدفق

16 Alexandre Zlobin, “CB Povysil Prognoz po Ottoku Kapitala iz Rossii (CB Increased its Forecast of the Capital Outflow from Russia)”, Forbes, Internet-Rsource, 28 October 2022. https://www.forbes.ru/finansy/480414-cb-povysil-prognoz-po-ottoku-kapitala-iz-rossii, last accessed on 26.01.2023.

رأس المال من الإنتاج إلى قطاع المضاربة المالية في الاقتصاد. بدأ هذا الأخير في النمو بشكل منهجي في الظروف التي انخفض فيها الإنتاج المادي في اقتصادات القلب بشكل كبير. ترتبط هذه المشكلة مرة أخرى بالتحول العالمي للإنتاج من الشمال إلى الجنوب. في الوضع الحالي، أصبحت الأسواق المالية العالمية آلية إضافية وهامة للغاية لإعادة توزيع جزء من الدخل الناتج عن عمل الأطراف لصالح رأس المال العابر للحدود الوطني.

ويمكن توضيح ذلك من خلال ما يسمى «نظام سعر الصرف الثابت الجديد». نحن نعيش في عالم العملات العائمة. ومع ذلك، فإن الدول شبه المحيطية مثل الصين وروسيا والبرازيل وعدد من الدول الأخرى، التي تتبع نماذج النمو التي تقودها الصادرات، لا يمكنها السماح لسوق الفوركس بتحديد سعر الصرف وفقًا للتفاعل الحر بين المعروض من العملات والطلب عليها. يحدث هذا لأنه إذا كان لديك ميزان تجاري دولي إيجابي، فإنك تواجه تدفقات منتظمة لعملة أجنبية إضافية إلى سوق الفوركس الوطني الخاص بك. في مثل هذه الظروف، فإن عملتك الوطنية سترتفع حتماً. بسبب هذه القدرة التنافسية لصادراتك تنخفض لأن المصدرين يرفعون الأسعار من أجل التغلب على خسائرهم بسبب ارتفاع قيمة العملة الوطنية. رداً على ذلك، تضطر الحكومات الوطنية التي تتبع نماذج النمو التي تقودها الصادرات، إلى طباعة النقود الوطنية لشراء هذه العملة الأجنبية «الزائدة» وإزالتها من السوق الوطنية. ثم يتعين عليهم استثمارها في مكان ما خارج بلدانهم، في مكان ما في الأسواق المالية العالمية، والأصول المالية الأكثر موثوقية في الأسواق المالية العالمية هي أصول الدول الغربية، وخاصة الولايات المتحدة. تربح دول مثل الصين وروسيا والمكسيك والهند احتياطيات أجنبية على حساب العمل الشاق لسكانها، وتصدر بشكل أساسي منتجات رخيصة إلى الأسواق الأمريكية والغربية، وتخلق مدخرات على هذا الأساس. إنهم يعيدون استثمار حصص هائلة من هذه المدخرات في الاقتصادات الغربية. هذا هو السبب في أن القيم السلبية للحسابات الجارية في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، وتزامن انخفاض المدخرات والاستثمارات في البلدان الأساسية مع القيم الإيجابية لنفس المتغيرات للمحيط وشبه المحيط (صندوق النقد الدولي، 2005، ص .156- (109). استفاد رأس المال الروسي الكبير بشكل كبير من ارتفاع أسعار النفط والطاقة في السوق العالمية. ومع ذلك، إذا أخذ المرء في الاعتبار التدفق الهائل لرأس المال الخاص من روسيا، يدرك المرء أن هذه الأرباح المرتفعة لشركات تصدير الطاقة تضيع في الاستثمار في الاقتصاد الروسي. هذه الثروات لا تنتقل إلى عامة الناس، كما يقول أحد المقولات الشهيرة. لا، لقد أعيد استثمارها في الأسواق المالية العالمية، وبالطبع، فإن أصحاب

هذه الشركات يثريون أنفسهم. إلى حد كبير نفس الشيء يفعله الصينيون. حلت الصين محل اليابان بصفتها الدائن الأجنبي الرئيسي للولايات المتحدة، على الرغم من حقيقة أن هذه المدخرات بالدولار الأمريكي يتم إنشاؤها بسبب العمل الشاق والأجور المنخفضة للعمال الصينيين. ساعدت الأموال الصينية إلى حد كبير في تضخيم سوق الرهن العقاري في الولايات المتحدة (جاغاناثان واخرون، 2009).

هذا التدفق الهائل للأموال من الأطراف وشبه المحيطية إلى القلب خلق فرصًا استثمارية جديدة في الأسواق المالية للبلدان المتقدمة. وبذلك فإن الشروط المسبقة لإضفاء الطابع المالي على الاقتصادات الغربية يتم إنشاؤها من خلال التطور الحالي للنظام العالمي، عندما يتم تحويل الإنتاج إلى حد كبير من القلب إلى المحيط وشبه المحيط (باستثناء روسيا).

**خاتمة**

الطريقة الرئيسية للمنتجين في البلدان شبه المحيطية والطرفيه للتغلب على مأزق العولمة الحالية هي تطوير شبكات الإنتاج الخاصة بهم مع جميع سلاسل الإنتاج، بدءًا من العمليات كثيفة العمالة إلى العمليات كثيفة رأس المال أيضًا. وأعتقد أن الدول الأساسية لديها مزايا فعلاً، لكن لها عيوب أيضًا. المشكلة الرئيسية للبلدان الأساسية هي أنها نقلت الإنتاج إلى الخارج، إلى حد كبير في آسيا، والتركيز على عمليات المضاربة المالية، وكسب دخل إضافي من خلال ذلك. ومع ذلك، إذا أرادوا إعادة الإنتاج الصناعي، فعليهم زيادة المدخرات لتمويل الاستثمار، وبالتالي يتعين عليهم تقليل الاستهلاك. كلتا المشكلتين مؤلمة للغاية ويصعب حلهما لأنهما تؤديان إلى انخفاض معين في مستوى الاستهلاك لا يوافق عليه أي سكان بسهولة. بالنسبة للبلدان شبه المحيطية، تكمن المشكلة في أن النمو الذي يقوده التصدير من وجهة نظر تاريخية قد انتهى لأنه في ظروف الركود العظيم، فإن السوق العالمية راكدة ويجب أن تركز على السوق المحلية والطلب المحلي، والذي يعتمد على صندوق الأجور - على صندوق الأجور الوطني. إذا أرادت هذه البلدان البقاء على قيد الحياة في أوقات الأزمة الاقتصادية العالمية، فعليها زيادة الأجور وتوسيع الطلب المحلي على هذا الأساس، وزيادة ربحية الاستثمار في القطاع الحقيقي محليًا على هذا الأساس. لا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا عملت الحكومة والشركات معًا. يجب على الحكومات ألا تستثمر في الأسواق المالية العالمية ولكن في البحوث الأساسية والتطبيقية، مما يخلق الظروف المسبقة لتطوير تقنيات أفضل. جميع البلدان في مناطق معينة لديها مثل هذه الشروط المسبقة، حتى البلدان الفقيرة يمكن أن

تحقق شيئا من حيث التقدم التقني. وإذا قاموا بإنشاء شبكات إنتاج متسقة داخل بلدانهم، وشجعوا الطلب المحلي، فيمكنهم على الأقل تعويض الصدمات الخارجية التي تأتي من الدول الأخرى وإيجاد طريقهم للخروج من الأزمة. يعد إصلاح حوكمة الشركات جزءًا من هذه السياسة وإدخال مثل هذه الإصلاحات جزء من الحل.

## قائمة المراجع

Amin S., 2010, *The Law of Worldwide Value*, New York: Monthly Review Press.

Arrighi G., 2010, *The Long Twentieth Century. Money, Power and the Origins of our Times*, London, New York: Verso.

Birch K. and V. Mykhnenko., 2010, *Introduction*, in: Birch K. and V. Mykhnenko (eds.). The Rise and Fall of Neoliberalism. The Collapse of an Economic Order?, London, New York: Zed Books.

Blair M., 1993, *Financial Restructuring and the Debate about Corporate Governance*, in: Blair M. (ed.), The Deal Decade. What Takeovers and Leveraged Buyouts Mean for the Corporate Governance, Washington, D.C.: The Brookings Institution.

Brenner R., 2009, *What is good for Goldman Sachs is good for America. The origins of the present crisis*, WP, Los Angeles: Center for Social Theory and Comparative History UCLA, p. 8, https://escholarship.org/uc/item/0sg0782h, last accessed on 17.01.2023.

Clark D., 2022, *Number of Employees Worldwide* 1991-2022, Statista, Internet-resource, December 7, https://www.statista.com/statistics/1258612/global-employment-figures/, last accessed on 15.01.2023.

Dicken P., 2003, *Global Shift: Reshaping the Global Economic Map in the* 21-*st Century*, London *etc*.: SAGE Publications Inc.

Dosman E., 2008, *The Life and Times of Raul Prebish,* 1901-1986, Montreal & Kingston, London, Ithaca: McGill-Queen's University Press.

Dzarasov R., 2014, *The Conundrum of Russian Capitalism. Russian Economy in the World System*, London: Pluto Press.

Frank A., 1978, *Dependent Accumulation and Underdevelopment*, London: The Macmillan Press ltd.

Frank A., 1966, The Development of Underdevelopment, *Monthly Review*, Vol. 18, No. 4, pp. 17-31.

Freeman R., 2010, What really ails Europe (and America): the doubling of the global workforce, *The Globalist*, 5 March, https://www.theglobalist.com/what-really-ails-europe-and-america-the-doubling-of-the-global-workforce/. Last accessed on 17.01.2023.

Greider W., 1998, *One World, Ready or not: the Manic Logic of Global Capitalism*, N.Y.: Simon & Schuster.

Ho K., 2009, *Liquidated. An Ethnography of Wall Street*, Durham and London: Duke University Press.

IMF, 2005, *World Economic Outlook April* 2005. *Globalization and External Imbalances*, Washington, DC: International Monetary Fund, p. 109-156.

Jagannathan R., Kapoor M., and E. Schaumburg, 2009, *Why are We in a Recession? The Financial Crisis is a Symptom, not the Disease!* // NBER WP 15404.

Kagarlitsky B., 2008, *The Empire of the Periphery: Russia and the World System*, London: Pluto Press.

Lazonick W. and M. O'Sullivan, 2000, *Maximizing Shareholder Value: a New Ideology for Corporate Governance*, Economy and Society, Vol. 29, No. 1, pp. 13-35.

Razmi A., Blecker R., 2006, *Developing Country Exports of Manufactures: Moving Up the Ladder to Escape the Fallacy of Composition?* American University, Department of Economics, WP 2006-06.

Roberts M., 2020, More on the World Rate of Profit, Michael Roberts Blog, 20 September, https://thenextrecession.wordpress.com/2020/09/20/more-on-a-world-rate-of-profit/, last accessed on 14 January 2023.

World Bank Group, 2020, *Global Economic Prospects. A World Bank Group Flagship Report. June* 2020, Washington, DC: The World Bank, p. 5.

Zlobin A., 2022, CB Povysil Prognoz po Ottoku Kapitala iz Rossii (CB Increased its Forecast of the Capital Outflow from Russia), *Forbes*, Internet-Rsource, October 28, https://www.forbes.ru/finansy/480414-cb-povysil-prognoz-po-ottoku-kapitala-iz-rossii, last accessed on 26.01.2023.

# التغيير العالمي في العلم والمجتمع

نزهة دالف

## المقدمة

يبلغ عمر كوكبنا 5.4 مليار سنة، ومنذ 5.3 مليار سنة كان هناك نظام فيزيائي-كيميائي على هذا الكوكب نسميه الحياة. فيما يتعلق بذلك فإنا لم نواجه أي شيء مثله حتى هذا الوقت على كواكب أخرى في النظام الشمسي. هذا لا يعني أنها لن تحدث على كواكب أخرى في أنظمة شمسية أخرى. من الضروري عدم التفكير بطريقة مركزية الأرض. لكن على الكواكب الأخرى لا توجد حاليًا أي علامات على هذا النوع من النظام. في هذا الصدد، يعتبر كوكبنا كوكبًا خاصًا جدًا، وهنا تعتبر الظروف الفيزيائية والكيميائية وكيمياء الغلاف الجوي وكيمياء البحار والماء وتكوين التربة على الأرض ظروفًا مثالية. يعد الأوزون أيضًا جزءًا مهمًا من هذا النظام. إن تطور هذه الأشياء، والتغيرات التي تطرأ عليها، وتطور ما نسميه الحياة هي في الواقع أشياء تسير معًا.

لذلك، لا شيء منهم تطور استجابة للآخر. لقد تطوروا بشكل مشترك، ونحن نحاول استيعاب هذا التطور المشترك. نحن، كعلماء، نحاول هنا أن نفهم قصة عمرها 5.3 مليار سنة.

من ناحية أخرى، نحن مهتمون بمسألة ذات طابع بشري أكثر قليلاً، وخاصة في الـ 200 عام الماضية. إنه يقودنا إلى بدايات القرن التاسع عشر وبداية فترة كانت الثورة الصناعية تتطور فيها بشدة، وبدأ الناس في استخدام الوقود الأحفوري كمصدر جديد للطاقة. كانت هناك بعض التغييرات التي حدثت منذ ذلك الحين، أي على مدى 200 عام الماضية والتي تهمنا بشكل أساسي.

كان المصطلح الجيولوجي المستخدم كمعيار للفترة التي تلت نهاية العصر الجليدي الأخير، حتى يومنا هذا، هو عصر الهولوسين. ومع ذلك، فإن مصطلح «الأنثروبوسين» يستخدم الآن على نطاق واسع. الأنثروبوسين هو مفهوم لدرجة أنك ترى في الواقع أثرًا للبشر في جميع أنظمة وبيئات الأرض التي تم تغييرها من قبل البشر. بداية لا مفر من التأثيرات البشرية على هذا الكوكب وهناك آثار بشرية في كل مكان. بعد 5 أو 10 ملايين سنة، عندما ينظر الناس حولهم، إذا تشكلت بعض التراكمات، فستجد آثارًا بشرية هنا في طبقات مختلفة، كما في العصور الجيولوجية. طوال فترتنا، سيظل هذا الأثر البشري موجودًا دائمًا في الطبقات المقابلة. بالطبع، أود أن أقول إنه ربما يكون

الأثر الأكثر إزعاجًا هو هذه اللدائن الدقيقة. أرى دائمًا اللدائن الدقيقة والتلوث البلاستيكي من أكبر المشكلات التي تواجه البشرية.

ظهرت ثلاث قضايا حاسمة فيما يتعلق بأزمة المناخ التي أفضل أن أسميها التغير العالمي. لتسمية شيء ما على أنه تغيير عالمي، يمكن أن يكون أحد شيئين. احدهما، يمكننا التحدث عن تغيير في الأنظمة العالمية. على سبيل المثال، تغير تكوين الغلاف الجوي، وهو عبارة عن طبقة غازية مختلطة جيدًا تغطي الأرض، وهذه التغييرات التي أجريناها فيه هي تغييرات على نطاق عالمي. هذا يعني ما يسمونه «جيهانشومول» بالمصطلحات التركية القديمة، أي العالم بأسره. نحن علماء الجيولوجيا نميز بين مصطلح العالم ومصطلح الأرض. العالم مصطلح أكثر شيوعًا وشاملًا للإنسان. لكن عندما تأخذ الأرض، فإن التغيير الذي تقوم به يكون في هذا الغاز حول الأرض. من ناحية أخرى، هناك بعض التغييرات التي قد تكون محلية عندما تنظر إليها واحدة تلو الأخرى. لكن هذه هي التغييرات التي نراها في كل مكان تقريبًا وهي أيضًا جزء من التغيير العالمي. على سبيل المثال، هناك إزالة للغابات، وانخفاض في الأكسجين البحري، وهو ما نسميه التخثث، بسبب النفايات في البحار الساحلية أو انقراض الأنواع. إنها مشكلة عالمية. الأنواع تنقرض في مكان واحد بالطبع. ولكن في الوقت نفسه، إذا حدث هذا الانقراض في كل مكان تقريبًا على الأرض، وفي كل مكان تقريبًا في العالم، فإنه يصبح مشكلة عالمية. وبالمثل، اللدائن الدقيقة.

**التغيرات المناخية العالمية**

لقد تغير مناخ الأرض منذ 4.5 مليار سنة، ولا يوجد ما يدعو للجدال فيه. نعم، هناك بعض التغييرات، هناك بعض الفترات المتميزة جدًا في السنوات الأخيرة والتي نسميها «الماضي القريب»، على سبيل المثال. هناك فترة دافئة في العصور الوسطى، ثم هناك بعض الفترات التي نسميها العصر الجليدي الصغير، لكننا الآن نرى التغيير الذي يمكننا تقديمه من الناحية الكمية، خاصة مع متوسط درجات الحرارة العالمية. لم تحدث هذه التغييرات في الألف عام الماضية، وربما حتى في الألفين سنة الماضية. لهذا السبب، هذا تغيير خطير للغاية، وهذا التغيير يحدث أيضًا بسرعة كبيرة. الشيء المهم هنا هو أن التغيير لا يحدث فحسب، بل إنه سريع أيضًا في نفس الوقت.

الشيء الذي يهمنا في المقام الأول هو تغيير سريع وفي نفس الوقت يحتوي على بعض الشكوك، أي أنه يخلق بعض علامات الاستفهام في أذهاننا عندما نتطلع إلى الأمام، وعلامة استفهام حول المسار الذي سيتطور فيه. هذه سمة أساسية لتغير المناخ الذي يسببه الإنسان، ونحن نحاول

فهمه. نحن نحاول إجراء بعض التنبؤات حول هذا الموضوع. لماذا يتغير المناخ ؟ اليوم، ربما يعرف الجميع، بما في ذلك طلاب المدارس الابتدائية والثانوية، الإجابة على هذا السؤال بطريقة ما، الأشخاص الذين تساءلوا عن هذا الموضوع، قرأوه ودرسوه قليلاً. إننا نغير تكوين الغلاف الجوي ؛ إنها واحدة من أهم الأشياء الأساسية.

هناك بعض الغازات في الغلاف الجوي، ونزيد من كمية ثاني أكسيد الكربون، وهو أحد أكثر الغازات الأساسية، لأننا نستخرج الوقود الأحفوري من تحت الأرض. الغاز الذي يخرج نتيجة الاحتراق يسمى «ثاني أكسيد الكربون». يمكن للمحيطات امتصاص بعض من ثاني أكسيد الكربون هذا. لكن ما يقرب من النصف أو حتى أكثر من النصف بقليل لا يزال في الغلاف الجوي، ويتراكم هذا تدريجياً. لقد تجاوزنا اليوم مستوى 400 جزء في المليون ويستمر على هذا النحو.

حدث هذا التغيير في تكوين الغلاف الجوي من قبل في التاريخ وهناك أوقات يوجد فيها ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي أكثر من اليوم، لكننا نتحدث منذ حوالي 30-40 مليون سنة. لكن عندما ننظر إلى 500 الف سنة الماضية، وصلنا إلى المستوى الذي وصلنا إليه وتجاوزناه الآن لأول مرة منذ مئات الآلاف من السنين الماضية ونحن نصل إليه بسرعة كبيرة. وفي 500 الف سنة 500 الماضية شهدنا تغيرا لم يسبق له مثيل. من الصعب جدًا قول شيء ما عن المستقبل من خلال النظر إلى الماضي لأننا رأينا مسارًا مختلفًا في مناطق زمنية مختلفة. ومع ذلك، فإن هذه الـ 500 ألف سنة مهمة، لأنه يمكننا جمع معلومات مفصلة جدًا عنها. نحصل على هذه المعلومات من فقاعات الهواء الصغيرة في الجليد المتكون في الصفائح الجليدية والتي كانت تقنية مثيرة للاهتمام للغاية وواحدة من أهم التطورات العلمية في العشرين أو الثلاثين عامًا الماضية.

هناك مشاكل خطيرة تسببها الغازات. بداية ان أكثر الغازات شيوعًا في الغلاف الجوي هي النيتروجين والأكسجين، ولهما ذرتان. في مكانهن لكن ليس لهن دور في تغيير المناخ. بخار الماء مهم جدًا، ولكن ربما يكون بخار الماء هو العنصر الرئيسي لهذه المشكلة. لكن بخار الماء ليس شيئًا نغيره بهذه الطريقة. إنه يوازن تركيزه في الغلاف الجوي ذاتيًا. لكن ما نغيره أولاً هو ثاني أكسيد الكربون، خاصة بسبب استخدام الوقود الأحفوري. نزيد من كمية ثاني أكسيد الكربون. هناك غاز ثاني، الميثان، وهو غاز أقوى بكثير من ثاني أكسيد الكربون، لكن لا يوجد الكثير منه في الغلاف الجوي في الوقت الحالي. بدأ الميثان يأخذ مكانه في هذه الأيام في المناقشات الأكاديمية والعلمية، لكنه ظهر بشكل خاص في مقدمة المؤتمر الأخير للأطراف في غلاسكو، لأن الميثان يظهر زيادة في الغلاف الجوي بسبب الموارد الطبيعية وتربية الحيوانات والتسربات. في الغاز الطبيعي

المستخرج من باطن الأرض. لكن هناك مشكلة أخرى. إن انبعاث الميثان من التربة المتجمدة في منطقة القطب الشمالي، بالطبع، يمنحنا أحلامًا مخيفة كسيناريو كارثي. هذا هو سبب أهمية هذه الغازات، وهي ثاني أكسيد الكربون والميثان.

فيما يتعلق بمسألة تغير المناخ هذه، فإن النهج العلمي لهذه القضية ليس شيئًا جديدًا. إنه تقريبًا منذ منتصف القرن التاسع عشر، والشخص الذي أعطى التحذير الأول، أدلى بالملاحظات الأولى حول هذه القضية، وقاسها في المختبر كانت سيدة، امرأة تدعى يونيس نيوتن فوت. في مقالتها بعنوان «حول تأثير حمض الكربونيك في الهواء على درجة حرارة الأرض» التي نُشرت في عام 1896،[1] جادل العالم السويدي سفانتي أرهينيوس بأنه إذا ضاعفنا ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي، فإننا نزيد درجة حرارة السطح بمقدار 6-5 درجة مئوية. نتيجة للدراسات العلمية المتطورة للغاية والحسابات التي قمنا بها اليوم، توصلنا إلى نفس النتيجة إلى حد ما. بعبارة أخرى، منذ عام 1896 قيلت هذه الكلمات عما هي عليه، وما يمكن أن تكون. بالطبع، ما هي تفاصيل هذا، تعني ان الزيادة في متوسط درجة الحرارة شيء واحد، لكن لا يمكننا الاكتفاء بذلك وحده. تم تطوير عدد من النماذج العددية منذ الستينيات، ويتم البحث عن نفس النتائج في جميع هذه النماذج. بعبارة أخرى، إذا زادت كمية ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي وزادت الغازات الدفيئة الأخرى بشكل طبيعي، فسيؤدي ذلك إلى ارتفاع حرارة المناخ بشكل خطير، والاحتباس الحراري من حيث المتوسط العالمي والعديد من المكونات الأخرى للمناخ، ليس فقط درجة الحرارة، ولكن أيضًا الرياح وهطول الأمطار والدورة الهيدرولوجية، أي دورة المياه. يُعتقد أنه ستكون هناك بعض التغييرات الجادة في هذه التغييرات. المنظمة التي تقوم بتلخيص وترويج و «تقطير» وعرض هذا العلم على صانعي القرار وصانعي السياسات، هي الهيكل الذي نسميه الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ (IPCC). وقد أنشئ هذا الهيكل في عام 1988 وأصدر تقريره الأول في عام 1989. يحدث شيء هام جدا في عام 1992، وهو اجتماع هام جدا نسميه مؤتمر قمة ريو في عام 1992، حيث تدرج مسألة تغير المناخ فعلا في جدول الأعمال الدولي.

يتم إجراء الحسابات المتعلقة بتغير المناخ باستخدام نماذج عددية، والتي تستند إلى تقسيم الغلاف الجوي والمحيطات إلى مربعات صغيرة جدًا. تلعب الحسابات التفصيلية حول الحرارة والطاقة والزخم وبالطبع الحفاظ على الكتلة دورًا مهمًا في هذه العملية التي تجعل مصممي

1 Svante Arrhenius, “On the Influence of Carbonic Acid in the Air upon the Temperature of the Ground”, *Philosophical Magazine and Journal of Science* Series 5, Vol. 41, April 1896, pp. 237-276

المناخ أهم العملاء في المجال المدني فيما يتعلق بأجهزة الكمبيوتر. إنها حقيقة أن علماء المناخ في مجال علمي يستخدم تقنيات الكمبيوتر بشكل جيد ومكثف.

توجد مشكلة مهمة للغاية هنا، وهذه المشكلة تكشف في الواقع أوجه عدم اليقين. من السهل التعامل مع العلوم الطبيعية والفيزياء والكيمياء والأحياء إذا لزم الأمر. لن أقول بسهولة، نحن نتعامل مع نظام صعب ومعقد. إنه أمر صعب، لكنك على الأقل تتقدم من خلال إجراء تحسينات. تكمن المشكلة الرئيسية في السؤال، «كم ستكون كمية الغازات الدفيئة هذه في الغلاف الجوي في السنوات القادمة، على الأقل حتى نهاية القرن، ما هي الانبعاثات هنا، ما هي التقنيات التي سيستخدمها الناس؟» هل سيتمكنون من التخلي عن الوقود الأحفوري، وما مدى سرعة استسلامهم؟ هذه أسئلة مهمة للغاية، وليست مهمة علماء الطبيعة. يجب التعامل مع هذه من قبل علماء الاجتماع والاقتصاديين. عندما تحاول أن تفعل شيئًا ما بشأن الطبيعة البشرية وديناميكيات المجتمعات، فهناك بعض الشكوك الخطيرة للغاية هنا. يعد إنشاء سيناريوهات، مثل الأسوأ أو المتفائل، أحد الطرق الرئيسية للتعامل مع حالات عدم اليقين هذه.

نتيجة لسيناريوهات مختلفة، يُذكر كيف سيرتفع متوسط درجة حرارة سطح الأرض مقارنة بمتوسط القيمة في نطاق 1900-1850، وسترتفع درجة الحرارة العالمية بسهولة بمقدار 5-4.5 درجة مئوية في أسوأ السيناريوهات. يتم التوصل إلى مثل هذه الاستنتاجات بالفعل باستخدام الأساليب العلمية والنماذج المناخية. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنه بسبب الاختلافات في سيناريوهات الانبعاثات، لدينا بعض الشكوك هناك. علينا أن نتعايش مع هذه الشكوك. في المستقبل، سيتحد المستقبل مع الشكوك.

مسألة «كيف ستتغير درجات الحرارة على الأرض في مختلف المواقف نتيجة لذلك ؟» انه امر مهم. من المؤكد أنه ستكون هناك أماكن ستسخن أكثر من المتوسط بآلية ردود الفعل، خاصة في خطوط العرض الشمالية. الشيء المثير للاهتمام ليس فقط درجة الحرارة، ولكن أيضًا هطول الأمطار. ما نسميه دورة حياة المياه امر مهم. في بعض الأماكن ستكون دورة حياة المياه سلبية، وفي بعض الأماكن سيكون توازن المياه إيجابيًا. خاصة في دول البحر الأبيض المتوسط مثل بلدنا، سنواجه بعض ندرة المياه الخطيرة. كما تعلم، النصف الشمالي من تركيا هو عالم مختلف والنصف الجنوبي هو عالم آخر أيضًا. لكن النصف الجنوبي، أي منطقة البحر الأبيض المتوسط، ستواجه جميع مناخات البحر الأبيض المتوسط انخفاضًا في هطول الأمطار وفي أماكن أخرى من العالم أيضًا.

**مشكلة طبقة الأوزون**

العامل الثاني المهم هو قضية طبقة الأوزون، وبعبارة أخرى، قضية نضوب طبقة الأوزون. الأوزون أو الأوزون الستراتوسفير أو الأوزون الموجود في الستراتوسفير، والذي يبلغ ارتفاعه حوالي خمسة عشر أو عشرين كيلومترًا فوق سطح الأرض. في الواقع، هناك نوعان من الأوزون. يوجد أوزون في الطبقات العليا من الستراتوسفير، ويوجد أوزون على مستوى سطح الأرض. الأوزون على مستوى الأرض ضار بصحة الإنسان. إنه ضار بالرئتين، ويؤدي إلى بعض مشاكل الجهاز التنفسي، وعادة ما يكون ناتجًا عن انبعاثات السيارات. الأوزون في طبقة الستراتوسفير، في الطبقات العليا مهم جدًا لأنه يحمي الكائنات الحية على الأرض من الأشعة فوق البنفسجية. بعبارة أخرى، من الناحية التاريخية، اسمحوا لي أن أعود بكم إلى الوراء 3 مليارات سنة. في بداية هذه الثلاثة مليارات سنة، لم يكن هناك الكثير من الأكسجين في الغلاف الجوي. ولكن بعد أن بدأت الكائنات الحية في التمثيل الضوئي، ازداد الأكسجين في الغلاف الجوي. بعض من هذا الأكسجين تحول إلى أوزون، وفقط بعد هذا التحول للأوزون، اصبح هناك تراكم للأوزون في الغلاف الجوي، فقط بعد ذلك بدأت تخرج الكائنات الحية من الماء وتعيش على الأرض. لأنه إذا لم يكن لديك حماية من الأوزون، فقد انتهيت على الأرض، وستقتلك الأشعة فوق البنفسجية. هذا هو السبب في أن طبقة الأوزون هذه مهمة للغاية بالنسبة للكائنات الحية لتصل إلى اليابسة من البحر، ولتنمية النباتات، ولتطوير النباتات البرية.

كان من دواعي القلق منذ أوائل السبعينيات أنه قد تكون هناك بعض المشاكل مع طبقة الأوزون. هناك أعمال مهمة في هذا الصدد. في السبعينيات، ذكر بول كروتزن أنه بسبب أكاسيد النيتروجين في الغلاف الجوي، وخاصة أكاسيد النيتروجين في الستراتوسفير، ستنخفض طبقة الأوزون، أي سينخفض ضغط الأوزون. من ناحية أخرى، في عام 1974، يجادل رولاند ومولينا،[2] من جامعة كاليفورنيا إيرفين، بأن بعض المواد الكيميائية، التي نسميها مركبات الكربون الكلورية فلورية، ستسبب لنا أيضًا مشاكل. لقد كان هذا نقاشًا مستمرًا حول هذا الموضوع ولم نشهد أي خطوة مهمة للتعامل مع ذلك.

تم اكتشاف ثقب الأوزون فوق القطب الجنوبي في منتصف الثمانينيات فقط. اتضح أن الأوزون هناك يتناقص، خاصة في أشهر الربيع. البريطانيون لديهم محطة قياس هناك ويتضح للناس هناك

2 M.Jose Molina and F. Sherwood Rowland, "Stratospheric Sink for Chlorofluoromethanes: Chlorine Atom-Catalysed Destruction of Ozone" *Nature*, Vol. 249, 1974, pp. 810-812.

ان ثمة مشكلة هنا. يجب حظر مركبات الكربون الكلورية فلورية هذه على وجه التحديد. يجب حظرها، ولكن هناك أيضًا من ينتجونها، ومجموعات المصالح مهمة جدًا في هذا العمل. إحدى الجهات الفاعلة في هذه القضية هي مجموعات المصالح. على سبيل المثال، تقوم شركة Dupont، أحد عمالقة الصناعة الكيميائية، بإنتاجها. عندما بدأوا في تصنيع مركبات الكربون الهيدروفلورية الأقل ضررًا بدلاً من مركبات الكربون الكلورية فلورية، أصبحوا مطيعين قليلاً، وأقل تدخلًا مع السياسيين. ونتيجة لذلك، تم التوقيع على بروتوكول مونتريال عام 1987 وأصبح اتفاقية فيينا في عام 1988. وبالتالي، تم وضع قيود شديدة على إنتاج مركبات الكربون الكلورية فلورية هذه، والتي نسميها مركبات الكربون الكلورية فلورية.

يشرح كتاب ريتشارد إليوت بنديكت، وهو دبلوماسي أمريكي، بعنوان «دبلوماسية الأوزون»،[3] العملية الصعبة المتعلقة بهذه القضية. لا يكفي أن يكتشف العلماء مشكلة ما. من الضروري أن يشرحواها وأن يظهروا أمام الناس بهذه الطريقة، بطريقة لا يمكن إنكارها. يتم إجراء العديد من الصفقات ونتيجة للمفاوضات، تقرر إلغاء تنشيط إنتاج مركبات الكربون الكلورية فلورية.

لقد تقلص ثقب الأوزون تدريجياً، لكنه في بعض السنوات يكبر ويصغر قليلاً. يمكننا الآن بسهولة ملاحظة ذلك من الفضاء باستخدام مجموعة من الأقمار الصناعية. ومع ذلك، فإن مشكلة الأوزون لم تختف تمامًا، لكنها فقدت أهميتها. بالطبع، إذا استطعنا القضاء تمامًا ليس فقط على مركبات الكربون الكلورية فلورية هذه، ولكن أيضًا هذه المركبات الكربونية الفلورية الهيدروجينية، فسيكون ذلك أفضل. لا يوجد ثقب الأوزون فوق القارة القطبية الجنوبية فقط. أنه موجود في بعض الأماكن في نصف الكرة الشمالي. إنها ليست مشكلة جنوبية فقط.

**انقراض الأنواع**

الموضوع الثالث المهم هو انقراض الأنواع، حيث يمكنك أن ترى على قنوات تلفزيونية مختلفة أن أنواعًا معينة، وأنواعًا معينة يمكن أن تراها العين، والفيلة، والنمور، والأسود تقع في هذه المشكلة. يمكنك مشاهدة وسماع أشياء مثيرة للاهتمام عنها إذا كنت شخصًا مغرمًا بمشاهدة الأفلام الوثائقية. هذه حقيقة، إنها حقيقة أن بعض الأنواع تواجه مشكلة. لكن هناك شيء واحد فقط، الشيء المهم هو أن أحد الأسئلة التي يجب طرحها هو: هل نعرف عدد الأنواع الموجودة

3 Richard Elliot Benedick, *Ozone Diplomacy: New Directions in Safeguarding the Planet*, Harvard University Press, 1991.

على الأرض؟ أعتقد أننا لا نعرف. نحاول التخمين، يقول البعض أن هناك 7.8 مليون، يقولون أكثر أو أقل، يقولون زائد أو ناقص، يقولون هناك 3.1 مليون. إنها ليست دقيقة للغاية. إنها صعبة وتتعلق بالأنواع حقيقية النواة، ولكن عندما تصل إلى البكتيريا والفيروسات، تصبح الأمور أكثر تعقيدًا. نحن لا نعرف أكثر من الأنواع التي نعرفها الآن. نحن لا نعرف 5-6 مرات أكثر مما نعرفه الآن. نحن نعلم أنه يمكن أن يحدث، نعلم أنها ثروة، لكننا لا نعرف. بالطبع، الأنواع أقرب قليلاً إلينا، كما يمكنني القول، عندما تكون هناك مجموعات ذات تنوع أقل، على سبيل المثال، نعلم أن هناك ما يقرب من 5500 نوع من الثدييات. من ناحية أخرى، هناك تنوع هائل في النباتات المزهرة، على سبيل المثال. لا يوجد هناك رقم. لكن نعلم أن هناك ما بين 250 ألفًا و 400 ألف نوع من النباتات المزهرة. هناك أكثر من مليون نوع من الحشرات، نعلم أنها بيانات مهمة للغاية. ربما تكون الحشرات هي المجموعة التصنيفية الأكثر تنوعًا التي نعرفها الآن.

ان الوضع مع انقراض الأنواع ليس بالشيء الجديد. كانت هناك فترات حدث فيها انخفاضات مشابهة، لقد كانت هناك حالات انقراض. هذه الانقراضات مهمة أيضًا لأنه من أجل التمييز بين هذه الفترات الجيولوجية على الأرض، فإنها تبحث عن الكائنات التي عاشت هناك، والمخلوقات التي اختفت بعد تلك الفترة، بالنظر إلى أحافيرها، ويتم إعطاء بعض الأسماء بناءً على النتائج. يذكر أن هناك 5-6 حالات انقراض رئيسية حدثت.

يقال إن الانقراض أو الانحدار في الأصل البشري هو في الواقع انقراض سادس أو سابع، اعتمادًا على كيفية تعداده الآن، وهذا بالطبع أمر خطير للغاية. كان هناك العديد من الانقراضات الصغيرة والانقراضات الأكبر في التاريخ، وتعزى أسباب هذه الانقراضات من 5 إلى 6 في الماضي إلى أشياء مختلفة تمامًا. لا يمكنك تناولها كلها بنفس الآلية، وبنفس التفسير، فلكل منها أسباب مختلفة. لا يوجد سوى انقراض أخير حدث قبل 65 مليون سنة، وهو انقراض خطير للغاية. لكن ليس كل الأنواع تذهب، بالطبع، بعض الأنواع تفعل ذلك. هناك بالفعل اختفاء الديناصورات، الأمر الذي يجذب انتباه الجميع. لهذا السبب ما حدث في تلك الـ 65 مليون سنة، أي على حدود العصر الطباشيري / الثالث، هو شيء نعرفه جيدًا. هناك فرضيات مختلفة حول هذا الموضوع. لكن ما يهمنا الآن هو ما يحدث اليوم.

هل يمكننا تتبع حالات الانقراض؟ إنه أمر صعب، لأننا لا نعرف عدد الأنواع، فليس من السهل متابعة عدد الأنواع. كلما بحثنا أكثر، وجدنا المزيد من الأنواع، لكننا أيضًا ندمر بعض الموائل. ما يحدث لغابة الأمازون اليوم يعتبر شيئًا كلاسيكيًا، ولكن بجدية، البرازيل بلد تدار بشكل سيء للغاية

في الوقت الحالي. لذلك نحن نعلم أن الطبقة السياسية وكبير السياسيين هو رجل يتخذ قرارات سيئة للغاية. ونتيجة لذلك، مع تدمير تلك الغابات، إذا أردنا إجراء تشبيه هنا، فإننا غالبًا ما نحرق المكتبات التي لا نعرف ما فيها من كتب. لا نعرف ما بداخلها، لكن المكتبة تشتعل فيها النيران ولن نعرف أبدًا ما يوجد في تلك الكتب مرة أخرى. نحن نعيش في مثل هذا العالم. الآن، بالإضافة إلى ذلك، إذا نظرنا إليها من منظور الفقاريات، وهي البرمائيات والزواحف والأسماك والثدييات. والطيور بالطبع. هناك «تقرير عن الكوكب الحي»[4] من قبل الصندوق العالمي للطبيعة (WWF) وجمعية علم الحيوان في لندن حول تقليل تنوعها. يُظهر التقرير أن عام 1970 كانت نقطة الصفر ثم يحاول أن يوضح لنا، في مكان ما، سرعة التراجع على الأرض والبحر وعلى مستوى العالم. يجب الاعتراف بأنه من الأسهل قليلاً الاحتفاظ بحساب لهذا العمل على الفقاريات. هذا الحساب محتجز وهناك تخفيض واضح هنا. هذا حقيقي.

"إذن ما خطبنا؟"، أي، «لماذا يختفون؟» لقد طرحنا السؤال للتو. نحن ندمر موطنهم، هذا أمر مؤكد. ثانيًا، المناخ يتغير، المناخ مهم جدًا. هناك أيضًا أنواع غازية. عندما ننظر إلى هذه القضية العالمية، عندما يتم ذكر العولمة، إذا لم تكن في العلوم الطبيعية، عندما يتحدث الاقتصاديون والسياسيون وعلماء السياسة عن العولمة، فإن المصطلح يستخدم في الغالب للإشارة إلى زيادة الارتباط بين البلدان. الآن يعني الترابط والتجارة والتنقل والأشخاص الذين يتنقلون. ونتيجة لذلك، عندما يستقر الناس في أماكن جديدة، فإنهم يحملون أنواعًا نباتية وحيوانية معينة هناك بارادتهم أو عن غير قصد. في الواقع، يجلبون أنواعًا من الفيروسات، يجلبون الفيروسات، يجلبون البكتيريا، كما في الحدث الذي شهدناه مؤخرًا. الآن هذه الأنواع الغازية تشكل أيضًا خطرًا كبيرًا على المخلوقات هناك، وتسبب لهم مشاكل. لذلك، هذه قضية ملموسة ويصعب تجنبها.

إذن، لماذا نقلق هنا، ماذا سيحدث إذا اختفت الأنواع؟ يمكنك أن تقول أشياء مثل «الأنواع تأتي، الأنواع تذهب ...»، لكن هذا ليس شيئًا يمكن الاستخفاف به. لأنه على مدار تاريخ العالم، كانت هناك بعض التوازنات بين معدل الانواع ومعدل الانقراض. مع زيادة معدل الانقراض، تناقص عدد الأنواع، وعندما زاد معدل التكاثر، زاد عدد الأنواع، وهكذا. الآن هنا إذا كان معدل انقراضك أكبر بكثير من معدل الانقراض، إذا كنت تمر بفترة انقراض بدلاً من ظهور أنواع جديدة، فإننا نواجه تلقائيًا انخفاضًا في هذا التنوع البيولوجي. سوف تطرح سؤالاً كالتالي، وسوف تقول، «ماذا سيحدث إذا انخفض التنوع البيولوجي؟» في الواقع، التنوع البيولوجي مهم. فكر في مبنى، به طوب، تذهب

4 https://www.wwf.org.uk/our-reports/living-planet-report-2022

من وقت لآخر وتسحب بعض الطوب. الآن، إذا كنت شخصًا يعيش في ذلك المبنى، فسوف أبدأ في الانزعاج، «ماذا سيحدث لنا؟» سأبدأ في التفكير.

انه شيء من هذا القبيل... يعتمد عمل النظم البيئية واستقرارها على التنوع البيولوجي، وهل سينهار هذا الجدار بعد الطوب الذي نسحبه؟ هل الناس مستعدون لانزال الجدار؟ تبين أن هذه مشكلة خطيرة وأساسية. ربما يكون السؤال الأساسي في علم البيئة: التنوع، والاستقرار البيئي، واستقرار النظام البيئي... فلماذا نهتم كثيرًا بالنظم البيئية واستقرارها؟ نظرًا لأن الأنظمة البيئية توفر لنا العديد من الخدمات، فلن أخوض في التفاصيل الآن، ولكن هناك العديد من الأشياء التي لا ندركها وأحيانًا ندركها. نقوم بجمع الأخشاب من الغابات، ولكن في بعض الأحيان نقدم بعض الخدمات التي لا ندركها. بعبارة ملطفة، نحن في مأزق إذا ظهرت مشاكل في عمل النظم البيئية.

**علوم**

إن تأثيرات إنتاج العلم وآثاره على نشر النتائج التي ينتجها العلم وعلى آليات اتخاذ القرار هي أيضًا جزء من المناقشة. العلم من إنتاج العلماء، من إنتاج المجموعات. هناك منظمات علمية على المستوى الوطني والدولي. تساعد هذه المنظمات هؤلاء الأشخاص على المناقشة مع بعضهم البعض وتبادل وجهات النظر والتوصل إلى استنتاجات مشتركة. ومع ذلك، فإن مسألة كيفية تحول هذه المعلومات في الواقع إلى سياسة وكيف سيتم استخدامها من قبل صانعي القرار، هذه مسألة إشكالية. هناك الكثير من الشركاء هنا. بداية، يوجد عالم العلم ولا توجد مشكلة هنا. من ناحية أخرى، هناك مجموعات مصالح، على سبيل المثال، شركة Dupont، في حالة الأوزون. هناك أيضًا صناعة اللحوم... هناك صناعات تهتم بتدمير غابات الأمازون، وتربية الأبقار والثيران هناك، ومن ثم توفير اللحوم لانتاج اللحوم.

هناك شركات نفطية تبحث عن النفط في مكان آخر، ولا تعتقد أنه يمكن أن يلحق الضرر بالنظم البيئية الهشة للغاية. هناك مجموعة واسعة من مجموعات المصالح الاقتصادية وبالطبع لديهم أيضًا عقوبات وضغوط شديدة على صانعي القرار. إلى جانب ذلك، هناك أيضًا مجموعة نسميها الجمهور، المواطنون. هذا مفهوم أكثر غموضًا إلى حد ما. إلى أي مدى يكون ما نسميه الرأي العام وطنيًا ودوليًا؟ ومع التطور الأخير في تقنيات الاتصال، كيف تتحول هذه الشخصية الوطنية إلى هيكل دولي؟ هناك منظمات غير حكومية فيما بينها وكلها تشترك في شيء واحد. في الوقت الحاضر، في القرن الحادي والعشرين، يشارك الجميع المواد على وسائل التواصل الاجتماعي

في مكان ما. أي نوع من المعلومات، المعلومات الصحيحة أو الخاطئة التي يمكنك التفكير فيها يتم تداولها بحرية تامة في هذه البيئة. نتيجة لذلك، يكون لها تأثير خطير على أفكار الناس حول هذه القضايا.

ان علم هذا التغيير البيئي العالمي له مشهد دولي. على الصعيد الدولي، فكر الناس في هذه القضايا لسنوات عديدة. تم إدراك أن كوكبنا لديه موارد محدودة في أوائل السبعينيات. في الوقت نفسه، هناك مشكلة أخرى: زيادة عدد السكان. نتحدث عن السكان هذه الأيام، ولكن ربما ليس بنفس القدر الذي كان عليه في أوائل السبعينيات. في ذلك الوقت، كان هناك كتاب مثير للاهتمام للغاية كتبه بول وآن إرليش بعنوان «القنبلة السكانية».[5] كان لهذا الكتاب تأثير كبير في تلك السنوات. بعد ذلك، أسئلة مثل «على كوكب ذي موارد محدودة، ماذا سيحدث إذا استمر عدد السكان في الزيادة؟»، «ماذا عن الأمن الغذائي؟»، «ماذا عن جودة البيئة؟» تمت محاولة تصميمها بطريقة ما من أوائل السبعينيات فصاعدًا.

كانت هناك مبادرة مهمة للغاية في ذلك الوقت، «نادي روما»، وهي مجموعة من الأشخاص من عالم الأعمال والفكر الذين دعموا ومولوا هذا النوع من العمل. هنا، في عام 1972، كتاب دوناتيلا ودينيس ميدوز الشهير هو كتاب يجب تذكره دائمًا: «حدود النمو».[6] أعتقد أن هذا الكتاب من الكتب التي تركت بصماتها على تلك الفترة ودائماً ما يتم الحديث عنها. ظهرت تقارير أخرى مثل هذه في تلك السنوات. أثناء حدوث ذلك، من ناحية أخرى، هناك تطور مهم للغاية أثر على إدراكنا. هذا التطور هو صورة للأرض التقطتها أبولو 17. هذه الصورة لم يتم التقاطها بكاميرا رقمية، ولكن على فيلم ملون بكاميرا تمثيلية. إنه أمر مهم للغاية، لأول مرة ننظر إلى كوكبنا، بمعنى آخر، هذا «الرخام الأزرق» من بعيد، ويمكن القول بسهولة أنه ساهم في إدراك مدى تميزه، ومدى خصوصية كوكبنا العيش عليه. لهذا السبب يجب أن تكون هذه الصورة دائمًا في مكان خاص.

نتيجة لذلك، هناك بعض المبادرات. في عام 1972، على سبيل المثال، كان هناك اجتماع للأمم المتحدة بشأن البيئة البشرية. لقاء مشهور جدا. على محمل الجد، لم يحضره العلماء والعلماء المحترمون للغاية فقط، ولكن أيضًا حضره بعض السياسيين المثيرين للاهتمام للغاية. كانت إنديرا غاندي واحدة من السياسيين المهمين الذين حضروا الاجتماع. إنها علامة فارقة من حيث قبول علم

5 Paul R. Ehrlich and Anne Howland Ehrlich, *Population, Control or Race to Oblivion? The Population Bomb*, New York, Sierra Club/Ballantine Books, 1968.

6 Dennis Meadows, Donella Meadows, Jørgen Randers, William W. Behrens III, *Limits to Growth*, A Potomac Books, 1972.

التغيير العالمي وإدراك الاهتمامات التي ينتجها العلم الناشئ، على الأقل من قبل صانعي القرار والسياسيين.

في نفس العام، حدث شيء آخر، تم إنشاء برنامج البيئة للأمم المتحدة. تأسس البرنامج الذي نسميه برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) في عام 1972، وهو برنامج مهم للغاية. إنه برنامج لا يزال نشطًا ويلعب دورًا مهمًا للغاية. ومع ذلك، في العام 1950 تم إنشاء المنظمة العالمية للأرصاد الجوية (WMO) كوكالة من وكالات الأمم المتحدة. يلعب هذان الكيانان معًا دورًا مهمًا.

في عام 1988، قام برنامج الأمم المتحدة للبيئة والمنظمة العالمية للأرصاد الجوية، معًا، بتشكيل الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ (IPCC) التي تقوم بإجراء مجموعة متنوعة من الدراسات. تنشر تقريرًا كل خمس أو ست سنوات تقريبًا. تم نشر الجزء الأول والثاني والثالث، وهو التقرير الخاص بتدابير التخفيف وما يجب القيام به فيما يتعلق بالتدابير الاحترازية، حتى الآن. هذه التقارير مهمة للغاية وجيدة الإعداد. هذه التقارير ذات جودة يمكنك استخدامها بسهولة ككتب مدرسية. يتم نشره بثلاث أو خمس لغات، واللغات الرئيسية للأمم المتحدة هي على الأرجح الفرنسية والألمانية والروسية والعربية إلى جانب الإنجليزية. هذه التقارير هي تقارير مع رسوم بيانية لطيفة للغاية. لديهم بعض الملخصات لصناع القرار، وهي ليست وثيقة كبيرة للغاية. إنه مستند قابل للقراءة ويحتوي على رسوم توضيحية رائعة ورسوم بيانية عالية الجودة.

هذه التقارير مهمة. هناك ميزة أخرى لهذه التقارير أود التأكيد عليها، وهذا شيء أعتقد أنه مهم للغاية من حيث تصور العلم. لأننا نتوقع إجابات دقيقة من العلماء. لسوء الحظ، مع نضوج العلم، فإن التناقضات بين هذه الإجابات ليست دقيقة على الفور. في هذا الصدد، عندما يقولون شيئًا ما أو يستخدمون تعبيرًا في جميع تقارير الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ، هناك بعض هذه الصفات بين قوسين حول مدى تأكدها، سواء أكان ذلك أكيدًا أو محتملًا، وبيانات حول الاحتمالية. هذا مهم جدا. يعمل ما لا يقل عن 300-400 عالم في هذا المجال. يقوم ما لا يقل عن ألف شخص آخر بتحرير هذه التقارير. في الواقع، كل جملة من هذا المنتج العلمي قاموا بتقطيره لها احتمالية معينة، وهي ليست بالأبيض والأسود هنا أيضًا. بعض الأشياء تقول بالأبيض والأسود، شيء من هذا القبيل مؤكد تمامًا، هناك 99٪. لا توجد مشكلة هناك، لكن بعض البيانات من ناحية أخرى تقول أنه لا يوجد احتمال لذلك، لا يوجد مثل هذا الاحتمال. لكن هناك العديد من درجات اللون الرمادي بينهما، وأعتقد أنه من المهم جدًا لأناس القرن الحادي والعشرين أن يتعلموا كيف يتعايشون مع هذه الظلال الرمادية. بدلاً من انتظار إجابات محددة من العلم، فإن

بعض الإجابات المقدمة مع مثل هذه الاحتمالات، والتي لم يتم تنفيذها عبثًا، تكون جادة للغاية، نتيجة للمناقشات، ترتبط هذه الاحتمالات بهذه العبارات. بناءً على ذلك، فإن تعلم اتخاذ القرارات بنتائج علمية تحتوي على عدم اليقين هو أحد أهم ميزات القرن الحادي والعشرين، والتي أعتقد أنه يتعين علينا القيام بها. لا خيار آخر. لأننا لن نحصل أبدًا على نتائج بالأبيض والأسود من العلم. حتى لو كنت تريد أن تضع مسدسًا على رأس العالم، إذا كان الاحتمال 70٪ - 60٪، فلن يخبرك أنها نتيجة محددة، أي نتيجة مؤكدة، سلبية أو إيجابية. سيقول لك إنني، وفقًا للاحتمالات، أعطي مثل هذا الاحتمال. لهذا السبب، أعتقد أن هذه نقطة تمييز أساسية للغاية. ترتبط نتائج العلم ببعض الاحتمالات، معطى بها... أعتقد أن هذه مسألة اتصال مهمة للغاية.

تأسست الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ عام 1989 ونشرت تقريرها الأول. بعد ذلك، كان هناك شيء مهم للغاية في عام 1992، ربما مرة أخرى، كما في عام 1972، أحد المعالم البارزة. عقد مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية في ريو بالبرازيل. هذا مؤتمر مهم جدا. حضرت تركيا هذا المؤتمر ممثلة بالرئيس آنذاك أوزال ورئيس الوزراء ديميريل. هذا مؤتمر مهم جدا.

عادة ما يكون هناك تحضيرات للمؤتمرات. ونتيجة لهذه التحضيرات الأولية، تم إحضار بعض الوثائق ومناقشتها في المؤتمر، وقد يستمر هذا المؤتمر لمدة أسبوعين. بعض الاستعدادات الأولية قد بدأت بالفعل من هذا التقرير الصادر عن الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ. نشر إعلان ريو بشأن البيئة والتنمية. تم نشر وثيقة تسمى جدول أعمال القرن 21. هناك وثيقة عن مبادئ الغابات. هناك أيضا ثلاث اتفاقيات. إحداها هي «اتفاقية التنوع البيولوجي»، وهي مهمة للغاية. والثانية هي «الاتفاقية الإطارية بشأن تغير المناخ». هذا المؤتمر هو أساس كل تلك الاجتماعات التي عقدت. الاتفاقية الثالثة هي «اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر». وقعت تركيا وصدقت على الاتفاقيتين الأولى والثالثة والثانية في عام 2000، لكنها تأخرت قليلاً فيما يتعلق بما يجب القيام به بشأن هذه القضايا.

باختصار، يتميز علم التغير البيئي العالمي في القرن الحادي والعشرين ببعض الميزات. واحد منها هو أنه علم متعدد التخصصات وهذا أمر مؤكد. هناك متطلبات لغة مشتركة تأتي معها. يلعب التعاون والشبكات عبر الحدود دورًا مهمًا للغاية هنا. لأننا نتحدث عن كوكب ولا يمكن للجميع البقاء في ركن خاص بهم.

القرن الحادي والعشرون هو قرن الأساليب التعاونية التي يجب أن يقبلها الجميع. البيانات الضخمة والحوسبة عالية الأداء والمعلوماتية والبيانات المفتوحة لها دور كبير في هذا. هذا ليس عدد البنادق. هذه هي درجة الحرارة في مكان ما، والتساقط في مكان آخر، وعدد الأنواع التي تجدها على الجانب الآخر. لن يخفيهم أحد عن بعضهم البعض. لا يمكن أن يتطور العلم في بيئة يتم فيها تخزين البيانات ولا يتم تقديمها إلا للناس بطريقة خاضعة للرقابة. الجميع يفهم هذا الآن.

أيضا هناك مسألة العلم القابل للتكرار. لقد أصبح هذا أيضًا مهمًا جدًا. هناك تقدم تدريجي هناك مقارنة بالسنوات السابقة. أحد الأسباب التي تجعلنا في وضع أفضل هو تطوير تقنيات المعلومات والإنترنت، وهو أمر مهم للغاية. لكن هذا التكرار هو في الواقع مسألة انضباط وأخلاق في نفس الوقت. إذن، البيانات المفتوحة. يمكنك جمع البيانات المفتوحة، وإدارتها ببعض الطرق المعقدة للغاية، وتضعها في مكان ما، لكنك لا تسمح لأي شخص بالوصول إلى البيانات. ثم لا يمكنك الوصول إلى هدفك على أي حال. وهذه مشكلة خطيرة جدا. إذا كان هناك أشخاص مهتمون بهذه الأمور، فإن أحد أهم الضغوط التي يتعين علينا القيام بها كمواطنين هو الضغط على جميع الآليات الحكومية في حدود قدرتنا، والتي لها نطاق تأثير خاص بها، والتأكد من أن البيانات تحولت إلى بيانات مفتوحة.

كذلك نحن بحاجة إلى التفكير في الممثلين. فيما يتعلق بهؤلاء الممثلين، عندما يتعلق الأمر بالعلم، فإن هذا الجانب من الاحتمالات مهم جدًا في هذا العمل. إنها مسألة إدراك. يختلف صانعو السياسة قليلاً، فهم يفكرون أكثر قليلاً في هذا الأمر، ولا يوجد بينهم بيروقراطيون منتخبون فحسب، بل بيروقراطيون معينون أيضًا. إنها مسألة كيفية عملهم. هناك علماء ومنصات علمية تثير قضية البيئة. إحدى هذه المنصات هي الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ. من ناحية أخرى، هناك من يريد إجابات. عند نقطة الإجابة... ليس من السهل إنشاء مثل هذه السحب الكبيرة غير المؤكدة مثل الجمهور وصناع القرار، وجعلها أكثر وضوحًا. لأن هناك العديد من الشرائح المختلفة وتتفاعل بشكل مختلف تمامًا. من الواضح أنهم لا يتمتعون جميعًا بنفس الثقافة. ولكن من ناحية أخرى، يتم إجراء العلوم المصممة حسب الطلب بطريقة إيجابية للغاية. فمثلا بالنسبة للاجتماع الذي تم فيه الإعلان عن اتفاقية باريس هذا، تم طلب تقرير حول «ما هي آثار زيادة 5.1 درجة مئوية» من الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ والهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ أعدا وقدما هذا التقرير. في بعض الأحيان، قد يكون لدى صانعي السياسات طلبات واحتياجات محددة من عالم العلوم.

ان مسألة المواطنين والرأي العام هنا، الإلمام بالعملية هو موضوع غير متجانس للغاية، في العديد من الثقافات المختلفة هناك مستويات مختلفة. هذا موضوع طرحه تشارلز بيرسي سنو. هناك «مشكلة الثقافتين»، من ناحية، هناك «أشخاص أدبيون»، ومن ناحية أخرى هناك «علماء»، كما سيقول جيلنا الأكبر سناً. تحتاج هاتان الثقافتان إلى العيش معًا، والتأثر ببعضهما البعض و نفهم بعضنا البعض. ما هو نوع ظاهرة المواطن المطلع الذي يفهم الطريقة العلمية؟ كيف تظهر؟ كيف تنتشر هذه الثقافة مع مرور الوقت؟ لأنه في النهاية، إذا كنا في ديمقراطيات، يجب على المواطنين استيعاب أشياء معينة. العلماء يجدون شيئًا في مختبراتهم، ثم يذهبون ويخبرون صانعي السياسة. الآن، هناك مواطنون تم إهمالهم، وإذا كنا نتحدث عن العمليات الديمقراطية، يجب على هؤلاء المواطنين أيضًا اتخاذ بعض القرارات على قدر المستطاع.

في وضع مثل هذا. عنصر إعلام المواطنين بالمشروعات العلمية أصبح الآن شائعًا جدًا في العالم الغربي، خاصة في أمريكا الشمالية، هذا المفهوم الذي نسميه «التواصل» يتم تنفيذه ويجب تطبيقه. بعبارة أخرى، في هذه الأيام عندما تصمم مشروعًا علميًا، فإنك تواجه المزيد والمزيد من الأسئلة مثل، «كيف ستشرح النتائج التي ستحصل عليها هنا لأشخاص ليسوا خبراء في هذا الموضوع وللمواطنين العاديين؟".

هناك طريقة لطيفة للغاية هنا، إنه مجال أنا مهتم به للغاية. إنه علم المواطن أو العلم التشاركي، ويفضل الفرنسيون مصطلح العلم التشاركي لعلم المواطن. ما هو مدرج هنا؟ سوف تحصل على مواطنين فضوليين للقيام ببعض الأعمال التي لا تتطلب خبرة متقدمة. هذه ملاحظات مهمة جدًا وبسيطة، لكنها ذات قيمة هائلة عندما يتم إجراؤها في منطقة جغرافية واسعة جدًا. وبالتالي، يتم توسيع فرق العلوم لتشمل منطقة جغرافية كبيرة وفترات زمنية طويلة. يساعد المواطنون أيضًا كثيرًا نتيجة لعملية الإنتاج العلمي هذه... يتم نقل الملاحظات التي يتم إجراؤها في هذا السياق إلى قواعد البيانات. أعتقد أن هناك تطورًا مهمًا للغاية هنا. لا جدال في أن الإنترنت والهواتف الذكية ربما تكون أرخص الأجهزة العلمية وأكثرها شيوعًا. يمكنك التقاط صورة لشيء ما، باستخدام تنسيق GPS للنموذج، وتحميله على الإنترنت، ويمكن للأشخاص جمعها بسهولة.

فيما يتعلق بجمع البيانات ونشرها، ينبغي ذكر ألكسندر فون همبولت، وهو عالم عاش في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. في بداية القرن التاسع عشر، كان لديه ردود أفعال القرن الحادي والعشرين اليوم، وعلق أهمية كبيرة على إنشاء الشبكات، وحاول تسجيل التفاصيل مثل الارتفاع والموقع بدقة شديدة عندما جمع العينات / المعلومات، وتجول مع المتخصصين، مثل

إيمي بونبلاند، إيمي بونبلاند عالم نبات جيد جدًا ورفيقه الرئيسي. تشكل ملاحظاته والنباتات التي جمعوها معًا قاعدة بيانات غنية، بمصطلحات اليوم. لقد لعب دورًا حاسمًا في تطوير العلم في هذا المجال لأنه في بداية القرن التاسع عشر، قدم للناس بعض ردود الفعل التي حاولنا اكتسابها ونشرها في القرن الحادي والعشرين.

**بعض الاستنتاجات**

يوشك الربع الأول من هذا القرن على الانتهاء وهناك العديد من القضايا البيئية العالمية الخطيرة التي تكمن في مستقبل كوكبنا. المنقذ الوحيد هو مجموعة من القرارات الشجاعة المستندة إلى العلم. لسوء الحظ، فإن إنتاج العلم الراسخ، مع تناقص الشكوك باستمرار، لن يكون كافيًا لتوليد التصميم السياسي للإسراع بتنفيذ الإصلاحات المجتمعية والتكنولوجية المطلوبة. استنادًا إلى القضايا التي ناقشناها أعلاه، يمكن للمرء أن يقترح قائمة قصيرة (غير شاملة) من الإجراءات لتخفيف بعض الحواجز التي تحول دون حوار أكثر فاعلية بين العلم والمجتمع:

• يجب تشجيع الأكاديميين / الباحثين على تخصيص الوقت للتواصل مع الجمهور. ينبغي منحهم المهارات والحوافز لاعتبار الاتصال العلمي جزءًا لا يتجزأ من مهنتهم ؛

• ينبغي بذل الجهود لتعميم «علم المواطن» عند الاقتضاء كاستراتيجية مربحة للجانبين لتحسين فهم الجمهور للعلم والعملية العلمية ولتعزيز النطاق الزمني / المكاني للرصد البيئي ؛

• يجب إعادة تصميم مناهج التعليم الثانوي والعالي لتقليل الفجوة بين «الثقافتين». يمكن / ينبغي أن توفر العلوم الإنسانية البيئية «الجسر» الذي تشتد الحاجة إليه ويجب دمج منظورها في تدريس الأدب والعلوم الاجتماعية في التعليم الثانوي.

## المراجع

Arrhenius, Svante, "On the Influence of Carbonic Acid in the Air upon the Temperature of the Ground", *Philosophical Magazine and Journal of Science Series* 5, Vol. 41, April 1896, pp. 237-276.

Benedick, Richard Elliot, *Ozone Diplomacy: New Directions in Safeguarding the Planet*, Harvard University Press, 1991.

Ehrlich, Paul R.; Ehrlich H., Anne, Population, *Control or Race to Oblivion? The Population Bomb*, Sierra Club/Ballantine Books, New York, 1968.

https://www.wwf.org.uk/our-reports/living-planet-report-2022

Meadows, Dennis; Meadows, Donella; Randers, Jorgen; Behrens, W.William, *Limits to Growth*, A Potomac Books, 1972.

Molina, M.Jose and Rowland, F.Sherwood, "Stratospheric Sink for Chlorofluoromethanes: Chlorine Atom-Catalysed Destruction of Ozone", *Nature,* Vol. 249, 1974, pp. 810-812.

# "الإنسان بين التسيير والتخيير" في الفلسفة الإسلامية الكلاسيكية: الفارابي وابن سينا وابن رشد نموذجاً

كاتارينا بيلو

تعتبر كلّ من مسألة الإرادة الحرة والحتمية من بين الإشكاليات الفلسفية التقليدية. لقد تمّ التعبير عنها بطرق متباينة وقدّمت بشأنها حلولا مختلفة. تفترض الحتمية أن الأحداث والمواد في العالم ترتبط بعلل ضرورية تقيّدها بمصير وكينونة لا مهرب منها. هذا يعني أن الأحداث محددة قبليّا ولا يمكن أن تجري بصورة أخرى. هناك أنواع مختلفة من الحتمية وفقًا لنوع العامل أو الحدث الذي يتمّ التّعامل معه. تعني الحتمية الميتافيزيقية أن كل شيء يحدث بشكل حتميّ كنتيجة لعلله الخاصّة بحكم الضّرورة. يمكن للمرء أن يفكر في الحتمية الفيزيائية على أنها النظرية التي تحدث الظواهر الطبيعية بموجبها بشكل ضروريّ. يمكننا أيضًا أن نميّز الحتمية الأخلاقية من بين الأنواع المختلفة من الحتمية وهي تلك التي تنص على أن الأفعال البشرية محددة سلفا. أما الحتمية البيولوجية فهي تعني أن الأحداث بين الكائنات الحية تقع بشكل ضروري. ويتمثّل معناها الضمني بالنسبة للكائنات البشرية في أن العوامل البيولوجية هي المحدّد لشخصياتنا وأفعالنا.

تمت مناقشة الإشكالية بشكل مفصّل من قبل أرسطو في أعماله، التي نذكر منها *ما وراء الطبيعة* و*الطبيعة*، ولطالما صاغها على أنها مسألة سببية على الرغم من أن مفهوم الضرورة كان هو أيضًا موضوعا محوريّا في النقاشات حول الحتمية. في *ما وراء الطّبيعة*، يذكر أرسطو الفعل البشري بصفته نتيجة لسلسلة من العلل. أمّا في نهاية الكتاب الثاني من *الطبيعة*ـ فقد تساءل عمّا إذا كانت الصدفة هي العلّة وأيّ نوع من العلل يمكنها أن تكون. وكانت القضايا ذات الصلة تتعلق بالوكالة وقوة الأسباب طبيعية كانت أم إلهية. يناقش أرسطو أيضًا الأحداث الطبيعية من حيث الضرورة والطواعية في سياق ميتافيزيقي وأخلاقي.

في العصور الوسطى، وضع التّساؤل في إطار ارتباط قوة الأسباب بالقدرة الكلّية غير المحدودة للإله. وتعتبر إشكالية الحتمية جوهريّة بسبب عواقبها المترتّبة على مفهوم وتصوّر الفعل البشري وإمكانية انتقاصها من الوكالة والمسؤولية البشرية. إذا تم تحديد الفعل البشري من خلال عوامل خارجية أو حتى عوامل طبيعية أو بيولوجية داخلية فهذا يعني أنّنا لسنا الوكلاء الحقيقيين على أفعالنا أيّ أنّه لا يمكننا تحمّل مسؤوليّتها. هذا الأمر من شأنه أن يخلق إشكالات في مبدإ الانضباط

الأخلاقي الذي يفترض امتلاك البشر إرادة حرة تجعلهم الوكلاء الرّئيسيين على أفعالهم. وعليه يفترض أن يكونوا قادرين على تغيير مسار أفعالهم فضلا عن الاختيار بين الخير والشر. وبالتالي فهم يتحملون مسؤولية أفعالهم إذا ما تعلّق الأمر بالآخرين من البشر والحيوانات وصولا إلى البيئة. تضمن المساءلة تحقيق العدالة لأن أكثر تعريفات العدالة شيوعًا هو القائل بإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه.

لقد ظهر النقاش حول الحتمية أيضًا في فلسفة العصور الوسطى والعصر الحديث. تطرّق كانط إلى مسألة الحتمية من جانب كونها مسألة سببية في إطار تناقضات العقل الخالص في كتابه «*نقد العقل الخالص*". وقد جادل بأنّ الفعل البشري قد يندرج تحت علاقة السببية الطبيعية، التي من شأنها أن تعني قبول الحتمية أو أنّه يتمتّع باستقلاليته الخاصة مما يحيلنا ضمنيّا إلى الإرادة الحرة.[1]

تظل الإرادة الحرة والحتمية إشكاليتين فلسفتين دائمتين. من ناحية أخرى، تعد الحاجة إلى إيجاد الأسباب الضرورية للظواهر الطبيعية جانبًا حتميّا للتطور العلمي. في حين أنّه إذا تم تحديد الفعل البشري من خلال عوامل طبيعية بدلاً من امتلاك استقلاليته الخاصة، فيمكن لذلك التشكيك في نظام الأخلاق نفسه بكلّ مفاهيمه عن الخير والشر والصواب والخطأ. إذا كان الفعل البشري غير قابل للتّغيير، فلا يمكننا أن ننسب أيّ استحقاق أو لوم إلى أيّ من الفاعلين من البشر.

بالنسبة للفلاسفة الإسلاميين الكلاسيكيين، تتعلق مسألة الإرادة الحرة والحتمية في المقام الأول بالرّبط بين قوة الإله والوكالة البشريّة. كما أنها تتعلق بشكل أكثر تحديدًا بالتّركيز على الصفات المختلفة للإله ولا سيما قوته وعدله. الله كلي القدرة ولكنه عادل أيضا، ممّا يعني أنه لن يثني على البشر غير المسؤولين عن أفعالهم أو يلومهم أو يكافئهم أو يعاقبهم.

إنّ الإرادة الحرة والوكالة والحتمية كلّها مذكورة في النّصوص الدينيّة الإسلامية وخاصة القرآن والأحاديث النبويّة. يؤكد القرآن على قدرة الله المطلقة ولكنه يشدّد أيضًا على حقيقة أنّ الله سيُحاسب البشر على أفعالهم (على سبيل المثال، الآية 54 من سورة ياسين من القرآن). تؤكد نصوص الحديث التي تسرد أفعال النبي محمد وأقواله، على أنّ الله لا يحدّد الأحداث سلفا فحسب، بما في ذلك ما يحدث للبشر خلال حياتهم، بل تشدّد على أنّ الإله يحدّد هذه الأحداث قبل ولادة الفرد أثناء وجوده في رحم الأم حتّى.[2]

---

1 كانـط، إيمانويـل - *نقـد العقـل الخالـص* - تحريـر ب.جايـر و أ. وود - كامبريـدج: مطبعـة جامعـة كامبريـدج، 1998، ص 484.

2 وات، ويليام مونتغمري - *الإرادة الحرة والقضاء والقدر في الإسلام المبكر* - لوزاك: لندن، 1948، ص. 18.

يعتبر موضوع *القدر* أو تحديد الله الأحداث سلفا وفكرة أن الله يخلق كل شيء بقدر من أحد الموضوعات المهمة في القرآن. (الآية 49 من سورة القمر) وتؤكد نصوص الحديث أيضا على فكرة أن الأحداث قد حددها الله مسبقًا قبل وقوعها.[3]

يتضمّن الفقه الإسلامي الذي يتألف من التّفكير في النّصوص الدينية وخاصة القرآن من أجل الحصول على نظرة شاملة لطبيعة الله والخلق مواقفا متباينة وفقًا للمذاهب الفقهية المختلفة. أكّدت الفرق المبكّرة مثل القدرية والمعتزلة على إرادة الإنسان الحرة من أجل الدفاع عن فكرة العدالة الإلهية. كان التأكيد على صفات الوحدانية والعدالة الإلهية التي تعتبر من السمات المميزة لعقيدة المعتزلة الفقهية. ومع ذلك، اعتبر الفقهاء الآخرون أن إرادة الإنسان الحرة ووكالته يمكن أن تكون استنقاصا لقدرة الله المطلقة. لذلك، فقد سعوا لحل المشكلة من خلال التأكيد على قدرة الله مع محاولة إيجاد طريقة لجعل البشر مسؤولين عن أفعالهم حتى يكافئهم الله أو يعاقبهم بشكل عادل. طوّر الأشاعرة نظرية *الكسب* التي بموجبها خلق الله الأفعال (حسب الأشاعرة، توجد نظرية أساسية موجودة في القرآن وهي أن الله هو الخالق والوكيل الفاعل الوحيد) ومن ثمّة اكتسبها البشر.بطريقة تجعل منهم مسؤولين عن أفعالهم.[4]

أثّرت النقاشات الدينية والفقهية على فلاسفة القرون الوسطى المسلمين في مقاربتهم لقضية الوكالة البشرية والإلهية كما تأثرت أيضا بالفلسفة اليونانية القديمة.

ناقش ثلاثة فلاسفة منهم مسألة الإرادة الحرة والحتمية في أعمالهم وهم الفارابي (توفي في 950 م) ابن سينا (توفي في 1037م) وابن رشد (توفّي في 1198م).

كتب الفارابي أنواعًا مختلفة من المؤلفات بما في ذلك الأعمال التمهيدية للفلسفة وشروح أعمال أفلاطون وأرسطو والأعمال المنهجية للفلسفة. وقد ناقش مسألة الحتمية في شرحة لمؤلّف أرسطو (*العبارة*) الذي يشكل أحد مؤلّفات أرسطو في المنطق. أحد الأسئلة التي تناولها أرسطو هو حالة الافتراضات المتعلقة بالمستقبل.[5] هل الاقتراح القائل بأنه ستكون هناك معركة بحرية غدًا له قيمة حقيقة محددة؟ إذا كانت الفرضيّة المتعلقة بالأحداث المستقبلية صحيحة أم خاطئة الآن، فهذا يعني أن المستقبل محدد سلفا. بينما قد يبدو أنّ الفرضيّة وحالتها تشيران ببساطة إلى

3 وات، *الإرادة الحرة والقضاء والقدر في الإسلام المبكر*، ص 17.

4 دي سيليس، ماريا - *الإرادة الحرة والقضاء والقدر في الفكر الإسلامي: التنازلات النظرية في أعمال ابن سينا والغزالي وابن عربي، لندن ونيويورك:* منشورات روتليدج، 2014، ص. 229.

5 أرسطو، العبارة، 32-19a28، في *الأعمال الكاملة لأرسطو: ترجمة أكسفورد المنقحة*، تحرير. جوناثان بارنز، مجلدان، برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1984، المجلد الأول، ص. 30.

المنطق فإنّهما تؤثّران على الطريقة التي تصفان بها الواقع. يعتبر كلّ من المنطق والميتافيزيقيا مسألتان متشابكان بشكل وثيق بالنسبة لأرسطو ويشاطره الفارابي الرأي ذاته. يناقش الأخير هذه المسألة في شرح مفصّل مضيفا إليها هواجسا ذات طبيعة لاهوتية ولا سيما مسألة معرفة الله في علاقته بالحتمية. ووفقًا للفارابي، فإنّ الإقرارات بشأن الأحداث المستقبلية لا تعني أنّ المستقبل يتمّ تحديده الآن بحكم أنّ الإقرارات المتعلقة بالمستقبل ليس لها قيمة حقيقية محددة.[6] ومع ذلك، يتعيّن علينا معالجة سؤال آخر ألا وهو معرفة الله. الله بكلّ شيء عليم وهذا يستتبع معرفة المستقبل. إذا كان الله يعلم الآن ما سيحدث، دون نقصان في معرفته، فإنّ المستقبل يتمّ تحديده الآن بالفعل وبهذا لن يكون هناك أيّ مجال لإرادة الإنسان الحرّة أو وكالته. ومع ذلك، فمن الضروري تأكيد علم الله بكل شيء لأنّه يتعيّن على صفاته أن تدلّ على كماله. في الوقت ذاته، إذا تمّ تحديد المستقبل فلا يترك أيّ مجال لإرادة الإنسان الحرّة وبذلك لا يكون الله عادلاً في مكافأة البشر أو معاقبتهم على أفعالهم. وبالنّسبة للعمل البشري، فإنّ معرفة الله لا تفرض الضرورة. يدافع الفارابي عن رأي يسمح لله بتحديد الأحداث المستقبلية ومعرفتها دون استنقاص إرادة الإنسان الحرّة. يمكن اعتباره موقفا توافقيا يراوح بين قبول الحتمية وعلى وجه الخصوص تحديد الله للأحداث، وإرادة الإنسان الحرّة ومسؤوليته على أفعاله.

يصف الفارابي في أعماله الأكثر منهجية كيف ينبثق العالم بالتفصيل انطلاقا من الكائن الأول الأكثر كمالًا والفريد من نوعه ذو الصّفات الأكثر كمالا. في أشهر أعماله، مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة (ترجمها إلى الإنجليزية ريتشارد والزر *الدّولة المثالية*)، يصف الفارابي كيف أنّ العقل البشري ينبع من الفرد الأول وهو الله الذي يمثّل العقل الخالص. يأتي العالم الأرضي بعد سلسلة من الانبثاقات الإلهية التي نتجت عنها عشرة عقول منبثقة وعشرة كرات (الانبثاق الأخير هو عقل بسيط بلا كرة).[7] يميّز الفارابي بين العالمين السماوي والأرضي، فالأول يتسم بالكمال بعقوله وكراته الأبدية ،فيما يكون العالم الأرضي هو عالم التوليد والفساد حيث توجد الموادّ وتزول. ومع ذلك، وحتى إذا نظر الفارابي إلى العالم السماوي على أنه عالم مثالي، فإنّ هذا لا يستبعد وجود الإرادة الحرة في عالم الأرض الذي يعيش فيه البشر. على الصّعيد السياسي، من الواضح أن نظرية الفضيلة لدية تتوخّى احتماليّة اصطفاء البشر ليكونوا أفرادا فاضلين أو غير ذلك فيما يضع الزّعيم

6 الفارابي، *شرح الفارابي وأطروحته القصيرة حول كتاب "العبارة" لأرسطو*، ترجمة. ف.و. زيمرمان، أكسفورد: نشرت الترجمة لفائدة الأكاديمية البريطانية من قبل مطبعة جامعة أكسفورد، 1991 (معاد طبعه)، الصفحات 90-88.

7 الفارابي، *الفارابي في الدولة المثالية: أبو نصر الفارابي مبادي آراء أهل المدينة الفاضلة*، حرره وترجمه ريتشارد والزر، نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد ،1985 ،ص 105-100.

مزاج القرارات الرئيسية المتخذة على المستوى السياسي. بالنسبة للمواطنين والقائد على السواء، هناك خيار بين الفضيلة أو الرذيلة وبين الخير أو الشر.[8]

يناقش ابن سينا في أعماله التي تتناول جميع جوانب الفلسفة العديد من المواضع التي تتعلق بمسألة الحتمية. أحد الموضوعات المركزية التي تتناول هذه القضية هو مسألة الممكن والضروري وطرائق الوجود من منظور ميتافيزيقي. بالنسبة لابن سينا، يعتبر كل ما هو موجود ضروريّا من خلال علّته. وبشكل أكثر دقّة، إنه موجود بالضرورة من خلال هذه العلّة. لذلك يقول إن كل ما هو موجود ضروري، وهذا يعود إلى علّته.[9] الله وحده ضروري من خلال ذاته. وهذا يعني أن الله موجود بالضرورة ولا يمكنه إلّا أن يوجد. يقول ابن سينا بصريح العبارة بأنّ الشيء لا يوجد إذا لم يكن هناك أيّ ضرورة لوجوده.[10] الله وحده لا ينجم على شيء وليس له أيّ مسبّب لوجوده. ومن ثم فإن الضرورة تتساوى مع السببية أو السّبب في رأي ابن سينا باستثناء الله الذي يعتبره سبب كل الأسباب وعلّة كلّ العلل. تشير الميتافيزيقيا لديه إلى أنه يعتبر كل ما هو موجود بالفعل على أنه ضروري من خلال علّته. وترتبط الضرورة أيضًا بالوجود حسب رأي ابن سينا. من الواضح أن كلّ ما هو موجود بالفعل ضروري دون إمكانيّة أنّ يكون غير ذلك. أمّا بالنسبة لأرسطو، الضروري هو الأبدي وأيضًا ما لا يمكن أن يكون غير ذلك، ولكن مفهوم الضّرورة مختلف لدى ابن سينا. بالنسبة لابن سينا، الممكن هو ما هو غير موجود بالفعل ولكنّه يمكنه أن يوجد إذا ما كان هناك سبب يجلبه إلى الوجود. بالإضافة إلى ذلك، يوجد كلّ شيء من خلال تسلسل هرمي للعلل والأسباب. إن تصور ابن سينا للسببية يحيل إلى أنّ كل موجود محدّد سلفا سببيًا وحتميًا.

إن مفهوم ابن سينا للسببية الضرورية واضح أيضًا في ملاحظاته عن الصدفة في *ميتافيزيقيا* كتاب الشفاء مشيرًا إلى الصدفة هي نتيجة للاشتباكات القائمة على المبادئ الضرورية التي تتأتى من الله.[11] وفي نفس المؤلف، ذكر أيضًا أن كل شيء يقع مرتبط ارتباطا وثيقا بسببه أوعلّته ولا يحدث دون سبب أو علّة.[12]

---

8 ماتيلا ،جان - *الأخلاق الفاضلة للفارابي وابن سينا*، جامعة لايدن: بريل، 2022، ص 182- 181.

9 ابـن سـينا، *ميتافيزيقيا* كتـاب الشـفاء، هـو نـصّ مـوازي مؤلّـف بالإنجليزيـة والعربيـة ترجمـه وقدمـه وعلـق عليـه مايـكل إي.مارمـورا، بروفـو: مطبعـة جامعـة بريغهـام يونـغ، 2005، ص. 127.

10 ابن سينا، التعليقات، منشورات. بدوي، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1973 ص. 83.

11 ابن سينا، *ميتافيزيقيا* كتاب الشفاء، ص. 362.

12 المرجع نفسه، ص.31.

ضمن فصل *الفيزياء* من كتاب الشفاء، يشكل الفصلان 13 و 14 بوضوح شرحا عامّا للسؤال الأخير من المجلّد الثاني من كتاب الفيزياء السّماع الطبيعي لأرسطو. في نهاية هذا الكتاب، يتساءل أرسطو عما إذا كانت الصدفة هي السبب وكيف ترتبط بالأسباب الجوهرية الأخرى كالأسباب الشكلية والعمليّة والنّهائية والمادية. لتوضيح هذه الأسباب الأربعة، وفي حالة الطاولة نقول أن الخشب هو السبب المادي وأنّ النّمط أو الهيئة هي السبب الشّكلي وأنّ النّجار هو السبب العمليّ في حين أنّ الكتابة هي السّبب النّهائي أو الهدف.

يقول أرسطو أن بعض الفلاسفة يجادلون بأن الصدفة ليست سببًا بينما يقول رأي آخر بأنّها سبب أساسيّ. ويشير أيضًا إلى الاعتقاد السائد بأن الصدفة يمكن اعتبارها آلهة تمثّل قوة محدّدة معيّنة.[13] يقارب أرسطو الصدفة من جانب علاقتها بتواتر الأحداث ويخلص إلى أن الصدفة لا تقع دائمًا أو في معظم الأحيان. إذا حدث شيء ما دائمًا أو في أغلب الأحيان مثل المطر في الشتاء فلا يمكن اعتبارها حدثًا من أحداث الصدفة. يرتبط هذا أيضًا برأيه القائل بأن الصدفة ليس لها مكان في العالم السماوي حيث يحدث كل شيء بطريقة منتظمة ولا يتغير أبدًا.[14] العالم السّماويّ هو عالم مثالي تكون موادّه أبدية على عكس العالم الأرضي للتّكوين والفساد.

في البداية، ربط ابن سينا الصدفة بما لا يحدث دائمًا أو في معظم الأحيان مثل الأحداث غير العادية أو النادرة لكنه يعترف أيضًا بأنّ الصدفة قد تحدث أيضا بأشياء تحدث في معظم الأحيان. في المقابل، يمكن أيضًا اعتبار ما هو نادر الحدوث ضروريًا اعتمادا على أسبابه وعلله.[15] وبهذا المعنى، يمكن أن تكون الصدفة أمرا غير عاديّ ولكن يمكنها أيضًا أن تكون مرتبطة بوقائع تحدث بشكل متكرّر أو متوقّع. من الواضح في هذا الصّدد أن لديه تصوّرًا للصّدفة أكثر حتميّة من تصوّر من أرسطو لأن الصدفة ليست مرتبطة بشكل أساسي بالوتيرة المنخفضة للأحداث. قد يتساءل المرء كيف يمكننا التّحدث عن الصدفة بطريقة ذات مغزى إذا كان كل شيء يعتبر ضروريًا وإذا كانت الصدفة غير مرتبطة أساسًا بأحداث نادرة. يعتبر أرسطو أنّه علينا تحليل الصدفة في إطار نظرية سببية وهذه هي الطريقة التي يقدم بها موضوع الصدفة كما رأينا وبالنظر إلى حقيقة أن الناس يشيرون إلى أحداث معينة على أنها تحدث مصادفة. يعتبر أرسطو أن الصدفة تكمن في الأحداث الموجهة نحو الهدف والتي لا تحدث دائمًا أو في معظمها بصفتها أسبابا عرضيّة.[16] يقف

13 أرسطو، *كتاب السّماء والعالم*، 7-196b5، تحرير. دبليو د. روس، أكسفورد، مطبعة جامعة أكسفورد، 1998.

14 أرسطو، *كتاب السّماء والعالم*، 12-196a8.

15 ابن سينا، *السماع الطبيعي، (كتاب الشفاء)*، تحرير جعفر آل ياسين، بيروت، 1996، ص. 120.

16 أرسطو، *كتاب السّماء والعالم*، 32-197a13.

أرسطو عموما موقفا وسطا بين هذه المواقف ويجادل بأن الصدفة هي سبب عرضي متعلق بسبب جوهريّ. قد تكون هذه الأسباب هي أسبابا عمليّة أو نهائية. على سبيل المثال، إذا شيّد بنّاء منزلًا فإنّ كونه موسيقيًا يعتبر سببا عرضيًا في تشييد البيت. من ناحية أخرى وفي مثال آخر قدمه أرسطو، إذا ذهب شخص ما إلى السوق ووجد هناك شخصًا (دائن على سبيل المثال) أراد أن يلتقيه ولكنه لم يكن يتوقع رؤيته[17] فيمكن تفسير ذلك على أنه قد حدث مصادفة. يمكن أيضًا تفسير الصّدفة على أنها موجودة بحكم السبب النهائي. كان الذهاب إلى السوق هو النّيّة الحقيقية وربّما كان العثور على الدّائن هو الغاية ممّا يجل الرّبط بين الهدف والنية الحقيقية سببا عرضيًا. في هذه الحالة يرتبط عنصر الصدفة بالسبب النهائي.

يناقش ابن سينا هذه المسألة ويستشهد بعدة أمثلة موجودة في أعمال أرسطو. يؤكد على المثال الذي قدمه أرسطو عن شخص يذهب إلى السوق للقيام بأعمال تجارية ويجد هناك دائنه. في هذه الحالة، يُقال إنّه كان لقاء بالصدفة لأن الفاعل لم يكن يتوقع العثور على دائنه في السوق.[18] لذلك ترتبط الصدفة بالأفعال الموجهة نحو الهدف عندما تكون النتيجة مختلفة عن النتيجة المتوقعة. إذا كان هدف الفاعل هو العثور على الدّائن فلن يوصف ذلك بأنّه لقاء من لقاءات الصدفة.

يتناول ابن سينا أيضًا مسألة تحديد الله للأحداث سلفا، أي *القضاء والقدر* في أطروحاته حول *القدر*. هو ينظر إلى *القدر* من منظور سببي. يتمثل تحديد الله في ترتيب الأسباب وفقًا لترتيب معيّن من صنعه.[19] *القدر* يدل على تفاصيل حكم الله في حين أن هذا الحكم (*القضاء*) هو *أمره الأول* وبهذا المعنى يكون *القدر* أكثر دقّة مقارنة *بالقضاء*. يعود هذا التمييز بين المصطلحين اللذان يشيران إلى تحديد الله للأحداث إلى صحيح البخاري.[20]

إذا درسنا مفهوم الضرورة والإمكانية عند ابن سينا، فمن الواضح أنه يرى أن جميع الأحداث والمواد ناتجة بالضرورة بطريقة تجعلها لا تكون خلافا لما هي عليه. تشير آراؤه حول الصدفة إلى أنه لا يعتقد أنّها سبب أساسي بل هي طريقة للتطرّق إلى حدث غير متوقع بحكم أنّنا لم نكن على

17 أرسطو، *كتاب السّماء والعالم*، 5-196a1.

18 ابن سينا، *السماع الطبيعي*، تحرير. آل ياسين، ص. 118.

19 ابن سينا، *رسالة إلى الوزير أبو سعد*، تحرير وترجمة وتقديم وملاحظات ي. ميشو، بيروت: البراق، 2000، ص. 122.

20 كالدي ناغي، غيولا.، «قضاء» في: - موسوعة الإسلام، الطبعة الثانية، تحرير: بي بيرمان، ث. بيانكيز، م. بوسورث، إي فان دونزيل، دبليو بي هاينريشس. تم الإطلاع عليه على الخطّ في 15 أغسطس 2022.

دراية بأسبابه ولا بظروفه. أخيرًا، تشير نصوصه المتعلقة بالمبدأ الفقهي لقضاء الله وقدره (*القضاء والقدر*) إلى أنه يعتقد أن جميع الأحداث والمواد يحدّدها الله ضروريّا وسببيًا. في هذه النصوص، لا يسعى ابن سينا إلى التوفيق بين قدرة الله المطلقة وبين صفة عدل الله عن طريق منح الإرادة الحرة للبشر.

أخذ ابن رشد في اعتباره في أعماله الفلسفية الغزيرة كلًا من آراء الفارابي وابن سينا. لقد تأثّر من الفارابي بشكل كبير وانتقد ابن سينا في عدة نقاط فلسفية. ومع ذلك، فهو لا يقبل في أعماله الناضجة أطروحة الانبثاق التي صمّمها الفارابي ومن ثمة طوّرها ابن سينا. يرى ابن رشد أن الله يحدث العديد من الآثار في وقت واحد وليس أثرا واحدًا منبثقًا يستمر في إحداث المزيد من الآثار. لكن، مثله مثل الفارابي وابن سينا، يرى ابن رشد أن هناك أنواعًا عديدة من الأسباب والعوامل وأنه على الرغم من أن الله هو الفاعل الحقيقي فإنّ الأشياء والبشر لها قوى ينتج عليها آثارًا سببية.

يرى تيار في الفكر الإسلامي، لا سيما في الفقه الإسلامي، يُعرف باسم العلّية الموقعية الإسلامية، أن الله هو العامل المباشر وأن الكائنات الأخرى مثل النباتات والحيوانات والبشر ليس لديهم أي قوة وهم أنفسهم في كيانهم وأفعالهم نتاج فعل الله. الغزالي (توفّي 1111) هو أحد المؤيدين المشهورين لهذه النظرية وقد تأثّر كثيرا بكتابات أبو حسن الأشعري ممّا جعله يعارض التصوّر الفلسفي للسببية في عمله «*تهافت الفلاسفة*".

بالإضافة إلى ذلك، يعترض ابن رشد على مفهوم ابن سينا للطرائق الميتافيزيقية. بينما يعتقد الفارابي أن بعض الكائنات الموجودة ممكنة بالفعل، فإنّ الممكن بالنسبة لابن سينا هو ما لم يكن له سبب ضروري وبالتالي فهو غير موجود بالفعل. يتبع الفارابي وابن رشد عن كثب وجهة نظر أرسطو عن الاحتمالية، والتي تربط الكائنات الضرورية بالعالم السماوي والكائنات المحتملة بالمجال الأرضي وعالم التّكوين والفساد. لقد تصور ابن سينا نوعين من الكائنات، الممكنة في حد ذاتها والضرورية من خلال نوع آخر، والتي تشمل جميع الكائنات ما عدا الله، فالوحيد الضروري لنفسه بنفسه هو الله. علاوة على ذلك، لا يميّز ابن سينا بين الكائنات السماوية والكائنات الأرضية.

بالنسبة لابن رشد، فإن الله ضروري أيضًا بنفسه، لكن الأجرام السماوية ممكنة في حد ذاتها وضرورية من خلال الآخر، بينما يعتبر الكائنات الموجودة في العالم الأرضي ممكنة في حد ذاتها.[21] تختلف آراء ابن سينا وابن رشد بخصوص الضرورة. لئن يقرن ابن سينا الضرورة بالوجود و (باستثناء

21 ابـن رشـد، *تهافـت التهافـت*، مترجـم مـن اللغـة العربيـة مـع مقدمـة وملاحظـات مـن قبـل سـايمون فـان ديـن بيـرغ، مجلّديـن، لنـدن: إي. جـي. و. جيـب ميموريـال ترسـت، 1954. المجلـد عـدد 1، ص. 238.

حالة الله) بما أنّها ناتجة عن سبب، فإنّ ابن رشد يربط الضرورة بالخلود وهذا ما يمثّل المعنى الأساسي للضرورة بالنسبة لأرسطو. لذلك، كان يرى ابن رشد أنّ على الضّرورة أن تكون هي السّمة المميّزة للعالم السماوي الذي تكون فيه الكائنات أبدية.

من وجهة نظره حول الطرائق، فإنه لم يكن من الواضح بشكل مباشر أنّ ابن رشد يؤيد الحتمية لأنّه لا يستبعد وجود كائنات محتملة.[22]

كتب ابن رشد العديد من الشروح لأعمال أرسطو. في *شرحه المطوّل لكتاب الفيزياء السماع الطبيعي لأرسطو*، عكف على تحليل مفهوم أرسطو عن الصدفة. كما يأخذ في الاعتبار تحليل ابن سينا للصدفة. هناك نقاش حول ما إذا كانت الصدفة كائنة في الأحداث والمواد التي تحدث دائمًا أو في معظم الأحيان بيد أنّ هناك مشكلة تطرأ متعلّقة بالأفعال الممكنة بنفس القدر. ويخلص ابن رشد إلى أن الصدفة تتعلق بأحداث لا تنتمي إلى هذه الفئة ولكنها كامنة فقط في الأحداث النادرة. ويذكر ابن رشد أيضًا أنه إذا لم يحدث شيء ما فذلك يعود إلى قصوره أو ضعف قدرته لا لعدم وجود سبب خارجي كما رأى ابن سينا.[23] لذلك، يفكر ابن رشد في السببية بقدر أكبر من منظور القدرة الداخلية للعناصر بدلاً من التركيز على الأسباب الخارجية.

كما يعلّق على أمثلة الموسيقي الذي صادف أن شيّد منزلا وعلى لقاء الصّدفة في السوق. يعتقد أن الموسيقي يبني المنزل عرضيّا ولكن بصفته بنّاء أساسا.[24] في هذه الحالة، تكون الصدفة بمثابة حادث للسبب العمليّ المتمثّل في البنّاء. كما يعلّق أيضا على مثل الرجل الذي وجد دائنه في السوق موضّحًا أن هذه الصّدفة مرتبطة أساسا بزيارة السوق. في هذه الحالة، لا يلقي ابن رشد بالا إلى مسألة النية والطريقة التي تتشكّل بها الصدفة من الأشياء غير المتوقّعة ولكنّه يركّز على ارتباط الصدفة بالفعل الواقعي المتمثّل هنا في زيارة السوق. وبهذا المعنى، فهو يربط الصّدفة بالسّبب العملي لا بالسّبب النهائي.[25]

ومع ذلك، لا يؤمن ابن رشد بالأحداث التي لا تحدث جراء سبب أو تلك التي تكون عفويّة. بالإضافة إلى ذلك، يؤكد في تحليله للصدفة أنها ليست سببًا إلهيًا أو شيئًا لا يمكن تفسيره ويؤمن

22 بيلو، كاتارينا، *الصدفة والحتمية في فكر ابن سينا وابن رشد*، لايدن: بريل، 2007، ص. 176.

23 ابـن رشـد، *الشـرح المطـوّل لكتـاب السّـماء والعالـم*، فـي *Aristotelis de Physico Auditu libri octo cum Averrois Cordubensis variis in eosdem commentariis*، المجلـد. 4 مـن *Aristotelis Opera quae extant omnia Venice*، البندقيـة: 1562، 66L-67A. Venetiis apud Junctas.

24 ابن رشد، *الشرح المطول على كتاب السماء والعالم*، 68A-B.

25 ابن رشد، *الشرح المطول على كتاب السماء والعالم*، 68B-C.

بأنّها ممكنة التفسير على أنها حادث يطرأ بناء على السبب العمليّ.[26] وعلى الرّغم من ذلك، فإنّ مفهومه للسببية الطبيعية ليس حتميًا بشكل واضح مقارنة بمفهوم ابن سينا.

ومثل ابن سينا، يرى ابن رشد أيضًا أنّ العناية الإلهية تحكم الأحداث في العالمين السماوي والأرضي كما كان يرى الفارابي. ومع ذلك، فإن فهمه لسببية الله يختلف عن فهم الفارابي وابن سينا اللذين دافعا عن الرأي القائل بأن الله خلق العالم عندما بعث الله العقل فينا الله وبهذه الطريقة استهلّ مسار الانبثاق. بالنسبة لابن رشد، الله هو المحرك الأول الذي يحرك الآخرين من خلال كونه سببهم النهائي وغايتهم القصوى. تتحرك الأفلاك السماوية بدافع حب الله وتنتج تحرّكاتها الأحداث في العالم الأرضي. بهذه الطريقة، يمكن لله أن ينتج مجموعة متنوعة من الآثار في نفس الوقت بدلاً من أثر واحد فقط.[27] يمنح الله الوجود من خلال منح الحركة وتوجيه الأشياء لتنتقل من الاحتمالية إلى الواقعية ومن العدم إلى الوجود.

وقد خصص ابن رشد أيضا فصلاً من كتابه في الفقه الإسلامي لمسألة قضاء الله وقدره واسم الكتاب هو "*الكشف عن مناهج الأدلّة في عقائد الملّة*". يحلل ابن رشد ما يجب أن تصرّح الأدبيات الدينية، وتحديداً القرآن والحديث، حول هذا السؤال وما يجب أن تقوله عن قدرة الله المطلقة ووكالة الإنسان. وهو يرى أن تحديد الله للأحداث قدر أي قدرة الله المطلقة. من ناحية أخرى، اهتمّ بمسألة كسب الأفعال. يتم أيضًا تحليل هذين السؤالين من قبل المذاهب الفقهية. ويدرس ابن رشد آراء المعتزلة والأشعريين والجبريين على وجه الخصوص. يؤكد المعتزلة على حرية الفعل واكتساب البشر لأفعالهم الخاصة. من ناحية أخرى، يقول الجبريون أن الناس مجبرون على الإتيان بأفعالهم. فيما يزعم الأشعريون، حسب ابن رشد، بأنّهم يقفون من ذلك موقفا متوسطًا بمعنى أن أفعال المرء من صنع الله ولكن البشر يكتسبونها. ومع ذلك، فإن هذا الموقف لا يختلف حقًا عن موقف الجبريين حسب ابن رشد.[28]

ويقبل ابن رشد أن الله وحده هو الخالق وهذا هو إجماع علماء المسلمين. ثم يسترسل في البحث عن حل يحفظ قدرة الله المطلقة وكذلك عدله. إنه يتقبّل فكرة أنّ بعض القوى أو الملكات تنتمي إلى البشر مما يسمح لهم باكتساب صفات متناقضة.[29] وفقًا للفلاسفة المسلمين، من سمات

26 ابن رشد، *الشرح المطول على كتاب السماء والعالم*، 66A-B.

27 بيلو، كاتارينا، *الصّدفة والحتميّة*، ص. 199.

28 ابن رشد،*الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة*، تحرير وتقديم وتحليل محمد ع. الجابري - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998، ص. 187.

29 ابن رشد، *الكشف عن مناهج الأدلّة في عقائد الملّة*، ص. 188.

العمل الإرادي الاختيار بين الأضداد في حين أن الفعل الطبيعي يميل إلى اتباع نمطا واحدا. على سبيل المثال، إذا كنا جائعين فيمكننا أن نختار أن نأكل أو لا نأكل لأسباب دينية على سبيل المثال. بيد أنّ النار لا تختار حرق أو عدم حرق قطعة قطن تلامسها. إذا لم يكن هناك عائق مثل الرطوبة فسوف تحرق قطعة القطن حتما. يقبل ابن رشد أنّ الطبيعة تتبع مسارها الطبيعي في غياب العوائق.[30]

بإعلانه أن للبشر قوى معينة، اختار ابن رشد عدم اتباع الرّأي الأشعري في هذه المسألة الذي دافع عنه الغزالي أيضًا في تهافت الفلاسفة القائل بأنّ الأفعال البشرية تُنسب إلى اللّه وينكر أن للإنسان أي سلطان على أفعاله. يهدف موقع الغزالي في كتابه «*تهافت الفلاسفة*" إلى الحفاظ على إمكانية وقوع المعجزات التي تمثل قطيعة مع المسار المألوف للأحداث في الطبيعة.[31]

في وصف آلية عمل الإنسان، يرى ابن رشد أن البشر لديهم قدرات معينة تتعلق بأفعالنا وترتبط بالمواد والأحداث الخارجية. هذه الأسباب الخارجية أخضعت لنا من قبل الله. فمن ناحية، يجعل الله بعض الأشياء خاضعة لنا. ومن ناحية أخرى، يزيل أي عقبات بيننا وبين تلك الأسباب.[32] وبطبيعة الحال، فإن ابن رشد يأخذ بعين الاعتبار الإرادة البشرية من أجل القيام ببعض الأعمال لا سيما تلك الأفعال التي تعود إلينا. ومع ذلك، فهو يذكر أيضًا أن إرادتنا في الاختيار بين نقيضين يسبّبها الله عن طريق أسباب خارجية.[33]

في هذا الكتاب "*الكشف عن مناهج الأدلّة في عقائد الملّ*"، يذكّر ابن رشد بأنّنا وافقنا على شيء بعد تخيّله. إذا كان ما نتخيله مرغوبًا فيه، فنحن نرغب في الحصول عليه بالضرورة مما يعني أن ابن رشد يترك مجالًا صغيرًا لنوع الفعل الذي يصدر من داخلنا دون التأثير الحتمي لأسباب خارجية. هناك أوجه شبه مع موقف الأشاعرة ومع رأي الجبريّين حيث يقول ابن رشد أيضًا أن الله وحده هو الفاعل حقًا. ما يميز موقفه هو قبول السببية الثانوية أي فكرة أن الكائنات الأخرى هي أيضا أسباب أي أنّ الله ليس السّبب الوحيد. إنه يرى أن الأسباب العمليّة التي نلاحظها في الأشياء المعقولة حقيقية وواقعية وأن كل فعل يجب أن يكون له فاعل.[34] ومع ذلك، فقد ذهب إلى حد

30 ابـن رشـد، *الشـرح المطـوّل لمـا بعـد الطبيعـة، فـي تفسـير مـا بعـد الطبيعـة*، تحريـر. م. بويـج، بيـروت، المطبعـة الكاثوليكيـة، 1938، ص. 1152.

31 غودمان، لين إيفان، «هل أنكر الغزالي السببية؟» *الدراسات الإسلامية* 74 (1978)، 120-83، *ص*. 112.

32 ابن رشد، *الكشف عن مناهج الأدلّة في عقائد الملّة*، ص. 188.

33 ابن رشد، *الكشف عن مناهج الأدلّة في عقائد الملّة*، ص. 189.

34 ابن رشد، *تهافت التهافت*، ص. 318.

القول بأن الأسباب التي أتاحها لنا الله عمليّة بطريقة مجازية فقط.[35] يتم أيضًا تحديد الوقت الذي يحدث فيه شيء ما ويضمن الله كلي المعرفة أيضًا أنّ المستقبل محدد مسبقًا.[36]

يرى ابن رشد أن الفعل البشري يتم تحديده من خلال عوامل خارجية في مسار يتضمّن الخيال والموافقة ممّا يؤدي إلى الاختيار والقرار بخصوص مسار الفعل. علاوة على ذلك، تعتمد قدرتنا على الفعل على عوامل خارجية يحدّدها الله في نهاية المطاف. إنّ التزامه بقدرة الله المطلقة واضح وتفسيره لعملية الفعل البشري يعني أن العمل البشري محدّد وليس مستقلًا فعلا.

**الخلاصة**

لطالما استرعت إشكالية الحتمية انتباه الفلاسفة منذ اليونان القديمة. في الفقه والفلسفة الإسلامية في العصور الوسطى التي تدرس ما تقوله النصوص الدينية حول القدرة الإلهية والمسؤولية البشرية، تمّ التعبير عن المسألة بمصطلحات فقهية مثل الترابط بين الوكالة الإلهية والبشرية بالإضافة إلى الجمع المتناغم بين الصفات الإلهية كالقوّة والعدالة على وجه الخصوص. تميل بعض المذاهب الفقهية الإسلامية الكلاسيكية نحو تأكيد حرية الإنسان (مثل المعتزلة) أو القدرة الإلهية (مثل الجبريين) بينما يركّز الأشاعرة على عقيدة اكتساب البشر لأفعالهم من أجل تبرير العدالة الإلهية مؤكدين على قدرة الله المطلقة وخلق أفعال البشر.

نجد مواقف متنوعة في الفلسفة الإسلامية. لدى الفارابي تصور مشابه للإمكانية في مفهومها الأرسطي ممّا يعني أن الأحداث في العالم الأرضي ليست بالضرورة محدّدة وهو الموقف الذي يمنح الإنسان حرية التصرّف. بينما يتبنى ابن سينا في معظمه آراء الفارابي الكونية ومفهوم الانبثاق إلا أنّ لديه مفهومًا مختلفًا للضرورة والإمكانية. بالنسبة لابن سينا، كل ما هو موجود ضروري بالفعل من خلال سببه أو علّته. أما آراؤه عن الصدفة تتلخّص في أنّها ليست سوى نتيجة توقعات ذاتية من جانب البشر وبهذا المعنى فهي مجرّد سبب عرضي. تظهر آراؤه حول تحديد الله للأحداث (*القدر*) أنه يدعم بشكل كامل فكرة القدرة الإلهية المطلقة بغض النظر عن العواقب الأخلاقية المرتبطة بمساءلة البشر عن أفعالهم. يشارك ابن رشد أرسطو والفارابي وجهات النظر حول الإمكانية والضرورة ولا يذكر أنّ كل شيء موجود ضروري. فيما يتعلق بالصدفة، يرى أنها سبب عرضي يتعلق بالسبب العمليّ. أمّا فيما يتعلق بموضوع تحديد الله للأحداث، يعتقد أن أفعالنا تتأثر بأسباب خارجية يحددها الله في نهاية المطاف.

35 ابن رشد، *الكشف عن مناهج الأدلّة في عقائد الملّة*، ص. 190.

36 ابن رشد، *الكشف عن مناهج الأدلّة في عقائد الملّة*، ص. 190.

في الفقه والفلسفة الإسلامية في العصور الوسطى، نجد مجموعة متنوعة من المواقف حول مسألة الإرادة الحرة والحتمية والتي تظل سؤالًا مركزيًا في النقاشات حول الأخلاق. يدافع بعض الفقهاء والفلاسفة عن فكرة الإرادة الحرة مثل المعتزلة والفارابي بينما يؤكد آخرون على قدرة الله المطلقة مثل الأشاعرة والجبريين وابن سينا.

## المراجع


Alfarabi, *Al-Farabi on the Perfect State: Abū Naṣr al-Fārābī's Mabādīʾ Arāʾ Ahl al-Madīnah al-Faḍīlah,* (ed. and trans.) Richard Walzer, Oxford University Press, New York, 1985.

Alfarabi, *Al-Farabi's Commentary and Short Treatise on Aristotle's De Interpretatione*, (trans.) F.W. Zimmermann, Oxford University Press, Oxford,1991.

Aristotle, *The Complete Works of Aristotle: The Revised Oxford Translation* 2 *vols,* (ed.) Jonathan Barnes, Princeton University Press, Princeton,1984.

Aristotle, *Physics*, ed. W. D. Ross, Oxford University Press, Oxford, 1998.

Averroes/Ibn Rushd, *Faith and Reason in Islam: Averroës' Exposition of Religious Arguments,* (trans.) Ibrahim Najjar; Majid Fakhry, Oneworld, Oxford, 2001.

Averroes/Ibn Rushd, Al-Kashf ʿan-manāhij al-adilla fi ʿaqāʾid al-milla Kashf, ed. by Muṣṭafā Ḥanafī with Introduction and Comments by Muḥammad ʿĀbid al-Jābirī, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1998.

Averroes/Ibn Rushd, *Long Commentary on the Metaphysics, in Tafsīr mā baʿd al-ṭabīʿa,* (ed.) M. Bouyges, Imprimerie Catholique, Beirut, 1938.

Averroes/Ibn Rushd, *"Long Commentary on the Physics", Aristotelis de Physico Auditu libri octo cum Averrois Cordubensis variis in eosdem commentariis*, vol. 4 of Aristotelis Opera quae extant omnia Venice, Venetiis apud Junctas, Venice, 1562.

Averroes/Ibn Rushd, *Tahafut al-tahafut (The Incoherence of the Incoherence)* 2 *vols.,* (trans.) Simon van den Bergh, E. J. W. Gibb Memorial Trust, London, 1954.

Avicenna/Ibn Sīnā, *Lettre au Vizir Abû Saʿd*, (ed. & trans.) Y. Michot, Albouraq, Beirut, 2000.

Avicenna/Ibn Sīnā, *The Metaphysics of The Healing,* (trans.) Michael E. Marmura, Brigham Young University Press, Provo, 2005.

Avicenna/Ibn Sīnā, *Physics of the Healing II vols. (Books I–IV),* (trans.) Jon McGinnis, Brigham Young University Press, Provo - Utah, 2009.

Avicenna/Ibn Sīnā, *Al-Samāʿ al-ṭabīʿī (Al-Shifāʾ),* (ed.) Jaʿfar Āl Yasīn, Beirut, 1996.

Avicenna/Ibn Sīnā, *Al-Taʿlīqāt,* (ed.) Badawī, The General Book Organization, Cairo, 1973.

Belo, Catarina, "Chance and Determinism in Avicenna and Averroes, Leiden", *Islamic Philosophy, Theology and Science, Texts and Studies,* Vol.69, 2007.

De Cillis, Maria, *Free Will and Predestination in Islamic Thought: Theoretical Compromises in the Works of Avicenna, al-Ghazālī and Ibn ʿArabī,* Routledge, London and New York, 2014.

Al-Ghazālī, *Abū Ḥāmid Muḥammad, The Incoherence of the Philosophers, (trans.) Michael E. Marmura, Islamic Translation Series, Brigham Young University Press, Provo-Utah,* 2000.

Al-Ghazālī, *The Incoherence of the Philosophers*, (trans.) Michael E. Marmura, 2nd edition, Brigham Young University Press, Provo-Utah, 2000.

Goodman, L. E., "Did al-Ghazālī Deny Causality?", Studia Islamica, no. 47 (1978), pp. 83–120.

Káldy-Nagy, Gy., "Ḳaḍāʾ," *Encyclopaedia of Islam*, (ed.) P. Bearman, Th. Bianquis, C. E. Bosworth, E. van Donzel, W. P. Heinrichs, Second Edition, Consulted online on 15 August 2022.

Kant, I., *Critique of Pure Reason (The Cambridge Edition of the Works of Immanuel Kant),* (eds.) P. Guyer & A. Wood, Cambridge University Press, Cambridge, 1998.

Mattila, Janne, *The Eudaimonist Ethics of Al-Fārābī and Avicenna,* Brill, Leiden, 2022.

The Meaning of the Holy Qurʾān, (trans.) ʿA. Yūsuf ʿAlī, Amana Publications, Beltsville-Maryland, 1997.

Mourad, Suleiman Ali, *Early Islam between Myth and History: Al-Ḥasan al-Baṣrī (d.* 110 *H/*728 *CE) and the Formation of His Legacy in Classical Islamic Scholarship*, Brill, Leiden/Boston, 2006.

Watt, William Montgomery, *Free Will and Predestination in Early Islam*, Luzac, London, 1948.

# عالم بلا أسلحة نووية: هل هذا ممكن؟

شفق أوغوز

**المقدمة**

بفضل إمكاناتها التدميرية الهائلة التي تتجاوز جميع أنظمة الأسلحة في التاريخ، تمثل الأسلحة النووية (NWs) اختراقًا حاسمًا في أنظمة الأسلحة، فضلاً عن تغيير قواعد اللعبة في تاريخ الحرب. إن قدرتها على الردع بالنسبة للدول التي تمتلكها كبيرة لدرجة أن أياً من خصوم هذه الدول لم يفكر أو يجرؤ على مهاجمتها، بسبب إمكانية الانتقام الذي يمكن أن يقضي على أراضي الخصوم والسكان في وقت قصير للغاية. ومع ذلك، لم توفر أي من أنظمة الأسلحة هذه الأمان لمالكها، ولكنها في نفس الوقت تخلق تهديدًا كبيرًا لانقراض البشر والكوكب.

النظرية الواقعية، التي تفسر العلاقات الدولية من حيث القوة، تنصح الدول بمضاعفة قوتها، وخاصة القوة العسكرية، من أجل الانتصار على المسرح الدولي. أصبحت الأسلحة النووية إحدى الأدوات الرئيسية، وربما أهمها، لمنح الدول المالكة قوة ردع. لذلك، تميل الدول إلى الاستحواذ على الأسلحة النووية، وسعت الدول النووية إلى زيادة مخزوناتها النووية، من أجل تعظيم قوتها العسكرية، على الرغم من الآثار الرهيبة للأسلحة النووية التي شهدها العالم، وتهديدها بالإبادة. قدمت حيازة الأسلحة النووية صورة القوة العظمى، في حين أن مكانة القوة العظمى، خاصة خلال الحرب الباردة، نشأت من امتلاك مخزون هائل من الأسلحة النووية.

وفقًا لمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية (NPT) لعام 1968، فإن الولايات المتحدة وروسيا والمملكة المتحدة وفرنسا والصين تعتبر دولًا نووية ولها الحق في إنتاج أسلحة نووية وحيازتها وامتلاكها. ومع ذلك، على الرغم من قواعد وجهود منع الانتشار القوية، فقد حصلت الهند وباكستان وإسرائيل وكوريا الشمالية كما يُزعم على أسلحة نووية واكتسبت قدرة ردع نووي. شرعت إيران في مشروع أسلحة نووية، لكن الجهود الدولية تواصل تحويل منشآت إيران وأنشطتها إلى برنامج للطاقة النووية السلمية. تم إلغاء البرنامج النووي لدول مثل جنوب إفريقيا وليبيا بالقوة من قبل المجتمع الدولي في التاريخ الحديث.

بالإضافة إلى جهود عدم الانتشار، كانت الجهود المبذولة لتحرير العالم من الأسلحة النووية على جدول أعمال المجتمع الدولي منذ إلقاء القنابل الأولى على هيروشيما وناغازاكي في عام

1945. حتى العلماء الذين ساهموا في اختراع الدول النووية أعربوا عن أسفهم وأعلنوا أهمية وجود عالم خالٍ من الأسلحة النووية، من أجل البشرية وكوكب الأرض. ومع ذلك، كانت الدول النووية مترددة في التخلي عن هذه القوة والقدرة على الردع، بحيث ركزت بشكل أساسي على أنشطة عدم انتشار الأسلحة النووية، من أجل منع الدول الأخرى من الحصول على هذه الأسلحة. استمرت الحرب الباردة في ظل المنافسة بين الدول النووية وسباق التسلح النووي الهائل، واستمر الحلم بعالم خالٍ من الأسلحة النووية حتى حقبة ما بعد الحرب الباردة.

شهدت حقبة ما بعد الحرب الباردة المبكرة تعاونًا وثيقًا بين الولايات المتحدة وروسيا في مجال عدم الانتشار وكذلك في احتواء أسلحة الدمار الشامل التي ورثتها الدول التي خلفت الاتحاد السوفيتي السابق. رافق هذا التعاون جهود تدريجية لتقليص الأسلحة النووية الاستراتيجية والتكتيكية لكلا الدولتين، حيث وفرت البيئة الأمنية الجديدة الأمل في عالم خالٍ من الأسلحة النووية. وضع خطاب الرئيس الأمريكي أوباما في براغ عام 2009 رؤية لهذا السيناريو، مما أثار مناقشات جديدة حول عالم خالٍ من الأسلحة النووية ومستقبل خالٍ من الأسلحة النووية بين المجتمع الدولي.

اعتبرت رؤية أوباما خطوة مهمة ومفعمة بالأمل نحو عالم خالٍ من الأسلحة النووية، حيث تم التعبير عن هذا المفهوم من قبل أعلى مسؤول في العالم لأول مرة. بعد عقد واحد فقط من خطابه، فإن التطورات الأخيرة، وخاصة الحرب الروسية الأوكرانية في ظل التهديد النووي الروسي، وسباق التسلح النووي المتجدد بين الولايات المتحدة وروسيا، قد بدد الآمال في مثل هذه الرؤية المجيدة. مرة أخرى، بدأ العالم في مناقشة مفهوم التدمير المتبادل المؤكد (MAD)، أو قدرات الضربة الأولى والضربة الثانية، كما كان الحال خلال الحرب الباردة.

وقد دفعت البيئة الأمنية الجديدة، المليئة بالشكوك التي كانت عليها، الدول مرة أخرى نحو سباق تسلح ضخم وخطير، ربما يكون أكثر خطورة بكثير من فترة الحرب الباردة. كما حدث قبل الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، انجر العالم إلى جو وصلت فيه القومية والعسكرة والوطنية إلى مستوى خطير. يشكل خطر الأزمات الكبرى مع وجود واستعداد مخزونات ضخمة من الأسلحة النووية الفارق الرئيسي بين عالم التاريخ وعالم اليوم.

**الأسلحة النووية: هل تساعد في ضمان السلام؟**

ظهرت NWs من خلال مشروع مانهاتن في أمريكا، الذي تم إطلاقه في عام 1939 بدافع القلق من أن ألمانيا قد تحصل على شمال غرب خاص بها. وافق الرئيس روزفلت على استثمار قدر كبير

من المال في هذا المشروع، والذي كان في البداية لكن نظرية، إلى حد كبير بناء على نصيحة أينشتاين، الذي أرسل إليه رسائل من العلماء الذين فروا من أوروبا قبل الحرب العالمية الثانية وخشي أن يكون لألمانيا شمال غربي نسبيًا. بسرعة.[1] أجرت الولايات المتحدة أول اختبار لقنبلة ذرية في عام 1945، عندما كان الرئيس ترومان يحضر مؤتمر بوتسدام لمناقشة مسار الحرب مع تشرشل وستالين. الرسالة التي أُرسلت إلى الرئيس لتبشر بنجاح أول شمال غربي في العالم غيرت وضعه بالنسبة إلى الدول الأخرى، دون أن يعرف، مع ذلك، أن ستالين كان يتابع أنشطة أمريكا الشمالية الغربية من خلال جواسيس سوفيات.[2] أسقطت الولايات المتحدة قنبلتين ذريتين على اليابان، ليتل بوي (قنبلة يورانيوم) في هيروشيما و فات مان (قنبلة بلوتونيوم) على ناغازاكي، مما أسفر عن مقتل أكثر من 220 ألف شخص. بعد أن رفضت الاستسلام بعد القنبلة الذرية الأولى، أذعنت اليابان بعد الثانية، منهية الحرب العالمية الثانية.

بدأ النقاش حول قدرة الردع لدى الأسلحة النووية مع دورهم في إجبار اليابان على الاستسلام، وبالتالي إنهاء الحرب العالمية الثانية. لا يمكننا معرفة ما إذا كانت اليابان ستستسلم في النهاية بدون استخدام الأسلحة النووية، ولكن يمكن للمرء أن يقول إن الاستسلام لم يكن ليحدث في أي وقت بعد استخدام القنابل الذرية. لذلك، من الواضح أن الأسلحة النووية لها دور في الردع، ولكن بأي ثمن؟ هل كانت هناك طريقة أخرى لإنقاذ حياة حوالي مائتي ألف شخص في هيروشيما وناغازاكي؟

تم تقديم الحجج القائلة بأن استخدام القنابل الذرية استند في المقام الأول إلى تقييم إدارة ترومان بأن غزو اليابان سيكلف، على الأقل، ربع مليون ضحية، وربما ما يصل إلى مليون، على الجانب الأمريكي وحده. وبالتالي، لعبت الشكوك حول مدة وتكلفة الغزو المحتمل لليابان بالوسائل التقليدية دورًا مهمًا في قرار الولايات المتحدة باستخدام القنابل الذرية[3]. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن برنشتاين، بالإضافة إلى كثيرين آخرين، يجادلون بأنه لا يوجد دليل على أن أي مخطط

1 يمكن الوصول لهذه الرسالة عن طريق الرابط: https://thebulletin.org/virtual-tour/albert-einstein-leo-szilard-and-the-letter-that-led-to-the-manhattan-project/

2 “The Potsdam Conference, 1945”, https://history.state.gov/milestones/1937-1945/potsdam-conf

3 Kathryn Moore and Dennis M. Giangreco, *Dear Harry: Truman’s Mailroom,* 1945-1953: *the Truman administration through correspondence with “everyday Americans,* Stackpole Books, Lanham, 2017, p. 470.

عسكري كبير أو صانع سياسة كبير يعتقد أن الغزو سيكلف العديد من الأرواح، وبدلاً من ذلك فإن هذا الادعاء كان من صنع ما بعد الحرب.[4]

تابع الاتحاد السوفيتي عن كثب أنشطة القنبلة الذرية الأمريكية مع جواسيسه واستحوذ على الأسلحة النووية الخاصة به في عام 1949، مع الاختبار الناجح الذي أطلق عليه اسم First Lightning. تبعتها المملكة المتحدة في عام 1952، التي شاركت جزئيًا في مشروع مانهاتن، وفي عام 1960 من قبل فرنسا التي عارضت الهيمنة الأمريكية في أوروبا وفي حلف شمال الأطلسي، وفي عام 1964 من قبل الصين. مع هذا الانتشار النووي، كانت حقبة الحرب الباردة، المرتبطة بالأسلحة النووية، على قدم وساق. تم تشكيل البيئة الأمنية الجديدة من قبل خمس دول نووية هم أيضًا أعضاء دائمون في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وهو الهيئة التي تقرر مصير العالم في المسائل الأمنية.

كما أن حيازة هذه الدول لأسلحة نووية في غضون فترة وجيزة قد أزعجها بشأن مخاطر الانتشار النووي، الذي يشكل تهديداً مباشراً لقدرات الردع لديها. وقد شجعهم ذلك على التعاون في جهود عدم الانتشار، والتي أسفرت عن معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية في عام 1968، والمعروفة عمومًا بمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية. ومنحتها المعاهدة الوضع القانوني لدولة نووية، مع حظرها الدول الموقعة الأخرى للبحث عن الأسلحة النووية والحصول عليها وامتلاكها واستخدامها. وعلى الرغم من التزاماتها غير المتكافئة والظالمة، فقد تم الاعتراف بالمعاهدة كواحدة من أهم الخطوات حتى الآن في الحد من انتشار الأسلحة النووية. وهذه الدول، القوى الرئيسية في معسكرين المنافسة بين الشرق والغرب، وبالتالي حافظت على قدرات الردع من خلال التعاون مع خصومهم.

شهدت المرحلة الأولى من الحرب الباردة سباق تسلح نووي واسع النطاق، حيث أنتجت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، على وجه الخصوص، آلاف الأسلحة النووية بالإضافة إلى برامج الأسلحة التقليدية والكيميائية والبيولوجية المكثفة. أطلق اختراع وإنتاج القنابل الهيدروجينية من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، والتي هي أقوى بكثير من القنابل الذرية، حقبة جديدة في تهديد الأسلحة النووية وتدميرها. تم اختبار القنبلة الهيدروجينية الروسية عام 1961، والمعروفة باسم "قنبلة شار"، والتي أطلقت 50-60 ميغا طن من مادة تي إن تي - أقوى بحوالي 2500 إلى

4 Barton J. Bernstein, "A post-war myth: 500,000 US lives saved", Bulletin of the Atomic Sciences, 42. No. 6 (June/July 1986), p.38.

3000 مرة من القنبلة الذرية المستخدمة في ناغازاكي - أكدت على أبعاد التهديد الذي تشكله القنبلة الجديدة. القنبلة الهيدروجينية ودورها في الردع.

غيّر دور الردع الذي لعبته الأسلحة النووية البيئة الأمنية خلال أوائل الحرب الباردة، التي شهدت فترة حرب بالوكالة في جميع أنحاء العالم، بدلاً من المواجهة المباشرة بين القوى العظمى. ركز كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على استراتيجيات الردع لشركات الحرب النووية خلال هذه الفترة: ظهرت مصطلحات مثل "نظريات اللعبة" و "قدرات الضربة الأولى والثانية" باعتبارها المصطلحات الرئيسية المتعلقة بسياسات شمال غرب. بما أن الحرب الباردة كانت مرتبطة بالاستراتيجيات النووية، فقد شكلت أعمال توماس شيلينج وهيرمان كان وبرنارد برودي السياسات النووية الأمريكية خلال هذه الفترة[5]. ركزت جميع جهودهم على توفير الردع من قبل الأسلحة النووية، لأنه كان يُنظر إلى فشل الردع النووي على أنه بمثابة إبادة متبادلة، في المصطلح المصاغ "التدمير المؤكد المتبادل" مع اختصاره الساخر MAD.

غيرت الأزمة الكوبية عام 1962، التي وصل فيها العالم إلى حافة الحرب النووية، النظرة إلى الأسلحة النووية، والحرب النووية، والردع، والانتشار النووي. منع الردع من قبل NW حربًا نووية في اللحظة الأخيرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، والتي على الأرجح ستؤدي إلى إبادة الأرض. دفعت الأزمة كلا الدولتين إلى مناقشة تهديد الحرب النووية والتفاوض بشأنهما، مما أدى إلى بدء مرحلة جديدة من الحرب الباردة، وهي "فترة الانفراج"، حيث طغى التعاون الدولي على المواجهة الدولية، خاصة فيما يتعلق بالقضايا النووية. بدءًا من قبل الأزمة الكوبية بمعاهدة رمزية، معاهدة أنتاركتيكا لعام 1959، التي حظرت اختبار الأسلحة النووية في القطب الشمالي، تم توقيع العديد من المعاهدات الدولية للحد من الاختبارات وحيازتها وامتلاكها ونشرها.

بالإضافة إلى الاتفاقيات الدولية، وقعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي أيضًا عدة معاهدات ثنائية للحد من إنتاج الأسلحة النووية وتقليل أعدادها، بعد أن طُلب منهم ذلك بسبب المنطق الكامن وراء الردع، وهيكل الأمن الدولي، والضغط من قبل السكان المحليين والدوليين.

5 Thomas Schelling, *The Strategy of Conflict* 1960, *Arms and Influence*, Yale University Press, 1966.
Herman Kahn, *On Thermonuclear War*. Princeton University Press, 1960: *Thinking about the unthinkable*. Horizon Press. 1962: *On escalation: metaphors and scenarios*. Praeger, 1965. Bernard Brodie, *The Absolute Weapon: Atomic Power and World Order*. Harcourt, 1946: *Strategy in the Missile Age*, Princeton University Press, 1959: *From Cross-Bow to H-Bomb*. Dell, 1962; *Escalation and the Nuclear Option*. Princeton University Press, 1966.

تقيد معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية (SALT) لعام 1972 تصنيع أنظمة الصواريخ القادرة على حمل رؤوس حربية نووية، وبالتالي لعبت دورًا حاسمًا في تقليل عدد الأسلحة النووية.

على الرغم من التوتر الشديد بين الشرق والغرب، خلال أواخر الحرب الباردة، شهد العالم فترة من السلام النسبي، أطلق عليها المؤرخ جون لويس جاديس "السلام الطويل"[6].. اعتبر العديد من العلماء عدم وجود حروب كبرى خلال الحرب الباردة، ولا سيما فترة السلام النسبي بشكل عام، نتيجة لقدرة الردع للأسلحة النووية. ظهرت الحرب بالوكالة - صراعات إقليمية أو حروب أهلية مدعومة من القوى الكبرى دون تدخل مباشر - كنتيجة للمنافسة القوية بين الشرق والغرب. وبالمثل، اندلعت صراعات مثل الحرب الكورية، والغزو الأمريكي لفيتنام، والغزو الروسي لأفغانستان، حيث كانت هناك قوة عظمى واحدة فقط متورطة بشكل مباشر بينما فضلت الأخرى دعم الدولة التي تعرضت للهجوم سراً وليس بشكل مباشر. تماشياً مع نظرية الردع النووي، حالت المنافسة غير المباشرة دون اندلاع حرب تقليدية كبرى، فضلاً عن حرب نووية.

يقف جوهر النقاش هنا: هل منعت الأسلحة النووية حربًا كبرى أو صراعًا بين القوى العظمى، وهل عمل الردع النووي كما قال جاديس؟ هل كان منطق التدمير المتبادل المؤكد (MAD)، الذي أطلقه الخبير الاستراتيجي دونالد برينان، صحيحًا، والذي بموجبه سيمتلك كل جانب ما يكفي من الأسلحة النووية لتدمير بعضهما البعض وسيتم القضاء على كلا الجانبين بالتأكيد في حرب نووية؟ أم أن فترة السلام كانت نتيجة البيئة الأمنية الدولية الجديدة بعد الموت المروع والدمار الذي خلفته الحرب العالمية الثانية؟ لا يمكن الإجابة على السؤال بسهولة وبشكل نهائي، لكن عدم وجود حرب كبرى بين الشرق والغرب أثناء المواجهة غير المباشرة في الحرب الباردة بمثابة مؤشر حاسم لمنطق العمل للردع من قبل الدول النووية.

ويبقى السؤال الثاني: هل عالم خالٍ من الأسلحة النووية ممكن؟ هل سيكون أكثر خطورة من العالم الحالي مع الأسلحة النووية؟ أو أكثر قد يكون أفضل كما جادل كينيث والتز؟[7]

**عالم خالٍ من الأسلحة النووية: رؤية واحدة ممكنة**

لقد رأينا أن حقبة ما بعد الحرب الباردة المبكرة شهدت تعاونًا وثيقًا بين الولايات المتحدة وروسيا بشأن السيطرة على انتشار أسلحة الدمار الشامل، ثم بشأن سلامة أسلحة الدمار الشامل

6 John Lewis Gaddis, *International Security*, Vol. 10, No. 4 (Spring, 1986)

7 Kenneth N. Waltz "The Spread of Nuclear Weapons: More May Be Better: Introduction*", The Adelphi Papers*, Vol., 21, No. 171, 1981.

الموروثة من الاتحاد السوفيتي السابق. ورافق ذلك معاهدات أخرى لتقليل عدد الأسلحة النووية التكتيكية والاستراتيجية ووسائل إيصالها. أطلقت معاهدة تخفيض الأسلحة الاستراتيجية (ستارت) لعام 1991، والتي تهدف إلى تقليل الأسلحة النووية الحالية للولايات المتحدة وروسيا، عملية حاسمة للحد من المخزونات المفرطة من الأسلحة النووية، على الرغم من أنها لم تستهدف القضاء التام على كل هذه الأسلحة. أسلحة في العالم. ومع ذلك، خلقت المعاهدة أملاً جديدًا وجديدًا لعالم خالٍ من الأسلحة النووية، وبدون تهديد MAD، مما أدى إلى جو من السلام يفوق فيه التعاون، خاصة في القضايا النووية، المنافسة، والمواجهة على الأمن الدولي.

على الرغم من المواجهة التي نشأت حول مناقشات عضوية الناتو في جورجيا وأوكرانيا، ظلت العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا وحلف الناتو جيدة، حيث شاركت روسيا في بعض أنشطة الناتو، وبلغ التعاون بين الناتو وروسيا ذروته من خلال مجلس الناتو وروسيا. على الرغم من الأزمات، مثل ثورة الألوان، في الدول التي تعتبرها روسيا ساحتها الخلفية، لم تعارض روسيا بشدة التوسع الكبير لحلف شمال الأطلسي في أوروبا الشرقية في عامي 1999 و 2004 ؛ شهدت هذه الفترة تعاونًا بارزًا بين الشرق والغرب[8].

مع تزايد الأزمة تدريجياً، انتهج الطرفان سياسة نووية ذات مسارين: من ناحية، التعاون في المسائل النووية، مثل معاهدة ستارت الجديدة التي نصت على مزيد من التخفيض في كل من الترسانتين النوويتين الأمريكية والروسية، ومن ناحية أخرى الشروع في في سباق تسلح نووي هائل وتعمل على أنظمة الدفاع الصاروخي القائمة على التقنيات الجديدة.

في خضم معضلة مواجهة التعاون، ظل العالم الخالي من الأسلحة النووية على جدول أعمال العديد من السياسيين والعلماء. أربعة سياسيين أمريكيين سابقين، جورج بي شولتز، ووليام جي بيري، وهنري أ. كيسنجر، وسام نان، على سبيل المثال، نشروا مقال رأي بعنوان عالم خالٍ من الأسلحة النووية في صحيفة وول ستريت جورنال في عام 2007، وحددوا أهمية ومطلب عالم خالٍ من الأسلحة النووية. على حد تعبيرهم:

كانت الأسلحة النووية ضرورية للحفاظ على الأمن الدولي خلال الحرب الباردة لأنها كانت وسيلة للردع. جعلت نهاية الحرب الباردة عقيدة الردع السوفيتي الأمريكي المتبادل بالية. لا يزال

8 أكدت السطات الروسية بأن أية توسعات لاحقة لحلف شمال الأطلسي الناتو سيسبب تهديداً خطراً ضد أمن روسيا القومي وأكدت السلطات الروسية على أنهم مصممون ومستعدون لاستعمال كل الوسائل المُتاحة بما فيها الأسلحة النووية للتصدي لحلف الناتو.

الردع أحد الاعتبارات المهمة للعديد من الدول فيما يتعلق بالتهديدات من الدول الأخرى. لكن الاعتماد على الأسلحة النووية لهذا الغرض أصبح خطيرًا بشكل متزايد وفعال بشكل متناقص.[9]

تلا ذلك الجو الذي حصل فيه دعاة عالم خال من الأسلحة النووية على الدعم في جميع أنحاء العالم. حثت الدول الأوروبية، بما في ذلك ألمانيا وهولندا وبلجيكا الولايات المتحدة على إزالة TNW الأمريكية المتمركزة في أوروبا، وذلك لإنشاء أوروبا خالية من الأسلحة النووية. وبالمثل، ظهرت دول مثل كازاخستان كقادة في محاولة إنشاء مناطق خالية من الأسلحة النووية على الصعيدين الإقليمي والعالمي. ظهر خطاب الرئيس الأمريكي باراك أوباما في براغ عام 2009 كخطوة حاسمة نحو حلم ورؤية عالم خالٍ من الأسلحة النووية:

> لذلك، أعلن اليوم بوضوح وباقتناع التزام أمريكا بالسعي لتحقيق السلام والأمن في عالم خالٍ من الأسلحة النووية. . . . لن يتم الوصول إلى هذا الهدف بسرعة - ربما ليس في حياتي. سوف يستغرق الصبر والمثابرة. لكن علينا الآن أيضًا أن نتجاهل الأصوات التي تخبرنا أن العالم لا يمكن أن يتغير. علينا أن نصر.[10]

هل هذا الهدف ممكن؟ هل هي رؤية واقعية يمكن تحقيقها على مدى فترة طويلة؟ هل ستوافق الدول النووية، وخاصة الولايات المتحدة وروسيا (والصين) على التخلي عن نظام الأسلحة الأكثر أهمية الذي عرفه العالم، والذي يُنظر إليه على أنه عامل تغيير لقواعد اللعبة في التاريخ؟

قد تخبرنا قصة سباق التسلح النووي وتحديد الأسلحة النووية بالكثير للإجابة على هذه الأسئلة. تظهر المخزونات المقدرة للرؤوس الحربية النووية العالمية (الجدول 1) أنه كان هناك انخفاض حاد في عدد الأسلحة النووية منذ ذروتها في منتصف الثمانينيات. يشير هذا إلى أن المعاهدات الثنائية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي / روسيا مكنت من القضاء على عدد كبير جدًا من الأسلحة النووية على مستوى العالم. اليوم، ما زلنا بعيدين عن الصفر، لكن عدد الأسلحة الموجودة أقل بكثير مما كان عليه في الذروة، مما يعطي الأمل في عالم خالٍ من الأسلحة النووية في المستقبل. على وجه الخصوص، طلبت معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية (ستارت) لعام

9 George P. Shultz, William J. Perry, Henry A. Kissinger and Sam Nunn, "A World Free of Nuclear Weapons", *Wall Street Journal*, January 4, 2007.

10 Remarks By President Barack Obama in Prague as delivered, April 5, 2009, https://obamawhitehouse.archives.gov/the-press-office/remarks-president-barack-obama-prague-delivered

1993 وما تلاها (أحدثها توقيع نيو ستارت في عام 2016 من قبل الولايات المتحدة وروسيا) من كلا الدولتين تخفيض الأسلحة النووية الاستراتيجية الخاصة بهما. على الرغم من عدم وجود أي معاهدة ملزمة قانونًا تطلب من كلا الدولتين خفض الأسلحة النووية التكتيكية (TNWs)، إلا أن العديد من المبادرات من قبل كلتا الدولتين، كما وافق الرئيس بوش ويلتسين في عام 1991، نصت على تخفيض غير ملزم لأسلحة TNWs.

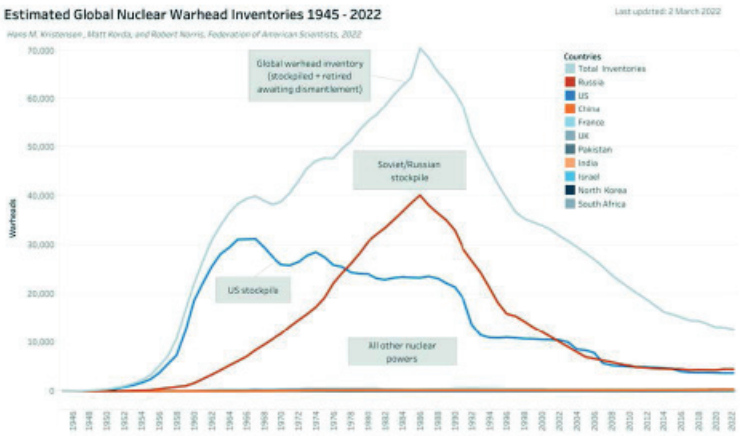


**الجدول 1.** المخزونات العالمية المقدرة للرؤوس الحربية النووية 1945-2022
Source: https://fas.org/issues/nuclear-weapons/status-world-nuclear-forces/

ومع ذلك، فقد صاحب هذه الفترة العديد من التطورات التي أثرت بشكل مباشر وسلبي على التعاون النووي ورؤية عالم خال من الأسلحة النووية. أدى انسحاب أمريكا أحادي الجانب في عام 2002 من معاهدة الصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية (ABM) لعام 1972 إلى فتح مرحلة جديدة يمكن تسميتها بالحرب الباردة الجديدة. شرعت الولايات المتحدة في مشروع شامل، الدفاع الصاروخي الوطني[11] (NMD) الذي سيحمي الأراضي الأمريكية من تهديد الصواريخ النووية التي تطلق من أي مكان في العالم، وخاصة من روسيا. نشرت الولايات المتحدة أنظمة دفاع صاروخي في أوروبا في إطار مشروع النهج التكيفي المرحلي الأوروبي[12] (EPAA) ضد تهديد الصواريخ الباليستية من إيران، وفي دول المحيط الهادئ ضد تهديد أنظمة الصواريخ الكورية الشمالية.[13]كما

11 https://www.mda.mil/

12 https://www.armscontrol.org/factsheets/Phasedadaptiveapproach

13 . في الأصل, إن هذه الأنظمة مصممة للتصدي للصواريخ الروسية

قامت بتسريع تطوير مشاريع الصواريخ التي تفوق سرعتها سرعة الصوت، مثل الضربة العالمية السريعة التقليدية (CPGS)، والتي يمكنها إصابة أي هدف في أقل من ساعة واحدة دون أن يتم اكتشافها بواسطة نظام الدفاع الصاروخي[14]. وهكذا ترافقت رؤية أوباما مع مشاريع نووية وصاروخية خطيرة.

اعتبرت روسيا الإجراءات الأمريكية، جنبًا إلى جنب مع توسع الناتو، بما في ذلك تطلعات جورجيا وأوكرانيا للعضوية، تهديدًا وشيكًا وشيكًا لأمنها القومي، وبالتزامن مع تكثيف مشاريعها بشأن أنظمة الصواريخ والأسلحة النووية. كشف بوتين عن أنظمة الأسلحة الروسية الحديثة في 1 مارس 2018،[15] مما يبرز بوضوح مدى تهديد الحرب النووية. صواريخ سارمات، على سبيل المثال، والتي وفقًا للسلطات الروسية يمكنها القضاء على معظم فرنسا[16] والمملكة المتحدة[17] بصاروخ واحد ولا يمكن إيقافها بواسطة أي نظام دفاع صاروخي حالي، تؤكد مستوى التهديد الذي تشكله أنظمة الأسلحة الروسية الجديدة.

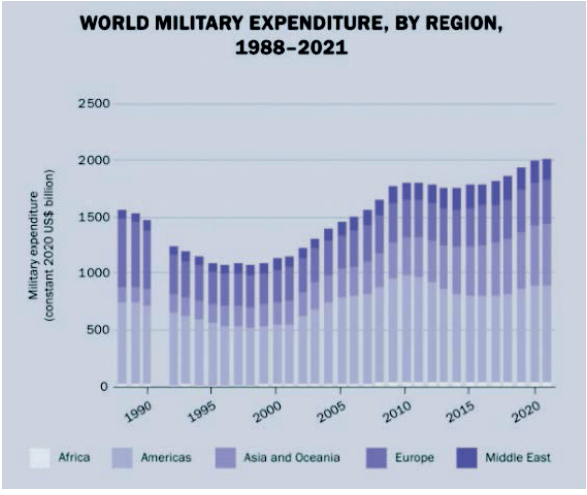


**الجدول 2.** الإنفاق العسكري العالمي، حسب المنطقة، 1988-2021.

Source: https://www.sipri.org/media/press-release/2022/world-military-expenditure-passes-2-trillion-first-time

14 https://sgp.fas.org/crs/nuke/R41464.pdf

15 "Russia's Putin unveils 'invincible' nuclear weapons", *BBC*, https://www.bbc.com/news/world-europe-43239331

16 Rachael Bunyan, Russia is planning to flight test new missile with a range of 6,200 miles and capable of destroying an area the size of France, Daily Mail, 4 January 2021.

17 Thomas Kingsley, "Putin threatens to deploy Satan II nuclear missile which can reach UK in three minutes by end of the year", *The Independent*, 22 June 2022.

لطالما عمل الإنفاق العسكري كمؤشر موثوق للوضع الدولي والبيئة الأمنية. كما يوضح الجدول 2، بعد الانخفاض الحاد في بداية الحرب الباردة، ازداد الإنفاق العسكري العالمي تدريجياً في حقبة ما بعد الحرب الباردة. أدت هجمات 11 سبتمبر وما تلاها من غزو للعراق وأفغانستان إلى تسريع الزيادة. نشهد تباطؤًا في الزيادة في 2009-2014، بدءًا بخطاب أوباما، حتى الأزمة الروسية الأوكرانية في عام 2014. تلك الأزمة، التي وصفها الأمين العام السابق لحلف الناتو بأنها "دعوة للاستيقاظ"[18] للحلف، تغيرت. مفهوم الأمن في أوروبا وأسفر عن إنفاق 2 تريليون دولار أمريكي في عام 2022، وهو رقم قياسي على الإطلاق. يوضح الجدول العالم في أزمة تختار الدول فيها الاستثمار في الجيش بدلاً من السلام. يتوافق الجدول مع مشاريع الأسلحة النووية الجديدة التي تنتهجها الولايات المتحدة وروسيا، وكذلك مع الأزمات السياسية على الصعيد الدولي.

على هذا المنوال، تم إلغاء التعاون بين الولايات المتحدة وروسيا بشأن معاهدات الحد من الأسلحة النووية ونزع السلاح الملزمة قانونًا في ظل الأزمات المتزايدة بين البلدين. سمح الانسحاب الأمريكي الأحادي من معاهدة 1972 للقذائف المضادة للقذائف التسيارية في عام 2002 للولايات المتحدة بالشروع في أنظمة الصواريخ الباليستية دون قيود، في حين مكّن انسحاب الولايات المتحدة من معاهدة القوات النووية المتوسطة لعام 1987 كلا الجانبين من نشر قوات نووية وسيطة في أوروبا. أخيرًا، أعلنت روسيا أنها ستنسحب من معاهدة ستارت الجديدة ،[19] وهي آخر معاهدة متبقية للحد من الأسلحة النووية بين روسيا والولايات المتحدة. ستنهي هذه الخطوة نظام الحد من الأسلحة النووية بين الولايات المتحدة وروسيا وستسمح لكليهما بإنتاج الأسلحة النووية دون قيود.

## خاتمة

وفرت نهاية الحرب الباردة أملاً جديداً للسلام والأمن على الساحة الدولية، حيث كان من المتوقع أن يمنع التعاون الدولي النزاعات ويزيد التعاون بين الدول. خلقت المرحلة الأولى من حقبة ما بعد الحرب الباردة هذا الجو، حيث تعاونت الولايات المتحدة وروسيا في منع انتشار

18 Karen de Young, "Russia's moves in Ukraine are 'wake-up call,' NATO's Rasmussen says in speech", *The Washington Post*, March 19, 2014.

19 David E. Sanger, "Putin's Move on Nuclear Treaty May Signal End to Formal Arms Control", *The New York Times*, February 21, 2023.

أسلحة الدمار الشامل، وخاصة في مجال منع انتشار الأسلحة النووية. كما قدمت تلك الفترة الأمل في حقبة يتضاءل فيها دور وتأثير الدول النووية في السياسة الدولية.

قدم هذا الجو أيضًا رؤية جديدة، كما أوضحها الرئيس الأمريكي أوباما في عام 2009، لعالم خالٍ من الأسلحة النووية. ومع ذلك، فقد أدت التطورات الأخيرة إلى إضعاف هذا الأمل، بينما أدت الأزمات بين الولايات المتحدة وروسيا بشأن الحد من الأسلحة النووية والتسليح إلى تغيير الاتجاه في غضون فترة زمنية قصيرة، حيث دخل العالم حقبة الحرب الباردة الجديدة بأسلحة أكثر تطوراً وخطورة ومدمرة. الأنظمة. التدمير المتبادل المؤكد هو الآن سيناريو أكثر احتمالا. إن حياة مليارات البشر، وبقاء الحياة على الأرض تعتمد على قرارات قادة جميع الدول النووية، وخاصة الولايات المتحدة وروسيا.

هذا لا يعني أن على المجتمع الدولي أن يفقد الأمل. تتغير أولويات وتصورات العلاقات الدولية والسياسة الدولية بمرور الوقت. أعرب العلماء الذين عملوا في مشروع مانهاتن عن أسفهم بعد أن شهدوا الآثار الرهيبة للقنبلة الذرية في هيروشيما وناغازاكي وذكروا أنه لا ينبغي استخدام الأسلحة النووية مرة أخرى. وضع السياسيون الأمريكيون الواقعيون المتشددون، بمن فيهم هنري كيسنجر، رؤية لعالم خالٍ من الأسلحة النووية، بينما أعرب الرئيس الأمريكي بوضوح عن حلمه بعالم خالٍ من الأسلحة النووية. لقد شهد العالم فترة تعاونت فيها الدول النووية في العديد من القضايا، بما في ذلك التخفيض الهائل للأسلحة النووية.

لذلك، لدينا أسباب كثيرة لنتطلع إلى تعاون دولي أفضل لتحسين بيئة الأمن الدولي. يجب ألا تقضي الأزمات المؤقتة على حلم السلام والأمن والتعاون الدولي. يجب أن تكون لدينا رؤية مشتركة للبشرية وكوكب العالم خالٍ من الأسلحة النووية.

## المراجع

Bernstein, Barton J. "A post-war myth: 500,000 US lives saved", Bulletin of the Atomic Sciences, 42. No. 6 (June/July 1986), pp.38-40

Brodie, Bernard, *The Absolute Weapon: Atomic Power and World Order.* Harcourt, 1946

Brodie, Bernard, *Strategy in the Missile Age*, Princeton University Press, 1959

Brodie, Bernard, *From Cross-Bow to H-Bomb*. Dell, 1962;

Brodie, Bernard, *Escalation and the Nuclear Option*. Princeton University Press, 1966.

Bunyan, Rachael Russia is planning to flight test new missile with a range of 6,200 miles and capable of destroying an area the size of France, Dailymail, 4 January 2021.

deYoung, Karen "Russia's moves in Ukraine are 'wake-up call,' NATO's Rasmussen says in speech", *The Washington Post*, March 19, 2014.

Gaddis, John Lewis, *International Security*, Vol. 10, No. 4 (Spring, 1986), pp. 99-142

https://thebulletin.org/virtual-tour/albert-einstein-leo-szilard-and-the-letter-that-led-to-the-manhattan-project/ https://www.armscontrol.org/factsheets/Phasedadaptiveapproach https://sgp.fas.org/crs/nuke/R41464.pdf

https://www.mda.mil/

Kahn, Herman *On Thermonuclear War*. Princeton University Press, 1960:

Kahn, Herman *Thinking about the unthinkable*. Horizon Press. 1962:

Kahn, Herman *On escalation: metaphors and scenarios*. Praeger, 1965.

Kingsley, Thomas, "Putin threatens to deploy Satan II nuclear missile which can reach UK in three minutes by end of the year", *The Independent*, 22 June 2022.

Moore, Kathryn and Dennis M. Giangreco, *Dear Harry: Truman's Mailroom,* 1945-1953*: the Truman administration through correspondence with "everyday Americans*, Stackpole Books, Lanham, 2017.

Remarks By President Barack Obama in Prague as delivered, April 5, 2009, https://obamawhitehouse.archives.gov/the-press-office/remarks-president-barack-obama-prague-delivered

"Russia's Putin unveils 'invincible' nuclear weapons", *BBC*, https://www.bbc.com/news/world-europe-43239331

Sanger, David E., "Putin's Move on Nuclear Treaty May Signal End to Formal Arms Control", *The New York Times*, February 21, 2023.

Schelling, Thomas, *The Strategy of Conflict* 1960, *Arms and Influence*, Yale University Press, 1966.

Shultz, George P. William J. Perry, Henry A. Kissinger and Sam Nunn, "A World Free of Nuclear Weapons", *Wall Street Journal*, January 4, 2007.

"The Potsdam Conference, 1945", https://history.state.gov/milestones/1937-1945/potsdam-conf

Waltz, Kenneth N., "The Spread of Nuclear Weapons: More May Be Better: Introduction", The Adelphi Papers, 21:171, 1981.

# النظام العالمي الجديد, عدم الوضوح والتصور المستقبلي له[1]

حسن علي كاراسار

## المقدمة

لقد كان تطوير النظام الدولي مستمرًا لفترة طويلة، خاصة في القرون الماضية. المواجهة الطويلة والدموية والمنافسة في جميع أنحاء العالم، وخاصة في أوروبا، كانت مصحوبة باستعمار أجزاء أخرى من العالم مما أدى إلى ولادة دول جديدة مثل الولايات المتحدة. شهد أواخر القرن التاسع عشر تطور نظام الدولة القومية في الغرب بينما حكم العالم الغربي بقية العالم، أي آسيا وإفريقيا وأوقيانوسيا. ومع ذلك، فإن عقلية الاستعمار لم تنته أبدًا.

ومع ذلك، فقد شهدت أوائل القرن العشرين نظامًا عالميًا جديدًا مع انهيار الإمبراطوريات وظهور الدول القومية بعد حربين عالميتين دمويتين حيث فقد ملايين الأشخاص حياتهم. أعادت الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية تشكيل خريطة العالم وأعادت هيكلة النظام الدولي. أدى صعود الدول القومية والنجاح في إنشاء الأمم المتحدة على الرغم من عيوبها إلى خلق الآمال في نظام دولي قائم على القانون الدولي.

كان القرن العشرين بمثابة حلبة صراعات تتحدى فيها اليوتوبيا المتشكلة في القرن الماضي بعضها البعض. وقد شكلت وصاغت هذه اليوتوبيا والمذاهب السياسية حياة البشرية كالرأسمالية، الاشتراكية، القومية، اللاسلطوية، الليبرتارية، الفيدرالية، الكونفدرالية، الشيوعية، الإمبريالية، الليبرالية، المثالية، النفعية، النقابية، الجماعية، العدمية، المحافظة، الداروينية الاجتماعية، الملكية، الفاشية، النقابية، الثورية بالإضافة لقائمة تشمل المذاهب المماثلة.

كانت حقبة الحرب الباردة (89-1947) تتمتع بنوع خاص من النظام العالمي الخاص بها. على الرغم من أنه لم يكن ثابتًا وخاضعًا للتغييرات المستمرة، إلا أنه كان له هيكل صلب ومتماسك. وقد واجه الكثيرون مشاكل في تسميته "كنظام". على الرغم من ذلك، كانت هناك أنماط على الجبهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وقد كان هناك معسكرين بشكل أساسي. كان لهذين المعسكرين

---

1 إن هذه المقالة هي نسخة منقحة من مقالة : «النظام العالمي الجديد, عدم الوضوح والتصور المستقبلي له» والتي تم نشرها في مجلة يوردو التركية (المجلد 110 رقم 404 في نيسان / أبريل 2021).

أيديولوجياتهما الخاصة واليوتوبيا الخاصة بهما للتنافس ليس في المجال الفكري فحسب ولكن أيضًا في مجالات التنمية الصناعية والتكنولوجية.

أسهمت حقبة ما بعد الحرب الباردة الأمل في تطوير نظام دولي قائم على حقوق الإنسان والديمقراطية والقانون الدولي، وهو الأمر الذي حلم به العديد من العلماء والمفكرين لفترة طويلة. على الرغم من فترة السلام النسبية في حقبة ما بعد الحرب الباردة، ظهرت الأزمات في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك الإبادة الجماعية والتطهير العرقي في عدة أماكن، مثل البوسنة والهرسك أو كوسوفو، وأبرزت الشكوك، مع ذلك، بشأن عدم استعداد العالم والإنسانية من أجل تطوير نظام دولي مثالي ولائق.

**الفشل في تطوير النظام الدولي**

أصبحت نهاية الحرب العالمية الثانية، التي أعادت تشكيل الحدود بشكل رئيسي في أوراسيا، نقطة تحول للعملية المستمرة لتطوير النظام الدولي. شهدت حقبة الحرب الباردة المبكرة انتعاشًا سريعًا لأوروبا المُدمرة، وبداية إنهاء استعمار واسع في إفريقيا وآسيا وظهور قوتين عظميين، الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي. مثّل هذا النظام العالمي، المسمى بالحرب الباردة،[2] حقبة جديدة حيث واجهت القوى العظمى بعضها البعض بحرب دموية بالوكالة في كوريا وفيتنام والشرق الأوسط (فلسطين وإسرائيل) وآسيا (باكستان والهند وأفغانستان) وأفريقيا (أنغولا).

تحولت اليوتوبيا المتنافسة في القرن التاسع عشر إلى منافسة قوية بين الأيديولوجية الاشتراكية للاتحاد السوفيتي ويوتوبيا "العالم الليبرالي والحر" التي تمثلها الولايات المتحدة وحلفاؤها. زادت الولايات المتحدة من نفوذها على العالم الغربي تحت شعار "الاقتصاد الليبرالي - الرأسمالية والديمقراطية". من ناحية أخرى، وعد الاتحاد السوفياتي والصين لاحقًا بالاشتراكية ونزع الاستعمار وإنشاء ما يشبه المدينة الفاضلة التي ستكون بديلة للإمبريالية والرأسمالية. أعطى إنهاء الاستعمار الواسع خلال الستينيات والسبعينيات الأمل في نظام عالمي أفضل ومتساوٍ وعادل.

---

2 إن مصطلح «الحرب الباردة» الذي تم استخدامه أول مرة من قبل الكاتب جورج أورويل لوصف فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وقد قام بنشر مقالة بعنوان : « أنت والقنبلة الذرية»، مباشرةً بعد استخدام القنابل الذرية في هيروشيما ونكازاكي وقد أشار فيها إلى القواعد الديناميكية للحقبة الجديدة. George Orwell, 'You and the Atom Bomb', Tribune (19 October 1945).

أجبرت فترة عدم الوضوح او الاستقرار والتي رافقها تطورات حاسمة في المجالات التكنولوجية والعلمية والاجتماعية والسياسية علماء المستقبل والأكاديميين على التشكيك في مستقبل العالم وكذلك في النظام الدولي. ألفين توفلر، كاتب ومستقبلي أمريكي بارز، على سبيل المثال، درس التأثيرات والآثار المحتملة للابتكار التكنولوجي والتطورات في تكنولوجيا المعلومات على حياتنا. وتوقع أن البشر قد يواجهون مجموعة واسعة من المشاكل مثل الرقمنة، والحرب غير المتكافئة، أو الهجرة في المستقبل بسبب التطورات التكنولوجية.[3]كما تنبأ بشكل واضح في عام 1980 أنه في العقود الثلاثة القصيرة بين الآن والقرن الحادي والعشرين، سيواجه الملايين من الناس العاديين صدمة نفسية مفاجئة في المُستقبل.[4]

وهكذا، فإن القضايا التي نصفها اليوم بأنها "عدم اليقين أو الوضوح" كانت موضوعات للمناقشات في الكتب المستقبلية، بما في ذلك الكتب الأكثر مبيعًا خلال الحرب الباردة. يهدف المستقبليون، مثل جون ماكهيل،[5] وجون نايسبيت[6]، وفرانك فيذر[7] إلى توضيح أوجه عدم اليقين هذه من خلال توفير أفق لمستقبل البشرية والنظام الدولي المحتمل بناءً على التحليل الحالي للتطورات التكنولوجية و الاجتماعية والاقتصادية و العلمية.

تبعَ سقوط جدار برلين، رمز النظام المُكون من كتلتين، تفكك الاتحاد السوفيتي وتشكل بداية حقبة جديدة تسمى حقبة ما بعد الحرب الباردة. وقد أدى انهيار نظام الحرب الباردة إلى زيادة الشكوك حول مستقبل العالم، وسعى العلماء والسياسيون جاهدين للتنبؤ بالمستقبل وعلى سبيل المثال، أطلق فرانسيس فوكوياما، المسؤول في وزارة الخارجية الأمريكية، على الفترة الجديدة اسم "نهاية التاريخ"، مشيرًا إلى الانتصار الواضح للولايات المتحدة والقوى التي يدعمها الغرب، وأشار إلى بداية عهد جديد: النظام العالمي أحادي القطب. وقد هدف فوكوياما في مقاله ذو التأثير الكبير بأن يقول أن "عدم اليقين" الجديد ما هو إلا "تأسيس لقرون من الملل والتي وصفها بنهاية التاريخ والتي بدورها ستعمل على بدء التاريخ مرة أخرى.[8] ومع ذلك، لم تكن نظريته مدركة بأن التاريخ لم ينته، ولم يتحقق النظام العالمي أحادي القطب، ولم تستطع العولمة إعلان انتصارها.

3 Alvin Toffler, *Future Shock*. Random House, New York, 1970.

4 *نفس المصدر.*

5 John McHale, *The Future of the Future*, George Braziller, New York, 1969.

6 John Naisbitt, Megatrends: Ten New Directions Transforming Our Lives, Warner Books, 1982.

7 Frank Feather, G-Forces: Reinventing the World : The 35 Global Forces Restructuring Our Future, Summerhill Press, 1989.

8 Francis Fukuyama, "The End of History?" *The National Interest*, No. 16 (Summer 1989), p. 3-18

استمر البحث عن وصف جديد للفترة الجديدة بشكل حذر. توقع صموئيل هنتنغتون في رسالته بعنوان "صراع الحضارات" أن المنافسة الأيديولوجية والاقتصادية ستحل محلها منافسة جديدة تقوم على البُعد الثقافي. وقد ادعى في الرسالة بأن "صراع الحضارات سيسيطر على السياسة العالمية.[9] وإن خطوط الصدع بين الحضارات ستكون خطوط معركة المستقبل".[10] و بدلًا من تقديم أفكار جديدة للتخلص من حالة عدم الاستقرار أو الوضوح, فإنه قام بتعزيز وزيادة تعقيد حالة الشك وعدم الوضوح.

ظلت حالة عدم اليقين بشأن النظام العالمي باقية منذ نهاية الحرب الباردة. يمكن تحليل هذه الفترة في ثلاثة عقود مختلفة. لقد شهدنا العديد من الحروب الأهلية الدامية في العقد الأول من فترة الثلاثين عامًا مثل حرب الخليج الأولى، والحرب في البوسنة، وحروب الشيشان، وحرب كوسوفو، والحروب الأهلية في أفغانستان ورواندا والصومال. كل هذه الأحداث حالت دون تطوير نظام عالمي جديد بعد الحرب الباردة كما هو متوقع وكما كان يأمل الكثيرون.

الجزء الثاني من هذه الفترة الذي بدأ مباشرةً بعد هجمات 11 سبتمبر / أيلول والذي سمي بفترة "الحرب على الإرهاب". ظهرت المنظمات الإرهابية العالمية والإقليمية مثل القاعدة وطالبان والشباب وبوكو حرام كأطراف فاعلة رئيسية في المنطقة الدولية. وبرز الغزو الأمريكي لأفغانستان والعراق (حرب الخليج الثانية)، والثورات الملونة، والحرب الروسية الجورجية، وحرب غزة، وإنفلونزا الخنازير كأحداث رئيسية أثرت في تطوير نظام دولي جديد بين عامي 2001-2011. لم يكن من الممكن، مرة أخرى، الحديث عن نظام عالمي جديد خلال هذه الفترة.

ظهرت الحرب الأهلية في سوريا، صعود داعش، الربيع العربي، صعود الصين، الإسلاموفوبيا، محاولات الانقلاب في مختلف أنحاء العالم، انتخاب ترامب في الولايات المتحدة، جائحة كوفيد19 و خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوربي (بريكست) كأحداث رئيسية في العقد الأخير من هذه الفترة . بالنظر إلى فشل تطوير النظام الدولي، ظل "عدم اليقين" هو المصطلح الوحيد لوصف المستقبل بعد أن أثرت جائحة كوفيد-19 على العالم بأسره في عام 2020.

أخيرًا، بدأت الحرب الروسية الأوكرانية التي غيرت حدود دولة أوروبية بالقوة لأول مرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في ظل التهديد باستخدام الأسلحة النووية. إن هذه المرحلة الجديدة زادت مرة أخرى من عدم اليقين او الوضوح في النظام الدولي. الحرب التي أعادت تشكيل البيئة

9 Samuel Huntington, "The Clash of Civilizations?", *Foreign Affairs*, Issue. 72, No. 3 (Summer, 1993). p 22-49

10 *نفس المصدر ص* 32

الأمنية عالميًا وفي أوروبا على وجه الخصوص، اعتُبرت بمثابة "نداء تحذير" للحلف،[11] كما عبر عن ذلك أندرس راسموسن، الأمين العام السابق لحلف الناتو، وزادت حدة المنافسة بين الشرق والغرب كما كانت خلال ذلك الوقت أثناء الحرب الباردة.

لم يكن الاضطراب السياسي هو السبب الوحيد لفشل تطوير نظام عالمي جديد, فقد تم إعادة صياغ لنظام الأنثروبوسين (الانسان في المركز) لمراعاة تأثير التراكم المتسارع لغازات الدفيئة على المناخ والتنوع البيولوجي، وكذلك الضرر الذي لا رجعة فيه على الأرض الناجم عن الاستهلاك المفرط للموارد الطبيعية ظهر أيضًا كعامل أدى إلى زيادة عدم الاستقرار في العالم.[12] ظهر الأنثروبوسين، الذي يعني قريبًا تدمير العالم من قبل البشر إلى حد لا رجعة فيه، باعتباره أحد المصادر الرئيسية لعدم اليقين.

لقد شهد العالم أوبئة أدت إلى قصص مروعة عبر التاريخ. على سبيل المثال، وباء «الموت الأسود» والذي قتل ما يصل إلى خمسين بالمائة من سكان أوروبا,[13] بالإضافة إلى موت ملايين الأشخاص في آسيا في القرن الثالث عشر الميلادي. لقد عانينا مؤخرًا من إنفلونزا الخنازير أو إنفلونزا الطيور التي لم تكن مرتبطة بموت الملايين من الناس. ومع ذلك، ظهر جائحة كوفيد-19 كواحدة من التهديدات الرئيسية التي عانى منها البشر في التاريخ الحديث وأثرت على كل جانب من جوانب الحياة اليومية، من التعليم إلى الحياة الاقتصادية.

من الجدير بالذكر أن الأوبئة علمتنا أشياء كثيرة. أولاً، قامت دول منفردة بمكافحة الأوبئة وسلطت الضوء على فشل التعاون الدولي، على عكس توقعات مؤيدي العولمة. كما فشلت المنظمات الدولية، بما في ذلك منظمة الصحة العالمية (WHO)، في التعامل مع الأوبئة و فشلت أطروحة التعاون الدولي وشدد بوضوح على أهمية المرونة الوطنية لمكافحة التحديات.

كما شهدنا أن الأوبئة هي التي أدت إلى التحول الذي كان العالم ينتظره لفترة طويلة. لقد شهدنا تغييرات وتحولات ثورية وسريعة في جميع جوانب حياتنا، بما في ذلك التعليم والسياحة ونماذج الإنتاج والتمويل وحياة العمل. فقد ظهر التعليم عبر الإنترنت، والعمل في المنزل، وانكشف فائض البيروقراطية، وظهرت أنظمة الإنتاج الصغيرة وظهور العملات المشفرة، وخاصة ظهور BITCOIN،

11 "Ukraine crisis 'wake up call' for Nato, says Rasmussen", *BBC*, 03 June 2014, https://www.bbc.com/news/av/world-europe-27690320 (last acessed on: 03 June 2023).

12 https://en.unesco.org/courier/2018-2/anthropocene-vital-challenges-scientific-debate (last acessed on: 22 May 2023)

13 William G. Naphy and Andrew Spicer, The Black Death: A History of Plagues, 1345-1730, Tempus, 2004.

والاقتصاد الرقمي كمخرجات رئيسية لفترة الوباء. لسنا متأكدين من آثارها طويلة المدى، لكنها حتماً غيرت وشكلت حياتنا.

لا يمكن وصف الرقمنة بأنها طفرة تكنولوجية على الرغم من أنها غيرت إيقاع الحياة. نحن نعيش في عصر يمكن فيه تغيير الأحكام المسبقة التي نشأت على مر السنين في وقت قصير جدًا.[14] نحن نتحدث عن فترة ظهرت كسلاح للرأسمالية. أيديولوجية تجبر المجتمعات على الاختيار بين الحرية والأمن، والديمقراطية والثروة، أو الاستقرار.

في هذه المرحلة، تلعب حجج الفيلسوف بيونج تشول هان التي ألهمت الماركسيين الجدد دورًا مهمًا. في كتابه لعام 2014 بعنوان "السياسة النفسية"،[15] يؤكد على نقطتين مهمتين. أولًا، السياسة الحيوية والبيانات الثانية. وفقًا لهان، فإن النخب الحاكمة التي اعتادت على تهديد السكان بالموت تكافئهم الآن بالحياة على أساس حقائق السياسة الحيوية[16]. Dataism هو شكل من أشكال صنم البيانات كما يمكن فهمه من المصطلح[17]. فيما يتعلق بحجم وأبعاد بيانات سكان العالم،[18] فإن بصمتنا الرقمية تمثلنا جميعًا.

أدت التطورات في تكنولوجيا المعلومات إلى التلاعب بالمجتمعات حيث يمكن للكارتلات في مجال المعلومات أن تتلاعب بعقولنا. الأيدي الخفية تقود مصير الشباب أو تتركهم بدون توجيه بينما تختفي المراكز التقليدية[19]. تستخدم مراكز وسائل التواصل الاجتماعي الذكاء الاصطناعي الذي ينتج خوارزميات لقيادة تفضيلات الناس، وهو ما أطلق عليه العديد من العلماء اسم "الخوارزمية".[20] كما أشار عالم الرياضيات الفرنسي بوانكاريه،[21] منظّر الفوضى الشهير، قبل 130 عامًا، إلى أن بعض الأحداث التي نعتبرها فوضى قد تكون، في جوهرها، جزءًا من الأنظمة التي لا يمكننا فهمها. أي

14 Bekir Ağırdır, *Hikayesini Arayan Gelecek*, Doğan Kitap, İstanbul, 2020, p. 25.

15 Byung-Chul Han, Psikopolitika: *Neoliberalizm ve Yeni İktidar Teknikleri*, Metis, İstanbul, 2019.

16 نفس المصدر ص 30-29 (كمثال عن الأنظمة الصحية, الطب والقاحات).

17 نفس المصدر السابق ص 65

18 نفس المصدر السابق ص 81

19 قد تم الكشف عن حصول كامبريدج أنالتيكا على المعلومات الشخصية ل 50 مليون حساب فيسبوك في عملية تسريب بيانات كبرى في عام 2015 والتي تم استخدامها لأغراض سياسية وهذا مجرد غيض من فيض.

20 Şeref Oğuz, "Dünya Algoritokrasi çağına mı giriyor?," *Dünya Gazetesi*, 13 April 2020, https://www.dunya.com/kose-yazisi/dunya-algoritokrasi-cagina-mi-giriyor/467552 last acessed on: 01 March 2021.

21 Christos Skiadas (ed.), *The Foundations of Chaos Revisited: From Poincaré to Recent Advancements*. Springer, Cenevre, 2016.

أن الموقف الذي نعتبره فوضى أو عدم يقين قد يكون له نظام في التكوين الرياضي لا يمكننا رؤيته.و تعود أحدث النظريات مثل "تأثير الفراشة" و "فيزياء الكم" إلى قرن مضى. ومع ذلك، لا يُنظر إلى أي منها على أنه بديل للوضعية الكلاسيكية. فقدت ما بعد الحداثة قوتها التفسيرية بعد الأوبئة والوقائع الجديدة.

من المتوقع أيضًا أن تساعد النسخة الجديدة والحديثة من حرب النجومSpace Wars في إساءة استخدام مجال المعلومات. فقد كان الفضاء جزءًا مهمًا آخر من تطور النظام الدولي. لقد مضى أكثر من 60 عامًا منذ أن أطلق الاتحاد السوفيتي سبوتنيك، أول قمر صناعي من صنع الإنسان. بلغ عدد الأقمار الصناعية النشطة في المدار 464 في عام 1990، و 769 في عام 2000، و 997 في عام 2010، ووصل إلى 3368 في عام 2020 و 6905 في نهاية عام 2022 ،[22] بزيادة ستة أضعاف عن العقد الماضي. 2.000 منها أقمار صناعية تجارية بينما 700 قمر صناعي تستخدم للأغراض المدنية، و 600 قمر صناعي تستخدم للأنشطة العسكرية والاستخباراتية. لا تزال روسيا تستخدم المنشآت الموروثة من الاتحاد السوفيتي. زادت الصين من قدراتها في العقود الماضية. نقلت الولايات المتحدة معظم أنشطتها حول الفضاء إلى شركة SpaceX المعروفة بأنظمة الصواريخ القابلة لإعادة الاستخدام. أصبحت روسيا الدولة الرائدة في مجال النقل الفضائي بسبب موثوقية صواريخ البروتون. تنتهج الصين سياسة المسار المزدوج: أولاً، زيادة قدرات الاستخبارات العسكرية، وثانيًا، إنشاء أساس لنظام اتصالات وإنترنت مستقل من خلال أنظمة الأقمار الصناعية.

بدأت جوجل مشروع[23] Loon الذي يهدف إلى توفير اتصال إنترنت عالي السرعة في المناطق التي تواجه مشاكل في الاتصال (بشكل رئيسي في أمريكا الجنوبية وأفريقيا) من خلال بالونات الهيليوم العملاقة المنتشرة في الستراتوسفير. ومع ذلك، فقد ألغوا ذلك في أوائل عام 2021 بعد أن زاد مشروع Starlink التابع لشركة SpaceX من أنشطته. تستهدف شركة SpaceX بكونها المزود الرئيسي للإنترنت سريع السرعة في جميع أنحاء العالم عبر شبكة الأقمار الصناعية ذات المدار المنخفض. لقد وضعوا 800 قمر صناعي في المدار في غضون عامين ويهدفون إلى وضع 12.000 قمر صناعي في ثلاثة مدارات مختلفة المستوى بحلول عام 2025. بالإضافة إلى توفير قدرة وسرعة اتصال إنترنت هائلة، ستمكن هذه المشاريع الدول من المتابعة عن كثب، والمشاهدة، والاستماع،

22 "Number of active satellites by year 1957-2022", https://www.statista.com/statistics/897719/number-of-active-satellites-by-year/ last acessed on 10 June 2023.

23 https://loon.com/ (last accessed on 22 May 2023)

وتتبع معظم أنشطة الدول والأشخاص الآخرين في جميع أنحاء العالم. والأهم من ذلك، أن هذه المشاريع ستوفر قوة تحكم وسيطرة قادرة على التغيير وقيادة وتوجيه عقول الناس.

**سيناريو مُتشائم حول المستقبل**

لا يمكننا تسمية الفترة التي تشمل العقد الأخير من القرن العشرين والعقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين. ومع ذلك، فقد أدت الإخفاقات والأخطاء الكبرى التي ارتكبتها الولايات المتحدة إلى تدمير التوقعات من العالم أحادي القطب. بدت الرأسمالية كنظام اقتصادي يهيمن على العالم، لكن قيمتها الليبرالية لم ترق إلى مستوى التوقعات. ولم يتحقق السلام العالمي، وساعدت النزاعات في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا على تحقيق هذا الفشل. فقد أدت الصراعات في أفغانستان والبوسنة والهرسك والشيشان وناغورنو كاراباخ والعراق وسوريا وليبيا واليمن وأراكان وكشمير إلى مقتل ملايين الأشخاص. كما أن الهجرة لها معنى جديد اليوم وقد خلقت آليات عمل جديدة في جميع أنحاء العالم.

الأزمة الأخيرة بين الدول القومية، والمنافسة المتزايدة بين الولايات المتحدة وروسيا مصحوبة بتحديات نووية متجددة، والآثار المستمرة لـ COVID-19 في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وصعود الشعبوية في جميع أنحاء العالم، وآثار التضخم المرتفع في الاقتصاد التي أثرت على بلايين الناس في منع إقامة نظام دولي قائم على حقوق الإنسان والديمقراطية والتعاون الدولي وحتى توزيع الدخل. ومع ذلك، يبدو أن مستقبل البشرية والكوكب لن يكون أفضل مما هو عليه اليوم.

ستؤدي الزيادة السريعة في عدد سكان العالم إلى تسارع المشاكل التي نواجهها اليوم. فقد زاد عدد سكان العالم من 7.2 مليار في عام 1955 إلى 8.7 مليار في عام 2020,[24] لا يمكن توفير الغذاء والمأوى والصحة والتعليم لهذه الفئة من السكان، فضلاً عن تلبية احتياجات الاقتصاد الاستهلاكي إلا من خلال تدمير الموائل، مع الإفراط في استهلاك الموارد الطبيعية واستغلال الناس.

إن زيادة الفوارق بين الثروة والاقتصادات الفقيرة وكذلك التوزيع غير المتكافئ للدخل سيُسرع من الحركة الجماعية للسكان والتي ستعيد إطلاق موجة أخرى من الهجرة الشرعية والهجرة غير الشرعية بشكل خاص في المستقبل القريب. فلن تكون الحدود المحصنة أو الضوابط الجمركية الصارمة أو إجراءات التأشيرات الصارمة كافية لمنع هذه العملية.

24 https://www.worldometers.info/world-population (last accessed on 19 March 2023)

يبدو أننا سنفقد السيطرة على أشياء كثيرة في هذا القرن. عندما نبدأ بالعائلة، لن نتمكن من تربية أطفالنا على أساس قيمنا. ثقافتنا، حضارتنا التي لها خلفية لأكثر من ألف عام، لغتنا، ديننا سيواجه تحديات محلية أو دولية لم نشهدها في التاريخ. ستحكم الخوارزميات في العصر الجديد.

المنظمات اللامركزية أو متعددة المراكز ستضعف القيم التي تجمعنا معًا. سوف تشكك الخوارزميات في قيم مثل الحقيقة أو الذكاء أو الأخلاق أو العدالة أو الآداب العامة وتقودنا إلى التصرف بشكل مخالف لقيمنا. ستؤدي الاقتصادات الرقمية والعملات المشفرة إلى إبطال قيم العملات التقليدية التي تستمد قوتها من دول منشأها. لن تكون الدول قادرة على تحصيل الضرائب ما لم تقبل الوضع الجديد والواقع الجديد. سوف يضاعف التعليم الرقمي العوائد بمساعدة الذكاء الاصطناعي. توفر الأنظمة الصحية الرقمية حلولاً ملموسة لفترة طويلة. أنظمة التمويل والتقاعد الرقمية قيد التنفيذ.

نحن على مفترق طرق تحول كبير في العالم. لقد حدثت هذه الأنواع من التغييرات مرة أو مرتين فقط في ألف عام خلال التاريخ. السؤال هنا بسيط للغاية: هل نحن جاهزون؟

## المراجع

Ağırdır, Bekir, *Hikayesini Arayan Gelecek*, Doğan Kitap, İstanbul, 2020.

Feather, Frank, G-Forces: *Reinventing the World: The* 35 *Global Forces Restructuring Our Future*, Summerhill Press, 1989.

Fukuyama, Francis, "The End of History?" *The National Interest*, No. 16 (Summer 1989).

Han, Byung-Chul, *Psikopolitika: Neoliberalizm ve Yeni İktidar Teknikleri*, Metis, İstanbul, 2019.

https://en.unesco.org/courier/2018-2/anthropocene-vital-challenges-scientific-debate (last accessed on 22 May 2023)

https://loon.com/ (last accessed on 22 May 2023)

https://www.worldometers.info/world-population (last accessed on 19 March 2023) Huntington, Samuel, "The Clash of Civilizations?", *Foreign Affairs*, Vol. 72, No.3 (Summer, 1993). pp. 22-49

McHale, John, *The Future of the Future*, George Braziller, New York, 1969.

Naisbitt, John, *Megatrends: Ten New Directions Transforming Our Lives*, Warner Books, 1982. Naphy, William G., and Spicer, Andrew, *The Black Death: A History of Plagues*, 1345-1730, Tempus, 2004. Number of active satellites by year 1957-2023, https://www.statista.com/ (last accessed on 10 Haziran 2023)

Oğuz, Şeref, "Dünya Algoritokrasi çağına mı giriyor?", *Dünya Gazetesi*, 13 April 2020, https://www.dunya.com/kose-yazisi/dunya-algoritokrasi-cagina-mi-giriyor/467552 (last accessed on 01 March 2021)

Orwell, George, "You and the Atom Bomb", Tribune (19 October 1945).

Skiadas, Christos (ed.), *The Foundations of Chaos Revisited: From Poincaré to Recent Advancements*. Springer, Genoa, 2016.

Toffler, Alvin, *Future Shock*, Random House, New York, 1970

"Ukraine crisis 'wake up call' for Nato, says Rasmussen", BBC, 03 June 2014, https://www. bbc.com/news/av/world-europe-27690320 (last accessed on 03 June 2023)

# الخاتمة

حسن علي كراسار

شفق أوغوز

مرت البشرية وكوكبنا بأوقات عصيبة. على الرغم من وجود نظام دولي فعال جزئيًا، يتم فيه تكليف الأمم المتحدة بتوفير السلام والأمن الدوليين والحفاظ عليهما، إلا أن الحرب الروسية الأوكرانية مستمرة تحت تهديد استخدام الأسلحة النووية، وهو تهديد لم يسمع به العالم منذ الأزمة الكوبية عام 1962. . أدت عضوية روسيا في مجلس الأمن الدولي وحقها في الفيتو إلى تعطيل قرار وقرار في الأمم المتحدة لحل الأزمة وإنهاء الحرب. وهكذا، على الرغم من الدعم الدولي القوي لأوكرانيا، لم تتمكن حتى الأمم المتحدة، بمشاركة 193 دولة، من إيجاد حل لوقف قتل ومعاناة ملايين الأشخاص في أوكرانيا.

لقد أثرت الأزمة على معظم سكان العالم، وليس فقط شعب أوكرانيا. لقد أثرت الحرب، وهي الأولى التي غيرت حدود دولة أوروبية بالقوة منذ الحرب العالمية الثانية، على تدفق الغاز الطبيعي إلى أوروبا وتدفق الحبوب في جميع أنحاء العالم، مما يهدد الملايين من الناس بالمجاعة. أطلقت جهود تركيا، بالتنسيق مع الأمم المتحدة، مبادرة حبوب البحر الأسود، والتي سمحت باستئناف صادرات الحبوب الأوكرانية والروسية عبر البحر الأسود، وتمكين ملايين الأشخاص من الوصول إلى الغذاء الذي هم في أمس الحاجة إليه. المبادرة، والتعاون الدولي بمشاركة الدول المتحاربة، نجحت في درء المجاعة في جميع أنحاء العالم في العام الأول، لكن الأزمة تلوح في الأفق في المستقبل.

أدت الحروب الأهلية المستمرة والممتدة في جميع أنحاء العالم إلى نزوح ملايين الأشخاص محليًا ودوليًا، وهم أشخاص يعيشون في ظروف قاسية. كان هناك تدفق لملايين الأشخاص من أمريكا اللاتينية إلى الولايات المتحدة وكندا وكذلك من إفريقيا وآسيا إلى أوروبا بحثًا عن ظروف معيشية أفضل. فشل معظمهم، وخاصة النساء والأطفال، في الوصول إلى وجهاتهم، وماتوا في البحر أو في الطريق. تعرض الأشخاص الذين وصلوا إلى وجهاتهم لردود فعل عنصرية من قبل المسؤولين والمواطنين العاديين في الدول التي استقروا فيها. يزداد الوضع على الأرض صعوبة بالنسبة لهم يومًا بعد يوم. يعتبر تدفق المهاجرين غير الشرعيين أحد أخطر التهديدات لأمن الدول

المتقدمة التي يتجهون إليها، وهو تهديد متزايد يؤدي إلى تفاقم الكراهية العرقية والدينية والتمييز والعنصرية ضد الأقليات.

يميل الناس إلى نسيان أو تجاهل أن الهجرة غير النظامية هي نتيجة لسياسات الدول المتقدمة. استعمار وعبودية الماضي، وسياسات الاستغلال في العصر الحديث، دفعت هؤلاء الناس إلى ترك منازلهم من أجل الأمن ومن أجل مستويات معيشية أعلى. إن التفاوت المتزايد في توزيع الدخل ومستويات المعيشة بين الدول المتقدمة وغير المتطورة نتيجة السياسات الفاشلة يحول هؤلاء الناس إلى سلاح يستهدف الدول المتقدمة.

تتكرر العنصرية وتتزايد في جميع أنحاء العالم، خاصة في الدول المتقدمة المرتبطة بالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان. لقد تضاءل التسامح مع الآخرين إلى الصفر تقريباً ووصلت الكراهية القائمة على التنوعات الدينية أو العرقية إلى ذروتها، بينما يتزايد دعم الأحزاب العنصرية تدريجياً. تغذي الأزمات الاقتصادية والبطالة وعدم المساواة في توزيع الدخل الشعور العنصري بين السكان. لم يعد مصطلح "التعايش" يحمل الكثير من المعاني.

قتل جائحة كوفيد-19 ملايين الأشخاص، وأثر على حياة كل شخص تقريبًا في العالم. لا تزال آثاره النفسية والاجتماعية قائمة، بينما يتساءل معظم الناس متى سيضطرون إلى ارتداء الأقنعة مرة أخرى. تستدعي أخبار ظهور أنواع جديدة من الفيروسات والبكتيريا باستمرار الظروف المعيشية خلال جائحة كوفيد-19 إلى الذهن. تعتبر احتمالية ظهور وانتشار فيروس معدل وراثيا قد يقتل الملايين من الناس أمرًا مرتفعًا. مثل هذا السيناريو، الذي كان في السابق فقط في روايات الخيال العلمي أو الأفلام، لم يعد خياليًا بعد الآن والتهديد حقيقي ووشيك وخطير.

ظل الإرهاب والحرب على الإرهاب على جدول أعمال المجتمع الدولي لفترة طويلة، على الرغم من أن العديد من الدول التي تصف الإرهاب بأنه تهديد هي الراعي الرئيسي للمنظمات الإرهابية التي تستهدف أعدائها أو حلفائها. كانت المنظمات الإرهابية والإرهابية موجودة منذ قرون باعتبارها تهديدات للأمن المحلي والإقليمي. كما أبرزت هجمات 11 سبتمبر، وهجمات منظمة حزب العمال الكردستاني الإرهابية في تركيا، في الشرق الأوسط أو في أوروبا، والتهديدات والهجمات من قبل القاعدة وداعش، من بين أمثلة أخرى في جميع أنحاء العالم، أصبح الإرهاب دوليًا خطيرًا. ولا يمكن تحقيق النجاح والانتصار على الإرهاب إلا من خلال التعاون الدولي. يتضمن ذلك فهمًا مشتركًا لتهديدات الإرهاب وآثاره، ووقف رعاية الإرهاب الذي يستهدف دولًا أو مجموعات سكانية أخرى، وتبادل المعلومات الاستخباراتية، واحترام حقوق الإنسان.

إن الإسلاموفوبيا، التي نشأت من خلال أحداث لا تتعلق بالعالم الإسلامي أو بالقيم الإسلامية، تتزايد تدريجياً وتحظى بتأييد واسع. وقد تجلى ذلك على أنه تمييز ووصم للمسلمين الذين يعيشون في دول غير مسلمة ووسّع الفجوة في التفاهم المتبادل بين الدول الإسلامية وغير الإسلامية. أدت الأحداث الأخيرة، بما في ذلك حرق القرآن في عدة دول أوروبية، إلى أزمات جديدة من الإسلاموفوبيا، وهي أزمات قد تؤدي إلى اضطراب اجتماعي.

لقد ظهر تغير المناخ، بآثاره المدمرة على البشرية وكوكبنا، كأزمات كبرى نمر بها نحن والأنواع الأخرى لفترة طويلة. يُنظر إليه على أنه يسبب أحداثًا تسبب البؤس بما في ذلك الفيضانات والجفاف والحرائق والاحتباس الحراري وانقراض الأنواع والكوارث الطبيعية الأخرى، والتوقع هو أنه إذا لم يكن هناك جهد فعال للحد منه، فسوف يتأثر النظام البيئي إلى أي مدى ستتعرض حياة الإنسان للتهديد على المدى الطويل. لتغير المناخ تأثيرات عالمية، ولا يمكن حله من خلال التدابير أو الآثار المحلية والإقليمية. لا يوجد ثقب أو استنزاف محلي أو عالمي لطبقة الأوزون، ويؤثر على العالم كله أينما حدث أو أي سبب من أسبابه. لا يمكن كسب المعركة ضد التغيير إلا من خلال التعاون الدولي، بمشاركة كل جهة فاعلة على حدة.

كانت هناك أزمات كبرى أخرى تعاني في العالم. وتجدر الإشارة، كما أشار البروفيسور كين في الفصل السابق، إلى أن هذا الوضع ليس فريدًا في عصرنا، بالنظر إلى الأزمات والدمار والمعاناة عبر التاريخ. باستثناء أزمة المناخ، التي تفاقمت في العقود الأخيرة بسبب التصنيع الثقيل، فقد عانى البشر من معظم هذه الأحداث الخبيثة في العصور الماضية، وأحيانًا أسوأ بكثير من أزمات اليوم. أسفرت الحرب العالمية الثانية وحدها عن مقتل أكثر من 80 مليون شخص، بالإضافة إلى ملايين الأشخاص حول العالم. كان الموت الأسود، الذي قتل ثلث سكان أوروبا في القرن الرابع عشر، استمرارًا للطاعون الذي أودى بحياة الملايين في الصين والهند وأجزاء أخرى من آسيا.

ومع ذلك، فإن نقطة الخلاف بالنسبة للأزمات المعاصرة هي نطاقها العالمي، وضرورة التعاون العالمي لحل المشاكل، بسبب الهيكل المعولم للعالم اليوم. أثرت الأحداث في العصور الوسطى، أو الثورة الفرنسية، وعصر النهضة، والإصلاح في أوروبا، على البلدان أو الإمبراطوريات الأخرى تدريجياً، ولكن بدرجة محدودة. إن التفاعل المحدود بين أجزاء مختلفة من العالم حال دون انتشار آثار الأزمات ولا يتطلب تعاونًا وعملًا على الصعيد العالمي. ومع ذلك، فإن العولمة، التي تقلص العالم وترابطه، قد غيرت هذا الوضع.

أدى الانتشار السريع للمعلومات نتيجة الاختراقات في تكنولوجيا المعلومات والعولمة إلى تغيير طبيعة العالم، مما جعله أكثر ترابطًا. كما رأينا، فإن الأحداث المحلية أو العالمية في العالم تؤثر على أجزاء أخرى من العالم بشكل أعمق وأسرع وبدرجة أكبر. لم يعد لدى أحد فرصة لمنع الآثار وعزل نفسه عن تأثيرات التطورات الإقليمية أو العالمية. لا يمكن للقلاع شديدة التحصين ولا الحدود الخاضعة للرقابة الصارمة أن تحمي من التهديدات الصادرة من أجزاء أخرى من العالم.

في العلاقات الدولية، يحث النهج الواقعي الكلاسيكي الدول، بصفتها الفاعل الدولي الوحيد الفعال، على تعظيم قوتها، ويسلط الضوء على دور القوة بدلاً من التعاون. كانت هذه ولا تزال السياسة الرئيسية للعديد من الدول بما في ذلك القوى الكبرى. من ناحية أخرى، ترتبط المثالية بشكل أساسي بالتعاون الدولي وتسلط الضوء على أهمية المنظمات الدولية الفعالة من أجل السلام والأمن سواء محليًا أو إقليميًا أو دوليًا.

على الرغم من اعتبار المثالية "مثالية للغاية" للواقعيين، فمن الجدير بالذكر أن النظام الدولي قد تم تشكيله مؤخرًا على أساس النهج المثالي، على الأقل بشكل مرئي. إن الأمم المتحدة، على الرغم من عيوبها ومشاكلها، هي المنصة الوحيدة والأكبر التي تجمع جميع الدول إلى طاولة المفاوضات وتشجع التعاون الدولي. على الرغم من حق النقض في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، المسؤول عن الشؤون الأمنية ولا يشمل سوى الولايات المتحدة وروسيا والصين والمملكة المتحدة وفرنسا، تنجح الأمم المتحدة في الجمع بين الدول من أجل التعاون في الشؤون الدولية.

ومع ذلك، فقد أثبتت الأحداث الأخيرة أن النهج الواقعي الكلاسيكي قد وصل إلى أقصى حدوده، ويذكرنا بالحاجة الملحة لتعاون دولي أقوى وأكثر فعالية. من الواضح تمامًا أنه لا يمكن لأي فاعل بمفرده حل أي مشكلة من المشكلات المعاصرة. لا يمكن توفير السلام والأمن إلا من خلال التضامن والتماسك والتعاون بين جميع الجهات الفاعلة في المجتمع الدولي. لا أحد بأمان حتى يصبح الجميع بأمان.

وفقًا لنهج النظام، الذي يوفر إطارًا للتفاعل الفعال بين أجزاء النظام بطريقة محددة للوصول إلى هدفها، فإن مشكلة النظام الفرعي قد تؤدي إلى حدوث خلل في النظام بأكمله. وينطبق هذا أيضًا على النظام الدولي المكون من فاعلين دوليين، أي الدول والمنظمات الدولية. لا يمكن للنظام الدولي، بما في ذلك النظام البيئي، العمل إلا إذا كانت جميع الأنظمة الفرعية تعمل بشكل صحيح وبالتنسيق مع الجهات الفاعلة الأخرى، بما في ذلك الجهات الفاعلة في النظام البيئي.

لذلك، نحن بحاجة إلى أفق مشترك للإنسانية والكوكب إذا كنا نرغب في العيش في عالم أكثر أمانًا. لا يمكن حل المشاكل المعاصرة إلا من خلال التعاون الدولي القائم على أفق مشترك واقعي ومقبول على نطاق واسع. يجب إشراك جميع الجهات الفاعلة في النظام الدولي في تطوير وتطبيق هذا الأفق المشترك.

نحن بحاجة إلى أُفق مُشترك يضمن أن "لكل فرد الحق في جميع الحقوق والحريات المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والوثائق الأخرى المتعلقة بحقوق الإنسان، دون تمييز من أي نوع، مثل العرق أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو غير السياسي أو الأصل القومي أو الاجتماعي أو الملكية أو المولد أو أي وضع آخر ".

نحن بحاجة إلى أفق مشترك تتمتع فيه الدول، وفقًا لميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي، بالحق السيادي في استغلال مواردها الخاصة وفقًا لسياساتها البيئية والإنمائية الخاصة بها، ومسؤولية ضمان تلك الأنشطة. في نطاق ولايتها أو سيطرتها لا تسبب ضررًا لبيئة الدول الأخرى أو المناطق الواقعة خارج حدود الولاية الوطنية، كما هو مذكور في إعلان ريو بشأن البيئة والتنمية في عام 1992.

نحن بحاجة إلى أفق مشترك يقبل ويشدد على أن الحياة بدون حرب هي بمثابة الشرط الدولي الأساسي للرفاه المادي، والتنمية، والتقدم للبلدان، وللتنفيذ الكامل للحقوق والحريات الإنسانية الأساسية التي أعلنتها الأمم المتحدة، ورد في إعلان حق الشعوب في السلام الصادر عن الأمم المتحدة عام 1984.

نحن بحاجة إلى أفق مشترك يمكّننا من تحقيق عالم أكثر أمانًا وسلمًا وحيويًا يمكننا نقله إلى أطفالنا. نحن بحاجة إلى أفق مشترك يوفر عالماً يستحقه جميع البشر.

نحن بحاجة إلى أفق مشترك يمكّننا من تحقيق عالم أكثر أمانًا وسلمًا وحيويًا يمكننا نقله إلى أطفالنا. نحن بحاجة إلى أفق مشترك يوفر عالماً يستحقه جميع البشر.

# اندكس


**أ**

**أفريقيا** 5, 6, 7, 25, 26, 29, 30, 31, 32, 36, 37, 38, 40, 55,

**اسيا** 6, 26, 31, 37, 58, 119, 141, 198, 213, 218, 227, 235, 309, 312

**أوروبا** 5, 6, 7, 8, 9, 10, 13, 14, 19, 22, 24, 25, 26, 28, 29, 30, 31, 32, 33, 34, 35, 37, 40, 58, 107, 147, 178, 185, 190, 205, 220, 224, 237, 238, 292, 293, 297, 298, 301, 303, 307, 308, 309, 311, 312

**الكرة الارضية** 1, 2, 16, 31, 38, 42, 43, 58, 61, 74, 154, 190, 191, 199, 200, 207, 211, 240, 241, 245, 246, 249, 254, 295, 304

**الصين** 60, 101, 147, 218, 219, 223, 224, 226, 233, 234, 290, 293, 299, 312, 314

**المستعمرون** 5, 6, 9, 14, 17, 18, 19, 21, 22, 23, 25, 26, 27, 29, 30, 31, 32, 33, 35

**الحرب الباردة** 43, 290, 291, 292, 294, 295, 296, 297, 298, 301, 302, 303, 304

**الأفق** 1, 2, 3, 42, 43, 49, 54, 57, 66, 113, 129, 306, 314, 315, 316

**المانيا** 13, 24, 28, 32, 92, 105, 106, 134, 218, 232, 255, 292, 298

**ابن سينا** 264, 268, 271, 272, 273, 274, 275, 276, 277, 278, 279, 284, 285, 286, 287

**الإسلام** 2, 264, 266, 267, 268, 276, 280, 283, 284, 287, 288, 311

**الامبريالية** 7, 11, 28, 31, 38, 49, 50, 167, 168, 220

**أمريكا اللاتينية** 34, 107, 108, 118, 217, 218, 219, 309

**إعادة تشكيل** 35, 60, 61, 79, 107, 141, 189, 228, 231, 232, 236, 312

**الاتحاد السوفيتي** 28, 222, 228, 291, 293, 294, 295, 297, 300

**أوكرانيا** 25, 216, 303, 308

**الولايات المتحدة** 5, 7, 28, 32, 35, 52, 55, 58, 174, 184, 211, 233, 234

**ب**

**برلين** 25, 26, 37, 38, 92, 117

**بريطانيا** 18, 19, 24, 29, 32, 40

**ت**

**تركيا** 52, 101, 217, 246, 257, 308, 311

**د**

**الديمقراطية** 62, 63, 65, 66, 90, 91, 94, 95, 96, 99, 101, 102, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 113, 114, 115, 117, 118, 133, 135, 138, 213, 310,

**ر**

**روسي** 2, 27, 28, 66, 216, 220, 227, 228, 229, 230, 231, 234, 237, 255, 294, 296, 297, 298, 301, 302, 303, 308

**س**

**سياسي** 30, 38, 44, 56, 58, 90, 95, 115, 117, 121, 122, 123, 126, 127, 129, 130, 131, 134, 136, 138, 141, 142, 183, 304

**ف**

**فرنسا** 11, 22, 24, 26, 32, 53, 56, 91, 100, 108, 195, 255, 260, 312

**فلسفي** 1, 8, 42, 44, 48, 49, 51, 54, 55, 56, 68, 69, 70, 80, 87, 88, 93, 96, 99, 125, 131, 243, 263, 266, 276

**ك**

**كندا** 7, 22, 32, 34, 309

**كوكبي** 42, 43, 44, 48, 49, 54, 56, 57, 58, 62, 95, 96

**ل**

**الليبرالية** 8, 14, 29, 39, 56, 57, 60, 123, 158, 166, 184, 202, 210, 213, 215, 226, 228, 237

**م**

**مسلم** 12, 50, 52, 53, 55, 281, 311

**مستقل** 5, 6, 7, 11, 13, 14, 15, 19, 20, 34, 53, 54, 64, 109, 205, 230, 302, 306

**ن**

**الأسلحة النووية** 3, 290, 292, 294, 296, 297, 298, 299, 300, 301, 303, 304, 307, 308

**و**

**وول ستريت** 65, 225, 226, 238, 298, 307

# تصور أفق مشترك للإنسانية والكوكب

ان المشاكل العالمية، مثل تغير المناخ والأوبئة الماضية والمحتملة تشكل عبئًا ثقيلًا على البشرية وكوكبنا. نحن بحاجة إلى تعاون العلماء والفلاسفة من جميع التخصصات من أجل البحث عن مسارات للخروج من هذه الأزمات وإيجادها. تتمتع تركيا بموقع متميز إن لم يكن مركزيًا في إقامة مثل هذا التعاون. نحن في الطرف الشرقي من الغرب، والطرف الغربي من الشرق، ونقع بين الشمال والجنوب أيضًا. هذا الكتاب هو نتاج مشروع بعنوان تخيل أفق مشترك للإنسانية والكوكب قامت به جامعة كابادوكيا. ستجد فيه فصولًا لعلماء وفلاسفة متميزين من العديد من البلدان والخلفيات الثقافية والتخصصات. نأمل أن توفر المعرفة والحكمة المتراكمة من خلال هذا المشروع والمقدمة بين أغلفة هذا الكتاب خطوة أخرى في الوصول إلى أفق مشترك قابل للتنفيذ والمساهمة في عالم أكثر أمانًا وأفضل لأطفالنا.

**بروفيسور. د. اسكندر اوكوز، جامعة كابادوكيا**

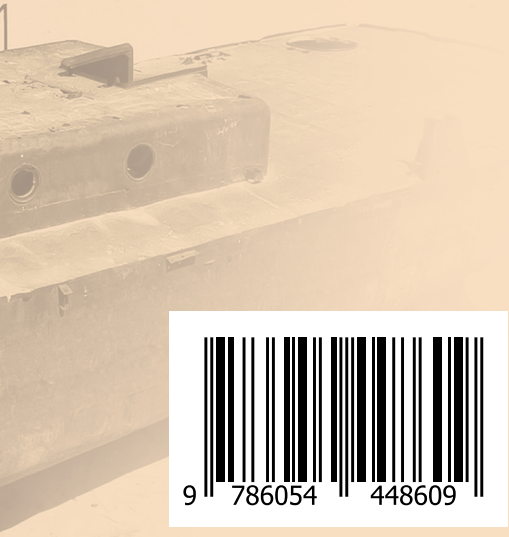

9 786054 448609

CAPPADOCIA UNIVERSITY

**Cappadocia Campus:**
Mustafapaşa - Uçhisar - Ürgüp / Turkey
Tel: +90 384 353 5009 (pbx) Fax: +90 384 353 5125

**Sabiha Gökçen Campus:**
Sabiha Gökçen Airport, İstanbul / Turkey
Tel: +90 216 588 0010 (pbx) Fax: +90 216 588 0012

**info@kapadokya.edu.tr**